

نفسناير القُرآن العزیز

لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِينَ
(٢٢٤ - ٢٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكنزي

المجلد الثالث

الأسراء - الأحزاب

النَّاشِرُ
إِذَا زُورَ الْحَقُّ لِلْظُّلُمِ وَالنَّشْرُ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **الإمام محمد المصطفى النجاشي**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين**

تحقيق : **حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز**

رقم الإيداع : ١٧٧٧٦ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : 977-5704-69-3

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

طبعة : **الإمام محمد المصطفى النجاشي**



تفسير سورة سبحان، وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِإِذْنِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني: بيت المقدس .
﴿لِإِذْنِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: ما أراه الله ليلة أسرى به .

قال محمدٌ: معنى (أسرى به) أي: ستره؛ ولا يكون السرى إلا لَيْلًا، وفيه لغتان: سرى وأسرى^(١).

يحيى: [عن حماد]^(٢) عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت؛ إذ أتيت فشق النحر فاستخرج القلب، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم أتيت بدابة أبيض، يقال له: البراق؛ فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين، يقع خطوه عند منتهى طرفه، فَحُمِلْتُ عليه، فسار بي نحو بيت المقدس فإذا مناد ينادي عن يمين

(١) يقال: سرى يسرى سُرَى ومُسْرَى. ولغة أهل الحجاز (أسرى) وجاء القرآن باللغتين جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، ويقول: ﴿والليل إذا يسر﴾. لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة البقرة؛ فقد أورد المؤلف هناك هذا الحديث مختصرًا، والله أعلم.

الطريق: يا محمد، على رِسْلِكَ اسْلُكْ^(١)، يا محمد، على رسلك اسلك، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك اسْلُكْ، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك^(٢)، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بامرأة على قارعة الطريق—أحسبه قال: حسناء—(حَمَلًا)^(٣) عليها من كل الحلي والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، فمضيت ولم أعرج عليها، حتى انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقت الدابة بالحلقة التي توثق بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فتناولت اللبن، فقال: أصبت الفطرة، ثم قال لي جبريل: يا محمد، ما رأيت في رحلتك هذه؟ قال: سمعت منادياً ينادي عن يمين الطريق: يا محمد، على رسلك اسلك (ل ١٨٠) يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك قال: فما صنعت، قلت: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية اليهود؛ أما إنك لو عرَّجْتَ عليه، لتهودت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، فمضيت ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية النصارى؛ أما إنك لو عرجت عليه لتنصرت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بامرأة—أحسبه قال: حسناء—(حَمَلًا)^(٣) عليها من كل الحلي

(١) كذا ضبطت في الأصل، وفي مصادر التخريج: أسالك.

(٢) كذا في الأصل، تكررت هذه الجملة أربع مرات، ولعل الرابعة زائدة، والله أعلم.

(٣) هكذا في الأصل، ولعل صوابها: تحمل أو حامله. والله أعلم.

والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرج عليها. قال: تلك الدنيا؛ إما أنك لو عرّجت عليها لِمَلْتَ إلى الدنيا. ثم أُنْتِنَا بالمعراج؛ فإذا أحسن ما خلق الله، ففقدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى سماء الدنيا، وعليها ملكٌ يقال له: إسماعيل جُنْدُه سبعون ألف ملك، جند كل ملك سبعون ألف ملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾^(١). فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بُعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، وَلِنَعْمَ المجيء جاء. ففتح لنا فَأَتَيْتَ عَلَى آدَمَ، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم. فَرَحِبَ بي، ودعا لي بخير. قال: وإذا الأرواح تعرض عليه؛ فإذا مرَّ به روح مؤمن، قال: روح طيب وريح طيبة، [وإذا]^(٢) مرَّ به روح كافر قال: روح خبيث وريح خبيثة! قال: ثم مضيتُ فإذا أنا بأخاوين^(٣) عليها لحومٌ متنته، وأخاوين عليها لحومٌ طيبة، وإذا رجالٌ ينهشون اللحوم المتنته، ويدعون اللحوم الطيبة. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الزُّنَاة؛ يدعون الحلال ويتبعون الحرام. قال: ثم مضيتُ فإذا برجالٍ ثَقُلُ أَلْحِيَّتُهُمْ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار، فيقذفونها في أفواههم، فتخرج من أديبارهم. قال: قلت: من هؤلاء

(١) المدثر: ٣١.

(٢) في الأصل: (فإذا).

(٣) واحدها: خوان - بالكسر - وهو الذي يؤكل عليه مُعْرَبٌ، والضم لغة فيه؛ نقلها الفارابي. قال: والكسر أفصح. ويجمع أيضًا على: أخونة، وخون. لسان العرب، مختار الصحاح (خون).

يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾^(١)؛ ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها^(٢) ولهم جواز، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الهمَّازون اللَّمازون. ثم تلا هذه الآية: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٣) وإذا أنا بنسوةٍ معلقاتٍ بُئديهنَّ -وأحسبه قال: وإذا حَيَّاتٌ وعقاربٌ تنهشهنَّ- فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الطَّوْرَة^(٤) يقتلن أولادهنَّ. قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمعٌ إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشيا؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة؛ لما يرون من عذاب الله، وإذا أنا برجال بطونهم، كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم ويطونهم، يأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثرداً، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٥) ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوْ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، وإنه لنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بابني الخالة: (١٨١) يحيى وعيسى،

(١) النساء: ١٠.

(٢) أي: يدفعونها في أفواههم، ويلقمونها إياهم، يقال: ضفزت البعير إذا علفته الضفائر، وهي اللقم الكبار، الواحدة: ضفيرة. النهاية (٣/٩٤).

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) جمع ظئر، وهي المرضعة غير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً، أي على المذكر والمؤنث، ويجمع أيضاً على أَظْؤُر وأظَار.

(٥) البقرة: ٢٧٥.

فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحُسن. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بُعث [إليه]^(١)؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بإدريس، فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون وإذا بلحيته شطران: شطر أبيض وشطر أسود، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبّب في قومه، وأكثر من رأيت تبعاً. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير. قال: ثم عُرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بموسى، وإذا هو رجلٌ أشعر. فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، قال: فمضيت، فسمعت موسى يقول: يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم الخلق على الله، وهذا أكرم على الله مني. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟

(١) في الأصل: عليه.

قال: محمد؟ قيل: أو قد بعث إليه، قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا فأنت على إبراهيم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور. ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. قلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه؛ فرحب بي ودعا لي بخير. وإذا أمتي عنده شطران: شطرٌ عليهم ثياب بيض، وشطرٌ عليهم ثياب زُمد؛ فدخل أصحاب الثياب البيض، واحتبس الآخرون. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! فقال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وعملاً سيئاً، وكل على خير، ثم قيل: هذه منزلتك ومنزلة أمتك، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) قال: ثم انتهينا إلى السُدرة المنتهى؛ فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو عُطِيت بها هذه الأمة لغطتهم، ثم انفجر من تحتها السلسيل، ثم انفجر من السلسيل نهران: نهر الرحمة، ونهر الكوثر، فاغتسلت من نهر الرحمة فغفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى إنه ليجري في الجنة؛ فإذا طيرها كالبحر؟ قال: ونظرت إلى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. قال: ثم نظرت إلى النار، (فإذا)^(٢) عذاب ربي لشديد لا تقوم له الحجارة ولا الحديد، قال: ثم رجعت إلى السدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشى، ووقع على كل ورقة ملك، وأيدها الله بأيده، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فرجعت إلى موسى، فقال: ماذا فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة. فقال: (ل ١٨٢) ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛

(١) آل عمران: ٦٨

(٢) في الأصل: (فإذا إن).

فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فرجعت إلى ربي فقلت: أي ربي حط عن أمتي؟ فإن أمتي لا تطيق ذلك، فحطّ عني خمساً. قال: فرجعت إلى موسى فقال لي: ما فرض عليك ربك؟ قلت: حط عني خمساً، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فرجعت إلى ربي فحطّ عني خمساً قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وموسى حتى قال: يا محمد، لا تبديل؛ إنه لا يبدّل القول لدي، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ لكل صلاة عشر، فلك خمسون صلاة، قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. قلت: قد راجعته حتى استحييت^(١).

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١/١٤٧-١٥٠ رقم ١٤٦) -

عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٦٥-٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/١١-١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٠-٣٩٦) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٥٠٩-٥١٦) - والبخاري في تفسيره (١/٣٤١) والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٣/٩) - من طرق عن أبي هارون العبدى. وضعفه البيهقي، وقال المنذرى في الترغيب (٣/٩): رواه الأصبهاني أيضاً من طريق أبي هارون العبدى، واسمه: عمارة بن جوين، وهو واو.

وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦): هذا حديث غريب عجيب، وسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكاً.

وذكر ابن كثير في تفسيره (٣/١٣) أن فيه غرابة ونكارة، وأن أبا هارون العبدى اسمه: عمارة ابن جوين، مضعف عند الأئمة.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١/١٥٠): هذا حديث مداره على أبي هارون العبدى، وهو ضعيف.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٤/١٥٨) لابن المنذر وابن مردويه أيضاً.

وروى الطبراني في المعجم الصغير (٢/٧٠) وأبو الشيخ في العظمة (٣/٨٦١ رقم ٤٠٢) من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد أن النبي ﷺ حين عرج به قال: إن في السماء لملكاً يقال: له إسماعيل، على سبعين ألف ملك، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك فقط. =

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿١﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّكُمْ كَأْت عِبَادًا شَكُورًا ﴿٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٣﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٥﴾ إِذْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنَهُ لَأَنفُسِكُمْ وَلَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٦﴾ عَنِ رُحْكُو أَنْ يُرْمَكُمْ فِي عُدَّتِهِمْ عُدَاً وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ يعني: لمن آمن به ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ يعني: رباً؛ في تفسير بعضهم ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي: يا ذرية؛ لذلك انتصب (١).

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أعلمناهم ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوقاً كبيراً﴾ يعني: لتفهرن قهراً شديداً ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: أولى العقوبتين ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قال قتادة: عوقب القوم على علوهم وفسادهم، فبعث عليهم في الأولى جالوت الخزري، فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار.

= قال الهيثمي في المجمع (١/٨١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه أبو هارون، واسمه عمارة بن جوين، وهو ضعيف جداً.

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من: البحر (٦/٢-٣)، الدر المصون (٤/٣٧٠).

قال محمد: معنى (جاسوا): طافوا؛ الجَّوسُ طلب الشيء باستقصاء^(١).
 ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ كائنًا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: عددًا؛ ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: آخر العقوبتين ﴿لِيسُوءِ وَأَوْجُوهِكُمْ﴾ وهي تقرأ (لِيسُوءٍ) أي: ليسوء الله وجوهكم^(٢) ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلُوا تَبِيرًا﴾ أي: وليفسدوا ما غلبوا عليه إفسادًا؛ يقال: إن إفسادهم الثاني: قتل يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بختنصر، عدا به عليهم؛ فخرَّب بيت المقدس، وسبى وقتل منهم سبعين ألفًا.

﴿عَسَىٰ رَبِّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ قال قتادة: فعاد الله بعائلته^(٣) قال: ﴿وَإِن عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ عليكم بالعقوبة، قال الحسن: (أعاده)^(٤) عليهم بمحمد؛ فأذلَّهم بالجزية.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ قال قتادة: يعني: سجنًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ

(١) يقال: جاس يجوس جوسًا، ومثله: اجتاس. لسان العرب (جوس).

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحزمة وأبي بكر عن عاصم، وانفرد أبو زرعة في (الحجة) بذكر الكسائي. ينظر: السبعة (٣٧٨)، والنشر (٣٠٦/٢) الحجة لأبي زرعة (٣٩٧)، الدر المصون (٣٧٣/٤).

(٣) العائلة: العطف والمنفعة؛ يقال: فلان ذو صفح وعائلة؛ أي: ذو عفو وتعطف. لسان العرب، مختار الصحاح (عود).

(٤) في الأصل: (عاده)، والمراد: أعاد العذاب والعقوبة.

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَعْتَدُ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ
الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوًا
آيَةَ الْيَلِّ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ
وَالْحَسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي﴾ أي: يدعو ﴿للتي هي أقوم﴾ أي: أصوب.
﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يقول: يدعو بالشر على نفسه وعلى
ولده وماله؛ كما يدعو بالخير؛ ولو استجاب الله له لأهلكه.

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ يقال: محي من ضوء القمر
من مائة جزء تسعة وتسعون جزءًا وبقي جزء واحد ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾
أي: منيرة ﴿لتبتغوا فضلًا من ربكم﴾ يعني: بالنهار ﴿ولتعلموا عدد السنين
والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾ تفسير الحسن: فصلنا
الليل من النهار، وفصلنا النهار من الليل، والشمس من القمر، والقمر من
الشمس.

قال محمد: (كل) ^(١) منصوب بمعنى: وفصلنا كل شيء فصلناه ^(٢).

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا لَهُ فِي عُدُوهِ وَنُخْرِجُهُ لَوِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾
أَقْرَأْ كِتَابَكَ كُلُّ نَفْسٍ يَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ وَلَا نُزِيرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُخْرِجُهَا مِمَّا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا

(١) في الأصل: (كلاً) والصواب ما أثبتناه؛ لأن التعليق على قوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾.

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٤/٦)، الدر المصون (٤/٣٧٦).

أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿وكل إنسان أزمانه طائره في عنقه﴾ قال الحسن: يعني: عمله.

قال محمد: المعنى: أزمانه حظه من الخير والشر، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: طائر؛ لقول العرب: جرى له طائر باليمن، وجرى بالشر، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك في عنقي حتى أخرج منه؛ (ل١٨٣) فخطابهم الله بما يستعملونه.

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيئا﴾ قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

قال محمد: (حسيئا) تميز^(١)؛ وهو في قول بعضهم بمعنى: محاسب^(٢).

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ.

قال محمد: وأصل الوزر: الحمل، وكذلك الإثم وزر؛ لأنه ثقلٌ على صاحبه^(٣).

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ تفسير الحسن: لا يعذب قوماً بالاستئصال حتى يحتج عليهم بالرسول.

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ تفسير قتادة: أكثرنا جبابرتها،

(١) ينظر: البحر (١٥/٦)، الدر المصون (٤/٣٧٧).

(٢) أي: فاعل بمعنى فاعل، وهذا كثير في الكلام.

(٣) ينظر: لسان العرب (وزر).

(٤) قرأ العامة (أمرنا) بالقصر والتخفيف. وقرأ (أمرنا) بالمد علي بن أبي طالب وابن أبي إسحاق وأبو رجاء وغيرهم ورويت هذه القراءة عن نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم من السبعة.

ينظر: السبعة (٣٧٩)، والنشر (٢/٣٠٦)، الدر المصون (٤/٣٧٩).

وكان الحسن يقرأها: (أمرنا)^(١) وهو من الكثرة أيضاً. قال قتادة: (أمرنا) مخففة على تقدير: فعلنا، وقراءة الحسن (أمرنا) ممدودة الألف.

قال يحيى: وكان ابن عباس يقرأها (أمرنا) بالثقل من قبل الإمارة^(٢).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُنَبِّئُ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا، لا يؤمن بالآخرة ﴿عجلنا له...﴾ إلى قوله: ﴿مدحوراً﴾ أي: مبعداً من رحمة الله ﴿كلأ نمد هؤلاء وهؤلاء...﴾ يعني: المؤمنين والمشركين إلى قوله: ﴿محظوراً﴾ أي: ممنوعاً.

قال محمد: (كلأ) منصوب بـ(نُمد) و(هؤلاء) بدل من (كل) المعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء.

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا

(١) وهي قراءة علي أيضاً وأبي عثمان النهدي، ورويت عن عاصم وأبي عمرو من السبعة. ينظر: السبعة (٣٧٩) الدر المصون (٤/٣٧٩).

وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾ وَتَذَكَّرُ أَفْئِدَةٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمَا إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣٥﴾ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقًّا وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّ لِتَذَكُّرِهِمَا ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا ﴿٣٧﴾

﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً﴾ في نعمة الله ﴿مخدولاً﴾ في عذاب الله .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً؛ يعني: برّاً ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ تفسير الحسن: يقول: إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما، فوليت منهما ما وليا منك في صغرك فوجدت منهما ريحاً تؤذيك؛ فلا تقل لهما: أف.

قال محمد: وقيل: المعنى: لا تقل لهما ما فيه أدنى تبرؤ.

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تغلظ لهما القول ﴿وقل لهما قولا كريماً﴾ أي: ليتنا سهلاً ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي: لا تمتنع من شيء أحباه ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا كافرين فلا تقل: رب ارحمهما.

يحيى: عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول؛ «أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهله فكان فيما أوصاه: أطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (١٥٩٤ رقم ١٥٩٤) وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٣/ ١٢ رقم ٣٠٢/٣) - والبيهقي في سننه (٣٠٤/٧) وغيرهم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن أم أيمن رضي الله عنها.

وقال البيهقي: في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن.

مالك كله؛ فافعل^(١).

يحيى: عن المعلّى، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن محمد بن المنكدر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدًا^(٢) فواحد، ومن أصبح مسخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مثل ذلك،

= ورواه الطبراني في الأوسط (٥٨/٨) رقم ٧٩٥٦ عن معاذ بن جبل.
قال المنذري في الترغيب (١/٣٨٣): رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

وقال الهيثمي في المجمع (١/١٠٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن واقد، ضعفه البخاري وجماعة، وقال الصوري: كان صدوقًا.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/١٨٨): وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ: أطع والدك وإن أراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل» ولكن في إسنادهما ضعف، والله أعلم.

(١) أي: وإن كان أحد الأبوين.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/٣٥) رقم ٢٠١٢٨ عن معمر عن أبان عن سعد بن مسعود أو غيره عن ابن عباس به.

ورواه هناد في الزهد (٢/٤٨٥) رقم ٤٨٦ رقم ٩٩٣ من طريق أبي سنان سعيد بن سنان عن رجل عن ابن عباس به.

ورواه البيهقي في الشعب (٦/٢٠٦) رقم ٧٩١٦- ومن طريق ابن عساكر في تاريخه (٣٣/٣٦٥) من طريق عبد الله بن يحيى السرخسي عن سعيد بن يعقوب الطلقاني عن عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن عطاء عن ابن عباس.

قال العراقي في تخريج الإحياء (٢/٢٣٦): رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، ولا يصح. اهـ.

وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٤/٣٧٣) في ترجمة عبد الله بن يحيى السرخسي، وقال: رجاله ثقات أثبات غير هذا الرجل؛ فهو آفته. اهـ.

ورواه أبو خيثمة زهير بن حرب عن شابة عن المغيرة بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس به. وسئل عنه أبو زرعة فقال: المغيرة لم يسمع من عطاء شيئًا، وهو مرسل. علل الحديث لابن

أبي حاتم (٢/٢١١) رقم ٢١٢٣.

وإن كان واحداً فواحد؛ وإن ظلماء، وإن ظلماء، وإن ظلماء^(١).

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من بر الوالدين ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الأواب: الراجع عن ذنبه.

﴿وأت ذا القربى حق﴾ يعني: ما أمر الله به من صلة القرابة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ نزلت قبل أن تسمى الأصناف الذين تجب لهم الزكاة ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ يقول: لا تنفق في غير حق ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ يعني أنفقوا له ومن [أنفق]^(٢) لغير الله لا يقبله الله، وإنما هو لشیطان.

﴿وإنما نرضى عنهم أئمتنا رحموا بين ربك ترجوها فقل لهم قولاً فيسوروا﴾ ولا تجعل بلك مقلولة إلى عنيك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ إنهم كان يعادوه خيراً بصيراً ﴿ولا تقتلوا أولادكم خفية إنلحقن نرزقهن وإناكؤن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ ولا تقرؤا الرزق إنهم كان فاحشة وساء سبيلاً ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنهم كان منصوراً﴾ ولا تقرؤا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴿وأوفوا الكيل إنا كلتم وزناً﴾ بالقياس المستقيم ذلك خير

= ورواه الدلاوي في الكنى (٢/ ٢٨٣ رقم ٢٧٢٥) من طريق مكبر - رجل من أهل الشام - عن الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد عن ابن عباس مرفوعاً مختصراً.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (١٥ رقم ٧) والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٠٦ رقم ٧٩١٦) من طريق سليمان التيمي عن سعد القيسي عن ابن عباس موقوفاً.

ورواه الدارقطني في الأفراد أطرف الأفراد (٣/ ٨٤ رقم ٢٠١٥).

(١) زيادة من عندي يقتضيها السياق. لعلها سقطت من الأصل.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ لِبَالًا طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿وما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ يعني: انتظار رزق الله
﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ يعني: أن يقول للسائل: يرزقنا الله وإياك ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال الحسن: يقول: لا تكن [بخيلاً منوعاً]^(١)
فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عُنُقِهِ (ل١٨٤) ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾
فتنفق في غير برٍّ ﴿فتتعد ملوماً﴾ في عباد الله لا تستطيع أن [تسع]^(٢) الناس
﴿محسوراً﴾ أي: قد ذهب ما في يدك.

قال محمد: المحسور والحسير الذي قد بالغ في التعب والإعياء؛ المعنى:
تحسرك العطية وتقطعك^(٣).

﴿إن ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ يعني: الموءودة ﴿خشية إِملاق﴾ يعني: الفاقة^(٤) ﴿إن قتلهم كان خطأً ذنباً كبيراً﴾.

﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ يعني: القود^(٥)، إلا أن يعفو الولي أو يرضى بالدية إن أعطيها ﴿فلا يسرف في القتل﴾ أي: لا يقتل غير قاتله ﴿إنه كان منصوراً﴾ أي: ينصره السلطان حتى يُقَيِّدَهُ منه ﴿ولا تقربوا

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٦٧/٥).

(٢) في الأصل: (توسع).

(٣) وهو من الفعل: حَسَرَ يَحْشُرُ حَسَارَةً؛ أي: كلٌّ: فهو حسير. لسان العرب (حسر).

(٤) أي: الفقر والحاجة. لسان العرب (فوق).

(٥) القود: القصاص. لسان العرب (قود).

مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ يعني: أن يوفر ماله حتى إذا بلغ أشده دُفِعَ إليه ماله إن آنس منه الرشد.

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية، اشتدت عليهم، فكانوا لا يخالطونهم في مطعم ولا نحوه؛ فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين﴾^(١).

﴿وأوفوا بالعهد﴾ يعني: ما عاهدوا عليه فيما وافق الحق ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ يُسأل عنه الذين أعطوه ﴿وأوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير﴾ إذا أوفيتهم الكيل، وأقيمت الوزن ﴿وأحسن تأويلاً﴾ يعني: عاقبة الآخرة. ومعنى (القسطاس): العدل^(٢).

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ الآية، تفسير الحسن: لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك؛ فتقول: إني رأيت هذا يفعل كذا، وسمعت هذا يقول كذا؛ لما لم تسمع ولم تر.

قال محمد: أصل الكلمة من قولك: قَفَوْتُ الأثرَ أَقْفُوهُ قَفْوًا؛ إذا اتَّبَعْتَهُ^(٣) فمعنى الآية: لا تتبع لسانك من القول ما ليس لك به علم؛ وهو الذي أراد الحسن.

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ يُسأل السمع عما سمع، والبصر عما أبصر، والقلب عما عزم عليه.

قال محمد: كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم، ومن الموات فلفظه

(١) البقرة: ٢٢٠.

(٢) والقسطاس بضم القاف وكسرهما. وقيل: معناه: الميزان. لسان العرب (قسط).

(٣) لسان العرب (قفو).

(٤) أي: يشار بها إلى العقلاء وغيرهم، وفي ذلك المعنى اللغوي تفصيل واسع. ينظر الدر المصون (٣٩٠/٤).

(أولئك) (١).

﴿ولا تمش في الأرض﴾ يعني: على الأرض ﴿مرحاً﴾ كما يمشي المشركون.

قال محمد: أصل المرح: حركة الأثير والبطر (٢).

﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بقدمك إذا مشيت ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ كل ذلك كان سيئه أي: خطيئته ﴿عند ربك مكروها﴾.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا سَرَّ فَلْتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٣٦) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٣٧) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلذِّكْرِ وَمَا يَرْبِّدُهُمْ إِلَّا قَوْلًا (٣٨) قُلْ أَو كَانَ مَعَهُ مَالِكٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أَتَيْنَاكَ مِنَ الْغَائِبِ إِلَى ذِي الْأَرْضِ سَبِيلًا (٣٩) سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا (٤٠) فَسَبِّحْ لَهُ السَّكُوتَ السَّجَّ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)

﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ أي: ملوماً في نقمة الله مُبعداً عن الجنة في النار.

﴿أفأصفاكم﴾ أي: خصكم بالبنين واتخذ من الملائكة إنثاءً على الاستفهام؛ أي: لم يفعل ذلك؛ لقولهم أن الملائكة بنات الله.

﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن لذكرهم﴾ أي: بينا لهم، وأخبرناهم أنا أهلكتنا القرون الأولى فلا يتزل بهم ما نزل بالأمم السابقة قبلهم من عذاب الله ﴿وما

(١) وهو أيضاً: العجب والاختيال. لسان العرب (مرح).

يزيدهم ذلك ﴿إِلَّا نَفُورًا﴾ يعني: تركًا لأمر الله .
 ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ وتقرأ بالياء والتاء ^(١) ﴿إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ﴾
 يعني: الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ قال قتادة: يقول: إذا لعرفوا فضله
 عليهم، ولا يتبعوا ما يقربهم إليه .

﴿سُبْحَانَهُ﴾ يتره نفسه ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ ارتفع ﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ .
 ﴿يَسِبحُ﴾ ^(٢) له السموات السبع يعني: ومن فيهن ﴿وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾
 من المؤمنين ومن يسبح له من الخلق ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِبحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ كان الحسن يقول: إن الجبل يسبح؛ فإذا قطع منه شيء
 لم يسبح المقطوع ويسبح الأصل، وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح،
 وتسبح هي، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ عن خلقه فلا
 يعجل (١٨٥) كَعَجَلَةٍ بعضهم على بعض (غفورًا) لهم إذا تابوا وراجعوا
 أنفسهم .

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ^(٣)
 وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا وَلَوْ أَنْ
 آدَبْنَاهُمْ نَفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ
 إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظَرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوْفًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

(١) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: السبعة (٣٨١)، والنشر (٣٠٧/٢)،
 التيسير (١٤٠) الدر المصون (٣٩٤/٤).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو الطيب عن الثمار عن رويس بالياء على
 التكدير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث. النشر (٣٠٧/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٥٨).

يَكُونُ قَرِيبًا ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ذِكْرُكُمْ أَفْهَمُ يَكُذِّبُ إِن يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ أَفْهَمُ يَمُنُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا نَذِيرًا ﴿٦٠﴾

﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾ لما قالوا: ﴿أنذا كنا عظامًا ورفاتًا...﴾ الآية.

قال الله - عز وجل - : ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم﴾ يعني: الموت؛ يقول: إذا لأمتكم، ثم بعثكم يوم القيامة ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ خلقًا جديدًا ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أي: يحركونها تكذيبيًا واستهزاء ﴿ويقولون متى هو﴾ يعنون: البعث ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ و﴿عسى﴾ من الله واجبة، وكل ما هو آت قريب .

﴿يوم يدعوكم﴾ من قبوركم ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قال قتادة: يعني: بمعرفته وطاعته، والاستجابة: خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصور ﴿وتظنون﴾ في الآخرة ﴿إن لبئس﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلًا﴾ تصاغر الدنيا عندهم .

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ هو أن يأمرهم بما أمرهم الله به، وينهوهم عما نهاهم الله عنه ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي: يفسد ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾ بين العداوة .

﴿ربكم أعلم بكم﴾ يعني: بأعمالكم؛ خاطب بهذا المشركين ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ أي: يثب عليكم، فيمنُّ عليكم بالإسلام ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ فيإقامتكم على الشرك ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلًا﴾ أي: حفيظًا لأعمالهم حتى يجازيهم بها.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ تفسير الحسن: قال: كلَّم بعضهم، واتخذ بعضهم خليلًا، وأعطى بعضهم إحياء الموتى ﴿وآتينا داود زبورًا﴾ اسم الكتاب الذي أعطاه: الزبور. قال قتادة: كنا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧ وَلَنْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ
 الْفَيْكَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥٨ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
 بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا نُمُودَ النَّافَةِ مَبِصْرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ
 بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ٥٩ وَلَوْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا آرْثًا نَاثِيًا
 أَرْثَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْفُرْعَانِ وَنُفِثُوهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا
 كَبِيرًا ٦٠﴾

﴿قل ادعوا الذين زعمت من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا﴾ أن يحول ذلك الضر إلى غيره أهون منه.

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ يعني: القُرْبَى، تفسير ابن مسعود: قال: نزلت في نَقَرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون ولم يعلم بذلك الثغر من العرب، قال الله: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يعني: الجنيين الذي يعبدون هؤلاء ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب...﴾ الآية .

قال محمد: (أيهم أقرب) (أيهم) رفع بالابتداء، والخبر (أقرب)^(١) المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، وينظرون أيهم أقرب إليه؛ أي: بالأعمال الصالحة أقرب إليه يتوسلون به.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ (ل ١٨٦) يخوفهم بالعذاب ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ أي: مكتوباً .

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ إلى قومك يا محمد؛ وذلك أنهم سألوا الآيات ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكتناهم؛ فلذلك لم نرسل إليهم بالآيات؛ لأن آخر كفار هذه الأمة أخرها إلى النفخة.

قال قتادة: «إن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًا وسرك أن نؤمن؛ فحول لنا الصفا ذهبًا! فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك. قال: لا؛ بل أستأنني بقومي»^(٢).

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر من البحر المحيط (٥٢/٦) الدر المصون (٤/٤٠١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠٨/١٥)

ورواه الإمام أحمد (٢٥٨/١) والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٨٠ رقم ١١٢٩٠) والطبري في تفسيره (١٠٨/١٥) والحاكم (٣٦٢/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) وغيرهم عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (أن) الأولى نصبٌ و (أن) الثانية رفعٌ^(١)؛ المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وأتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: بينة ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلّموا أنفسهم بعقرها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ يخوفهم بالآية؛ فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا عذبهم .

﴿وإذ قلنا لك﴾ أوحينا إليك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ يعني: أهل مكة؛ أي: يعصمك منهم؛ فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة .

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني: ما أراه الله ليلة أسرى به، وليس برؤيا المنام، ولكن بالمعانية ﴿إلا فتنة للناس﴾ للمشركين لما أخبرهم النبي ﷺ بمسيره إلى بيت المقدس، ورجوعه في ليلة كذب بذلك المشركون؛ فافتتنوا لذلك ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يقول: وما جعلنا أيضاً الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس . قال الحسن ومجاهد: هي شجرة الزقوم؛ لما نزلت دعا أبو جهل بتمر وزُبد؛ فقال: تعالوا تزقوموا؛ فما نعلم الزقوم إلا هذا!

قال الحسن: وقوله: ﴿الملعونة في القرآن﴾ أي: أن أكلتها ملعونون في القرآن قال: ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الزقوم ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ

(١١)

(١) ينظر تفصيل ذلك من تفسير الطبري (١٥/١٠٨)، البحر المحيط (٦/٥٣)، الدر المصون (٤٠٢/٤) .

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ قَرَأَ مَوْفُورًا ﴿٦٧﴾ وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْجَبَ عَلَيْهِمْ يَحْيِيكَ وَرَجِلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٨﴾

﴿فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينًا﴾ أي: من طين - على الاستفهام - أي: لا أسجد له. ثم ﴿قال أرايتك هذا الذي كرمت علي﴾ وأمرني بالسجود له ﴿لئن أخرتني^(١) إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا﴾ تفسير الحسن: لأهلكهم بالإضلال ﴿إلا قليلًا﴾ يعني: المؤمنين.

قال الحسن: وهذا القول ظن منه؛ حيث وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا أي: صبرًا، قال: بنو هذا في الضعف مثله.

قال محمد: تقول العرب: قد احتنكت السنة أموالهم؛ إذا استأصلتها، واحتنك فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه^(٢).

وقوله: ﴿أرايتك﴾ هو في معنى: أخبرني، والجواب محذوف، المعنى: أخبرني من هذا الذي كرمت علي؛ لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فحذف هذا؛ لأن في الكلام دليلًا عليه^(٣).

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا﴾ قال مجاهد: يعني: وافرًا^(٤).

(١) أثبت الباء في الوصل المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحاليين ابن كثير ويعقوب. النشر (٢) / (٣٠٩) إتحاف الفضلاء (٣٥٩).

(٢) لسان العرب (حنك).

(٣) ينظر ذلك من الدر المصون (٤/٤٠٣-٤٠٤)، الكتاب (١/٢٣٩)، البحر المحيط (٦/٤٤-٤٥).

(٤) أي: التعبير باسم المفعول وإرادة اسم الفاعل. وقد سبق الكلام على مثل هذا.

قال محمد: يقال: وَفَرْتُ عليه ماله أَفْرُهُ فهو موفور؛ أي: مُوفَّرٌ^(١)، ومن هذا قولُ زُهَيْرٍ^(٢):-

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَقْرُهُ ومن لا يتق الشَّم يُشَمُّ^(٣)
قوله: ﴿واستفز من استطعت منهم بصوتك﴾ تفسير الحسن: هو الذَّف والمزمار.

قال محمد: ومعنى (استفز): استخف^(٤).

﴿وأجلب عليهم بخیلك ورجلك﴾ قال مجاهد: كلُّ راکب في معصية الله فهو من خیل إبليس، وكل ماشٍ في معصية الله فهو من رجل إبليس ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ تفسير مجاهد: (في الأموال) يعني: ما كان من مال بغیر طاعة الله، و(الأولاد) (ل١٨٧) يعني: أولاد الزنا ﴿وعدهم﴾ بالأماني؛ فإنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وهذا وعيد من الله للشيطان كقول الرجل لصاحبه: اذهب فاجهد عليَّ جُهدَكَ، وليس على وجه الأمر له به^(٥). قال: ﴿وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي

(١) يقال: وَفَرْتُ لفلان المال والمتاع أَفْرُهُ وَفَرًا وَفَرَةً: كثرته ووسعته. لسان العرب (وفر).

(٢) هو زهير بن أبي سلمى حكيم الشعراء في الجاهلية توفي (١٣ق هـ). ينظر الأعلام (٥٢/٣).

(٣) البيت من بحر الطويل ينظر ديوانه، البحر المحيط (٥٨/٦)، روح المعاني (١١٠/١٥).

(٤) ومعنى (استفز) أيضاً: أثار وأزعج. المعجم الوسيط (فز).

(٥) أي أن الأمر في قوله تعالى: (وعدهم) ليس على يابه من الأمر الحقيقي؛ بل هو خارج عنه لغرض الوعيد والتهديد، وهذا من مباحث علوم البلاغة. ينظر في الكلام عليه مفتاح العلوم للسكاكي، تلخيص المفتاح للقرظيني، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي باب الأساليب الإنشائية.

يُرْجَى لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَلَغَكُمُ الْبَرَّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَرْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبُ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَرْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنًا بِهِ ذَبْيًا ﴿٦٩﴾

﴿إن عبادي﴾ يعني: من يلقي الله مؤمنًا ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أن تضلهم ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ أي: جرمًا ومانعًا لعباده المؤمنين.

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ أي: يجريها ﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك، والرحمة للكافر في هذا رحمة الدنيا.

﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني: الأهوال ﴿في البحر ضل من تدعون﴾ يعني: ما تعبدون ﴿إلا إياه﴾ يقول: إلا إياه تدعون كقوله: ﴿بل إياه تدعون﴾^(١) تعلمون أنه لا ينجيكم من الغرق إلا هو ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الذي نجاكم، ورجعتم إلى شرككم ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ يعني: المشرك. ﴿أفأمتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ كما خسف بقوم لوط وبقارون ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ قال قتادة: أي: حجارة من السماء يحصبكم بها كما فعل بقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلًا﴾ أي: منيعًا ولا نصيرًا ﴿أم أمتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي: مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفًا من الريح﴾ يعني: الريح الشديدة ﴿فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا

به تبعاً» أي: أحداً يتبعنا بذلك فيستصر لكم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٥﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِمِيسِرِهِ قَاوُلًا لِّكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٦﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ آعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ آعْمَى وَأَصْلُ سَيِّئًا ٧٧﴾ وَلَنْ كَادُوا لِيَقْتَنُونَكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِقَاتِيَّ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَعْدُوكَ خِلَالًا ٧٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنْتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ ذَيْنَا خِلَالًا ٧٩﴾ إِذَا لَا ذَقْنْتَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٨٠﴾ وَلَنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْسُونُ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٨١﴾ مُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٨٢﴾ ﴿

﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ أي: فضّلنا بني آدم على البهائم والسيّاح والهوام ﴿ورزقناهم من الطيّبات﴾ يعني: طيّبات الطعام والشراب؛ فجعل رزقهم أطيب من رزق الدواب والطيور والجنّ.

﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ تفسير قتادة ومجاهد: أي: بنبيهم.

قال محمد: يجوز أن يكون نصب (يوم) على معنى: اذكر يوم ندعو كل أناس^(١).

﴿ولا يظلمون فتيلًا﴾ أي: قدر فتيل، والفتيل: الذي يكون في بطن النواة^(٢).

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر (٦/٦٢)، الدر المصنوع (٤/٤٠٨).

(٢) لسان العرب (قتل).

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ تفسير قتادة: يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عمًا عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه، فيعلم أن له معادًا، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى ﴿وأضل سبيلًا﴾ أي: طريقًا.

قال محمد: وهذا من عمى القلب؛ أي: هو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلًا؛ لأنه لا يجد طريقًا إلى الهداية.

﴿وإن كادوا﴾ أي: قد كادوا ﴿ليفتنوك﴾ أي: يستزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن ﴿لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ عصمتك ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا إذا لأذقناك﴾ لو فعلت ﴿ضعف الحياة﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿وضعف الممات﴾ أي: عذاب الآخرة.

قال محمد: المعنى: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. قال قتادة: ذكر لنا أن قومًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة يكلمونه ويفخمونه، وكان في قولهم أن قالوا: يا محمد، إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا... فما زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم - يلين لهم - ثم إن الله عصمه من ذلك.

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ يعني بالأرض: مكة ﴿ليخرجوك منها﴾ أي: يخرجونك منها بالقتل؛ في تفسير الحسن ﴿وإذا لا يلبثون (خلفك)﴾^(١) إلا قليلًا يعني: بعدك حتى يستأصلهم بالعذاب لو قتلوك ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أنهم إذا قتلوا نبيهم، أهلكهم الله بالعذاب.

(١) هكذا في الأصل؛ وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص ﴿خلافك﴾. ينظر: السبعة (٢٨٣) النشر (٣٠٨/٢)، التيسير (١٤١) الدر المصون (٤/٤١١).

قال محمد: يجوز أن يكون نصب (ل) (١٨٨) (سنة) بمعنى: أنا (سنتت) السنة فيمن أرسلنا قبلك (١).

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴿أقم الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿لذلولك الشمس﴾ أي: لزوالها في كبد السماء؛ يعني: صلاة الظهر والعصر ﴿إلى غسق الليل﴾ يعني: اجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بُدُوِّ الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل، وظلمته إذا غاب الشفق ﴿وقرآن الفجر﴾ وهي صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال محمد: قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ المعنى: وأقم قرآن الفجر.

﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ يعني: عطية من الله لك.

قال محمد: يقال: تهجد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام (٢).

﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ وعسى من الله واجبة، والمقام المحمود: الشفاعة.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن صِلَّة بن زُفَر، عن حذيفة ابن اليمان قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة؛ كما

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٦/٦٧-٦٨) الدر المصون (٤/٤١٢).

(٢) هذا الفعل من الأضداد. ينظر: لسان العرب (مجد).

خلقوا يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حتى يلجئهم العرق، ولا تكلم نفس إلا بإذنه. قال: فأول من يُدعى محمد ﷺ: يا محمد، فيقول: ليك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والسعيد من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانه رب البيت. ثم يقال له: اشفع. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله^(١).

(١) رواه الطيالسي (٥٤ رقم ٤١٤) والنسائي في الكبرى (٦/٣٨١ رقم ١١٢٩٤) وابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٥) ومسدد ومحمد بن يحيى بن أبي عمر وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٢٩-٢٣٠ رقم ٥٧٥٠) - والبخاري (٧/٣٢٩ رقم ٢٩٢٦) والحاثر بن أبي أسامة - زوائده (٣٣٨ رقم ١١٣٦) - والحاكم (٢/٣٦٣-٣٦٤) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢/٢٨٦) - وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٨) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وقال أبو نعيم: رفعه عن أبي إسحاق جماعة.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٧): رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح.

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٨/٣٨٧): رواه ثقات.

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢١٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٧٦ رقم ٧٨٩) من طريق عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعاً.

ورواه الطبراني في الأوسط (٢/٩ رقم ١٠٥٨) والحاكم (٤/٥٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعاً أيضاً.

وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه مسلم شاهداً. المستدرک نسخة المكتبة الأزهرية الخطية (٤/ق ٢٥٥-ب) وسقط هذا الكلام من المستدرک المطبوع.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقيّة رجاله ثقات.

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ يعني: المدينة حين هاجر إليها؛ أمره الله بهذا الدعاء ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ أي: إلى قتال أهل بذر، وقد كان أعلمه الله أنه سيقاتل المشركين ببذر، ويظهره عليهم.

قال محمد: من قرأ ﴿مُدْخِل﴾ بضم الميم ^(١)، فهو مصدر أدخلته مُدْخِلًا ^(٢)، ومن قرأ: (مَدْخِل) ^(٣) بنصب الميم ^(٤)، فهو على أدخلته فدخل مُدْخِل صدق ^(٥). وكذلك شرح (مُخْرَج) مثله ^(٦) ﴿واجعل لي من لَدُنْكَ من عندك﴾ سلطانًا نصيرًا﴾ أي: حجة بيّنة؛ في تفسير مجاهد.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ^(٨١) وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ^(٨٢) وَإِذَا أَمَرْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِنَّا مَسَّهُ الشُّرُّ كَانَ يَؤُوسًا ^(٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ^(٨٤) وَتَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٨٥) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ^(٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَافٍ ^(٨٧) قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٨٨) ﴿

(١) وهي قراءة العامة ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/٤١٥).

(٢) أي: مصدر ميمي، وليس المراد: المصدر القياسي الذي هو (إدخال).

(٣) في الأصل: مدخلًا. وهو مخالف لنص الآية.

(٤) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي حنيفة وغيرهم. ينظر: البحر (٧٣/٦)، إتحاف الفضلاء

(٢٨٦)، الدر المصون (٤/٤١٥).

(٥) ينظر لسان العرب (دخل).

(٦) أي: بقراءة ضم الميم وفتحها. ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون

(٤/٤١٥).

﴿وقل جاء الحق﴾ وهو القرآن ﴿وزهق الباطل﴾ وهو إبليس؛ هذا تفسير قتادة ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ الزهوق: الداحضُ الذاهب.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ كلما جاء من القرآن شيء كذبوا به، فازدادوا فيه خساراً إلى خسارهم.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يعني: المشرِك؛ أي: أعطيناه السلامة والعافية ﴿أعرض﴾ عن الله وعن عبادته ﴿ونأى بجانبه﴾ تباعد عن الله مستغنياً عنه ﴿وإذا مسه الشر﴾ الأمراض والشدائد ﴿كان يئوساً﴾ أي: يش أن يفرج ذلك عنه، لأنه ليست له نيةٌ ولا حِسبةٌ.

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال قتادة: يعني: على ناحيته؛ لذا يقوى المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره ^(١).

﴿ويسألونك عن الروح﴾ تفسير الكلبي: إن المشركين بعثوا رسلاً إلى المدينة، فقالوا لهم: سلُّوا اليهود عن محمد، وصِفُوا لهم نعتَه وقوله، ثم اتُّنوا فأخبرونا. فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرضٍ قد اجتمعوا فيها - لعيدٍ لهم - فسألوهم عن محمد، ونعتوا لهم نعتَه، فقال لهم خَبَرٌ من أحبار اليهود: إن هذا لنعتُ النبي الذي يُتحدَّث أن الله باعته في هذه الأرض. فقالت له رُسُلُ قريش: إنه فقير عائلٌ يتيمٌ لم يتبعه من قومه من أهل الرأي أحدٌ، ولا من ذوي الأسنان ^(٢) فضحك الحَبِرُ. وقال: كذلك نجده. قالت له رُسُلُ قريش: إنه يقول قولاً عظيماً؛ يدعو إلى الرحمن

(١) وفي تفسير ابن كثير (١١١/٥) عند تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: على ناحيته. وقال مجاهد: على حدته وطبيعته. وقال قتادة: على نيته. وقال ابن زيد: دينه.

(٢) أي: المقدمون في أقوامهم.

باليمامة الساحر الكذاب - يعنون: مسيلمة. فقالت لهم اليهود: اذهبوا (١٨٩ل) فسلوا صاحبكم عن خلال ثلاث؛ فإن الذي باليمامة قد عجز عنهما هما اثنان من الثلاث؛ فإنه لا يعلمهما إلا نبي، فإن أخبركم بهما فقد صدق، وأما الثالثة فلا يجترئ عليها أحد، فقالت لهم رسل قريش: أخبرونا بهن. فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم - وقصوا عليهم قصتهم - وسلوه عن ذي القرنين - وحدثوهم بأمره - وسلوه عن الروح، فإن أخبركم فيه بشيء، فهو كاذب. فرجعت رسل قريش إليهم، فأخبروهم بذلك، فأرسلوا إلى نبي الله فلقبهم فقالوا: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن خلال ثلاث، فإن أخبرتنا بهن فأنت صادق، وإلا فلا تذكرن آلهتنا بشيء. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما هن؟ قالوا: أخبرنا عن أصحاب الكهف؛ فإننا قد أخبرنا عنهم بآية بينة، وأخبرنا عن ذي القرنين؛ فإننا قد أخبرنا عنه بأمر بين، وأخبرنا عن الروح، فقال رسول الله: أنظروني حتى أنظر ما يحدث إلي فيه ربي؟ قالوا: فإننا نأظرك فيه ثلاثاً. فمكث رسول الله ثلاثة أيام لا يأتيه جبريل، ثم أتاه جبريل، فاستبشر به النبي ﷺ وقال: يا جبريل، قد رأيت ما سأل عنه قومي ثم لم تأتني! قال له جبريل: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾^(١) فإذا شاء ربك أرسلني إليك. ثم قال له جبريل: إن الله قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(٢) ثم قال له: ﴿أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم...﴾^(٣) فذكر قصتهم، وقال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين...﴾^(٤) فذكر قصته، ثم

(١) مريم: ٦٤.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الكهف: ٩ - ٢٦.

(٤) الكهف: ٨٣ - ٩٨.

لقي رسول الله قريبًا في آخر اليوم الثالث، فقالوا: ما أحدث إليك ربك في الذي سألتك عنه؟ فقضه عليهم فعجبوا، وغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه. قال قتادة: وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾ يعني به: اليهود؛ أي: أنهم لم يحيطوا بعلمه.

قال يحيى: وبلغني عن بعض التابعين؛ أنه قال: الروح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن حتى لا يبقى منه شيء ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي: وليًا يمنعك من ذلك. ﴿إلا رحمة من ربك...﴾ فيها إضمارٌ يقول: وإنما أنزلناه عليك رحمة من ربك، الآية. ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ أي: عويتاً^(١).

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْفِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ آبٍ ۝٩٢ أَوْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا سُنْبُلًا ۝٩٣ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٥ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشِي يَسْتَوْفٍ مُطْمَئِنِّينَ لَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝٩٦﴾

(١) المراد: مُعَيَّنًا، فهي فاعل بمعنى فاعل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (عون).

﴿ولقد صرفنا للناس﴾ أي: ضربنا لهم ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾ .
 ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي: عَيْنًا يبلدنا هذا ﴿أو تكون لك
 جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها﴾ خلال تلك الجنة ﴿أو تسقط
 السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ قطعاً؛ في تفسير قتادة ﴿أو تأتي باللّه
 والملائكة قبلاً﴾ أي: عياناً؛ في تفسير قتادة .
 قال محمد: (قبلاً) مأخوذ من المقابلة^(١) .

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي: من ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في
 السماء ولن نؤمن لرقيك﴾ لصعودك أيضاً؛ فإن السحرة قد تفعل ذلك، فتأخذ
 بأعين الناس حتى تبدّل ﴿حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ إلى كل إنسان بعينه،
 من اللّه إلى فلان ابن فلان وفلان ابن فلان وفلان ابن فلان أن آمنوا بمحمد؛
 فإنه رسولي .

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي: هل كانت الرسل تأتي
 فيما مضى بكتاب من اللّه إلى كل إنسان بعينه؟! أنتم أهون على اللّه من أن
 يفعل بكم هذا .

﴿وما منع الناس﴾ يعني: المشركين ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن
 قالوا أبعث اللّه بشراً رسولاً﴾ (١٩٠ج) على الاستفهام؛ أي: لم يبعث اللّه
 بشراً رسولاً، فلو كان من الملائكة لآمنا به .

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي: قد اطمأنت بهم
 الدار فهي مسكنهم ﴿لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ ولكن فيها بشر؛

(١) وقيل: القبيل هو الكفيل والضامن ، وقيل: الجماعة . وقيل غير ذلك . ينظر لسان العرب (قبل) .

فأرسلنا إليهم بشرًا مثلهم .

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦) وَمَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْهْتَدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبِكَمَا وَصَّمَا تَأْوِيهِمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَوْفَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ قال محمد: المعنى: كفى الله شهيدًا، والنصب يجوز في قوله: (شهيدًا) على نوعين: إن شئت على التمييز؛ كفى الله من الشهداء، وإن شئت على الحال؛ كفى الله في حال الشهادة^(١).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ موضع (أن) نصب وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ موضع (أن) رفع، المعنى: ما منعهم من الإيمان إلا قولهم^(٢).

﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال السدي: يعني: نسوقهم بعد الحساب إلى النار ﴿عَلَى وَجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبِكَمَا وَصَّمَا﴾ أما (عميًا) فعموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئًا وهي سوداء مظلمة لا يضيء لها، و(بكمًا): خرسًا؛ انقطع كلامهم حين قال: ﴿اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾^(٣) و(صمًا): أذهب الزفير والشهيق بسمعهم؛ فلا يسمعون معه شيئًا، وقال في آية أخرى:

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٢٦١)، الكتاب (١٧/١)، (١٩)، شرح المفصل لابن يعيش (١٠/١٠٥).

(٢) وينظر تفصيل ذلك من الدر المنصون (٤/٤٢٠)، البحر المحيط (٦/٦٧-٦٨).

(٣) المؤمنون: ١٠٨.

﴿وهم فيها لا يسمعون﴾^(١).

﴿كلما خبت زدنهم سعيًا﴾ تفسير مجاهد: كلما طفئت أسعرت.
قال محمد: خبت النار تخبو خُبُوا؛ إذا سكن لهبها^(٢)، فإن سكن اللهب ولم يطفأ الجمر، قيل: خمدت تخمد خمودًا^(٣)، وإن طفئت ولم يبق منها شيء قيل: همدت تهمد همودًا^(٤).

وقوله: (زدنهم سعيًا) أي: نازًا تسعر تتلهب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٥) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾^(٦)

﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ وهم يقرون أنه خلق السموات والأرض ﴿قادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾ يعني: البعث ﴿وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه﴾ لا شك فيه؛ يعني: القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفورًا﴾ بالقيامة.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ تفسير السدي: يعني: مفاتيح الرزق ﴿إذا لمسكتكم خشية الإنفاق﴾ خشية الفاقة ﴿وكان الإنسان قتورًا﴾ بخيلًا - يخبر أنهم بخلاء؛ يعني: المشركين.

﴿وَلَقَدْ مَآئِنَا مُوسَىٰ إِنْ شَأْنُكَ فَتَنَّاكَ بِتِلْكَ الْوَدَّاعَةِ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ

(١) الأنبياء: ١٠٠.

(٢) يقال: خبت النار تخبو خُبُوا؛ سكنت. لسان العرب (خبو).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (خمد).

(٤) لسان العرب، مختار الصحاح (همد).

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٢١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنٍ مُّثْبَرًا ﴿١٢٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٢٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٢٤﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ يده، وعصاه، والطوفان، والجراد،
والقمل، والضفادع، والدم ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من
الثمرات﴾.

﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ يقول ذلك للنبي ﷺ ﴿فقال له فرعون
إني لأظنك يا موسى مسحور﴾ قال محمد يعني: مخدوعاً؛ في تفسير
بعضهم.

﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات؛ يقول هذا لفرعون ﴿إلا
رب السموات والأرض بصائر﴾ يعني: حججاً. مقرأ العامة: ﴿لقد علمت﴾
بفتح التاء؛ يعني: فرعون^(١)؛ كقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً
وعلوّاً وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾^(٢) أي: مهلكاً.

﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ يعني: أرض مصر؛ أي: يخرجهم منها
بالقتل ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ يعني: بني إسرائيل وفرعون
وقومه، (لفيفاً) جميعاً.

قال محمد: اللفيف معناه في اللغة: الجماعات من قبائل شتى^(٣).

(١) وقرأ الكسائي (علمت) بضم التاء، ينظر الدر المصون (٤/٤٢٥).

(٢) الإسراء: ١٠٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (لفف).

﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (١٠٦) ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨) ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩) ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِكَلِمَاتِهِ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠) ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَكِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا﴾ (١١١) ﴿تَكْبِيرًا﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً بالجنة وبنذيراً﴾ تنذر الناس .

﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي: طول، ومن قرأها بالتخفيف^(١)، فالمعنى: فرق فيه بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ومن قرأها بالتثقیل^(٢)، فالمعنى: فرق الله؛ فأنزله يومًا بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعامًا بعد عام منجمًا يقرأ به قلبك.

قال محمد: قوله (قرآنًا) منصوب بفعل مضمر؛ المعنى: وفرقناه قرآنًا^(٣).

(ل) (١٩١) ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ﴾ يعني: القرآن يقول للمشركين ﴿أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل القرآن؛ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب ﴿إذا

(١) أي: (فرَّقناه) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/٤٢٦).

(٢) أي: (فرَّقناه) وهي قراءة ابن محسن، وأبي، وعلي، وابن عباس، وغيرهم. ينظر: البحر (٨٧/٦)، المحتسب (٢/٢٣)، إتحاف الفضلاء (٢٨٧).

(٣) وفي توجيهات نحوية أخرى تنظر من معاني القرآن للفراء (١٣٢/٢) إعراب القرآن (٢/٢٦٣)، البحر (٨٧/٦).

يتلى عليهم ﴿القرآن﴾ «يخرون للأذقان» للوجوه؛ في تفسير قتادة ﴿سجدًا﴾ ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿أي: قد كان. قال محمد: المعنى: كان وعد ربنا مفعولاً، ودخلت (إن) واللام للتوكيد^(١)﴾.

و(يخرون للأذقان) يعني: الوجوه.

﴿يبيكون ويزيدهم﴾ يعني: القرآن ﴿خشوعًا﴾ والخشوع: الخوف الثابت في القلب.

قال محمد: (الأذقان) واحدها: ذقن؛ وهو مجمع اللّخين؛ وهو عضو من أعضاء الوجه^(٢)، و(سجدًا) منصوبٌ على الحال^(٣).

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ (...)^(٤).

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعو﴾ يقول: أيّ الاسمين دعوتهم ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي: أنه هو الله وهو الرحمن.

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا﴾ تفسير ابن عباس: يقول: هذا في الصلاة المكتوبة لا تجعلها كلها سرًا، ولا تجعلها كلها جهراً، وابتغ بين ذلك سبيلًا.

قال يحيى: في تفسير الكلبي «أن رسول الله ﷺ إذ هو بمكة كان يجتمع إليه أصحابه؛ فإذا صلى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فأذوه، وإن

(١) معاني القرآن للزجاج (١٦٠/٢)، كشف المشكلات (٧٣٧/٢).

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (ذقن).

(٣) ينظر: الدر المصون (٤٢٨/٤)، البحر (٨٨/٦).

(٤) طمس في الأصل.

خفض صوته لم يُسمع من خلفه، فأمره الله أن يتغي بين ذلك سبيلًا.
﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا﴾ يتكثر به من القلة ﴿ولم يكن له
شريك في الملك﴾ خلق معه شيئًا ﴿ولم يكن له ولي من الدل﴾ يتعزز به
﴿وكبره تكبيرًا﴾ أي: عظمه تعظيمًا.

تفسير سورة الكهف، وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَحْبِذُ لِلَّهِ الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ فَيَسَا يَنْزِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنَبِّشُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَكْتُوبٍ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۖ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَمَّا لَكَ بِخُجْ نَفْسِكَ عَلَى مَا نَذَرْنَاهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا ۖ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو الحميد ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ يقول: لا عوج فيه ولا اختلاف ﴿لينذر بأسًا شديدًا من لدنه﴾ أي: بعذاب شديد من لدنه؛ أي: من عنده ﴿وينبش المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا﴾ عند الله في الجنة ﴿ماكتين فيه أبدًا﴾.

﴿ما لهم به من علم﴾ أن لله ولذا ﴿ولا لآبائهم﴾ الذين كانوا في الشرك ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ (كلمة) بالنصب^(١)، وكان الحسن يقرؤها (كلمة) بالرفع^(٢)؛ وتفسيرها: كبرت تلك الكلمة كلمة أن قالوا أن لله ولذا.

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٢٦٥)، البيان (٢/١٠٠)، معاني القرآن للفراء (٢/١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير في رواية القواس عنه. ينظر: البحر (٦/٩٧)، المحتسب (٢/٢٤)، الدر المصون (٤/٤٣٣).

قال محمد: ومن قرأها بالنصب، فهو على التمييز؛ بمعنى: كبرت مقالاتهم: اتخذ الله ولداً كلمة^(١).

﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفا﴾ أي: حزناً عليهم.

قال محمد: (أسفا) منصوبٌ مصدرٌ في موضع الحال^(٢).

﴿لنبلونهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ أي: أطوع لله.

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ ما على الأرض ﴿صعيداً جرزاً﴾ قال قتادة: الجُرز: التي ليس فيها شجرٌ ولا نبات.

قال محمد: يقال: أرض جرز، وأراضون أجزاز^(٣)، والصعيد عند العرب: المستوي^(٤).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ ٩ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ١٠ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءُذُنِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١١ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُوهُمْ أَلَيْسَ لِلْخَازِنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَيْسُوا أَمَدًا﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ نَفَخْنَا عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ١٣ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٨٨)، البحر (٩٧/٦) وينظر في توجيه هاتين القراءتين البحر (٩٧/٦)، الدر المصون (٤٣٣/٤).

(٢) ينظر الدر المصون (٤٣٤/٤).

(٣) يقال: جُرْزٌ، وجُرْزٌ وجَزَزٌ بمعنى: لسان العرب، مختار الصحاح (جرز).

(٤) والصعيد: التراب. وقال ثعلب: هو وجه الأرض. لسان العرب. مختار الصحاح (صعد).

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
 بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفَرَدْنَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا ﴿١٦﴾
 ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: أفحسبت ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
 عجبًا﴾ تفسير قتادة: يقول: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك،
 والكهف: كهف الجبل، والرقيم: الوادي الذي فيه الكهف ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ
 إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي: رزقًا. ﴿وَهَيَّجْنَا لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
 رَشَدًا﴾.

قال محمد: المعنى: أرشدنا إلى ما يقرب منك.

قال يحيى: كانوا قومًا قد آمنوا، وفروا بدينهم من قومهم، وكان قومهم
 على الكفر، وخشوا على أنفسهم القتل.

قال: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

قال محمد: (...) ^(١) و(عددًا) منصوب (ل) (١٩٢) على المصدر ^(٢)؛ أي:
 تُعَدُّ عَدًا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا﴾ قال محمد: (أمدًا)
 منصوب على التمييز؛ المعنى: لنعلم أي الحزبين أحصى للبشوا أمدًا ^(٣)،
 وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ﴾ يعني: من نومهم، وكل شيء ساكن حركته للتصرف

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر: البحر (١٠٢/٦)، معاني القرآن للفراء (١٣٥/٢)، تفسير القرطبي (٣٦٣/١٠).

(٣) وفيه أقوال أخر. ينظر: الدر المنثور (٤٣٧/٤).

فقد بعثه .

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي: خبرهم .

﴿وزدناهم هدى﴾ يعني: إيماناً .

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ بالإيمان . قال محمد: المعنى: ألهمناهم الصبر،

وثبتنا قلوبهم .

﴿لقد قلنا إذا شططاً﴾ قال قتادة: يعنون: جوراً .

﴿لولا﴾ هلاً ﴿يأتون عليهم بسلطان بين﴾ بحجة بينة؛ بأن الله أمرهم

بعبادتهم ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: لا أحد أظلم منه .

﴿وإذ اعتزتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ قال قتادة: هي في مصحف ابن

مسعود (وما يعبدون من دون الله)^(١) وهذا تفسيرها ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي:

فانتهوا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي: ييسط لكم من رزقه؛

في تفسير السدي .

﴿وَرَى السَّمَاسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرٌّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ

الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْفِتْرَةَ وَفِي ذَلِكَ لِمَنْ يَضِلُّ

فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا ۝٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ

الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَاهُ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ

مِنْهُمْ رُغَبًا ۝٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا

(١) وقرأ أيضاً عبد الله بن مسعود: (وما يعبدون من دوننا) ينظر البحر (١٠٦/٦)، الطبري (١٥/

لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ قَابَعَوْا أَعَدَّكُمْ بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ
إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُكُمْ فِي مَلْتِهِمْ وَلَنْ
تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴿

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾ أي: تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين
وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تتركهم ﴿ذات الشمال﴾ قال الحسن: يقول: لا
تدخل الشمس كهفهم ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: في فضاء من الكهف.
قال محمد: (تزاور) الأصل فيه: (تزاور) فأدغمت التاء في الزاي^(١)،
و(تقرضهم) أصل القرض: القطع والفرقة^(٢)، والقراءة (تقرضهم) بكسر
الراء^(٣) وفيه لغة أخرى (تقرضهم) بالضم^(٤).
﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ أي: صاحبنا
يرشده.

قال محمد: (المهتد) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير
ياء^(٥)، ووقعت في الأعراف بالياء^(٦)، وحذف الياء جائز في الأسماء، ولا

(١) ينظر: مجمع البيان (٤٥٥/٣)، البيان (١٠٢/٢).

(٢) وقوله تعالى: ﴿تقرضهم ذات الشمال﴾؛ أي: تُخَلِّفهم شمالاً وتُجَاوِزهم وتَقْطَعهم وتتركهم
عن شمالها. مختار الصحاح (قرض).

(٣) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤٤٢/٤).

(٤) أي: بضم الراء وليست هذه قراءة قرآنية، إنما هي لغة في (تقرضهم) ينظر لسان العرب
(قرض).

(٥) وأثبت الياء وصلا المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحاليين يعقوب، ووردت عن ابن شنبوذ
عن قبل. النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٤).

(٦) الأعراف: ١٧٨.

يجوز في الأفعال^(١).

﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي: مفتحة أعينهم ﴿وهم رقود﴾ .

قال محمد: الأيقاظ: المتنبهون، والرقود: النيام.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال قتادة: في رقدتهم الأولى قبل

أن يموتوا.

قال أبو عياض: لهم في كل عام تقلبتان ﴿وكلبهم باسط ذراعيه

[بالوصيد]^(٢)﴾ أي: بفناء الكهف ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرازاً

ولملت منهم رعباً﴾ .

قال محمد: (فرازاً) منصوبٌ على المصدر؛ لأن معنى وليت: فررت^(٣)،

و(رعباً) منصوبٌ على التمييز^(٤) .

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو

بعض يوم﴾ وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار، قال: فنظروا فإذا هو قد بقي

من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، ثم إنهم شكوا؛ فردوا ذلك إلى

الله فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ أي:

بдраهمكم ﴿إلى المدينة﴾ وكانت معهم دراهم ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾

تفسير سعيد بن جبير: أيها أحل.

قال يحيى: وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله.

(١) ينظر: مجمع البيان (٤٥٥/٣) البيان (١٠٢/٢).

(٢) سقط من الأصل، والصواب إثباته؛ لأنه مشروخٌ بعد.

(٣) لسان العرب (ولي).

(٤) ينظر: البحر (١٠٩/٦)، التبيان (٨٤١)، مجمع البيان (٤٥٥/٣).

﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعروا﴾ يعلمن ﴿بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ الكفر ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ إن فعلتم .

﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ آلُكُمْ بِرَبِّكَ إِذْ يَنْتَظِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ وكذلك أعترا عليهم﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان الذي أحياهم الله فيه ﴿ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ يعني: قومهم؛ كانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام، ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعث الناس في أجسادهم - وهؤلاء المؤمنون كان الملك منهم - وقال بعضهم: تُبعث الأرواح بغير أجساد؛ فبعث الله أصحاب الكهف (ل١٩٣) يُروون أنها تلك الأمة الذين فروا منهم. [ودخل] ^(١) المدينة وهي مدينة بالروم يقال لها: قيسوس ^(٢)، وأخرج الدراهم؛ ليشتري بها الطعام، فاستنكرت الدراهم، وأخذ فذهب به إلى ملك المدينة؛ فإذا الدراهم

(١) في الأصل: دخل - بدون الواو - وأثبتها لربط السياق.

(٢) وفي تفسير ابن كثير (١٤٢/٥): يقال لها: قيسوس. ولم أجد قيسوس ولا دقوس في معجم البلدان ولا في معجم ما استعجم، والله أعلم.

دراهم الملك الذي فروا منه؛ فقالوا: هذا رجل وجد كنزًا، فلما خاف على نفسه أن يعذب أطلع على أصحابه، فقال لهم الملك: قد بين الله لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس ليُبعثون في أجسامهم، فركب الملك والناس معه؛ حتى أتوا إلى الكهف وتقدمهم الرجل حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتوا؛ لأنه قد كانت أتت عليهم آجالهم، فقال القوم: كيف نصنع بهؤلاء؟! ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا﴾ .

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ رؤسائهم وأشرافهم ﴿لنتخذن عليهم مسجدًا﴾ .

قال الله: ﴿سيقولون﴾ سيقول أهل الكتاب: ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ قال: السدي: يعني: رميًا بقول الظن. قال محمد: المعنى يقولون ذلك ظنًا بغير يقين. قال زهير:

وما الحربُ إلا ما علمتم ودُفتم وما هو عنها بالحديث المرجم^(١)

قوله: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال قتادة: إلا قليل من الناس، وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

قال: ﴿فلا تمار فيهم﴾ يقول الله للنبي: فلا تمار أهل الكتاب في أصحاب الكهف ﴿إلا مراء ظاهرًا﴾ أي: إلا بما أخبرتك؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: المعنى: أفت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك.

﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم أحدًا﴾ من اليهود .

(١) البيت من بحر الطويل، وهو من معلقة زهير المشهورة. ينظر: خزانة الأدب (٣/٣٤٥)،

حاشية يس (٦٢/٢)، تفسير القرطبي (١٠/٣٨٣).

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ ﴿٢٤﴾ وَلِئِنْ شَأْنُكَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ۖ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبٌ أَلَسَعُنَّ وَالْأَرْضُ أَبْصَرَ بِهِ ۖ وَأَسْمِعُ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٢٦﴾﴾
 ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول: إلا أن تستثني.

قال محمد: المعنى: إلا أن تقول: إن شاء الله؛ فأضمر القول؛ ذكره أبو عبيد.

وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾.

قال يحيى: «بلغنا أن اليهود لما سألت رسول الله عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم عنها غدا. ولم يستثن؛ فأنزل الله هذه الآية» (١).

قال الحسن: أمر ألا يقول لشيء في الغيب: إنني فاعل ذلك غدا، دون أن يستثني: إلا أن يشاء الله، وأمر أن يستثني إذا ذكر؛ فكان الحسن يقول: إذا حلف الرجل على شيء وهو ذاكراً للاستثناء، ولم يستثن فلا ثبثاً له، وإن حلف على شيء وهو ناسٍ للاستثناء فله ثبثاً ما دام في مجلسه ذلك تكلم أو لم يتكلم.

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٩-٢٧١) من طريق ابن إسحاق عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وهو في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق (١/ ٣٢٠-٣٢٢) بغير إسناد.

﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ قال محمد: قيل: المعنى: عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشيد، وأدل من قصة أصحاب الكهف. ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة، فقال: ﴿سنين﴾.

قال محمد: (سنين) عطف على ثلاثمائة؛ وهذا العطف يسميه التخيرون: عطف البيان والتوكيد^(١).

قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي: تسع سنين. تفسير قتادة: قال: هذا قول أهل الكتاب، رجع إلى أول الكلام ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ ويقولون: ﴿لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعاً﴾. قال قتادة: فرد الله على نبيه فقال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾ أي: يعلم غيب السموات والأرض ﴿أبصر به وأسمع﴾ يقول: ما أبصره وما أسمع! قوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ أي: ولا يشرك الله في حكمه أحداً.

﴿وَأَنزَلْنَا مَا أَنزَلْنَا مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنُحْجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٧) وَأَصْبَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْتِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعَنَّ مَنْ أَغْوَيْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

(١) إعراب القرآن (٢/ ٢٧١)، البحر (٦/ ١١٦-١١٧)، مجمع التفسير (٤/ ١٠١)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٨).

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُفْرًا مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا يغير في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ (ل ١٩٤) قال قتادة: يعني [مولدا] ^(١) قال: ملتحدا؛ أي: نصيرا؛ يقال: لحدث وألحدث بمعنى: عدلت ^(٢).

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال قتادة: هما الصلاتان: صلاة الفجر، وصلاة العصر، وبعدهما فرضت الصلوات قبل خروج النبي من مكة إلى المدينة بسنة ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾ مخففة لهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾.

قال محمد: ومعنى (لا تعد): لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم.

قال يحيى: نزلت في سلمان الفارسي وصُهب وخبّاب بن الأرت وسالم مولى أبي حذيفة؛ قال المشركون للنبي ﷺ: إن أردت أن نجالسك فاطرُذ عنا هؤلاء القوم.

(١) طمس بالأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١٥/٢٣٣).

(٢) لسان العرب (لحد).

يحيى: عن أشعث، عن يعلى بن عطاء، عن (عمرو)^(١) بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطيم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً»^(٢)،^(٣).

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «لأن أجالس أقواماً يذكر الله بعد صلاة الصبح؛ حتى تطلع الشمس أحب إلي من كل ما تطلع عليه الشمس ولأن أجالس أقواماً يذكر الله بعد صلاة العصر؛ حتى تغيب الشمس أحب إلي من أعتق ثمانية من ولد إسماعيل»^(٤).

(١) كذا في الأصل، والحديث معروف من رواية بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو. أو عن بشر بن عاصم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ذكره البخاري في تاريخه (٧٧/٢) في ترجمته بشر بن عاصم، والله أعلم.

(٢) أي: كثيراً؛ يقال: سَحَّ يَسْحُ سَحّاً. لسان العرب (سحج).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٧٢ رقم ٥، ٨/٢٣٥ رقم ٢) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٣٩٤ رقم ١١١٦) من طريق هشيم عن يعلى بن عطاء موقوفاً. قال البخاري في التاريخ (٧٧/٢) بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قوله في الذكر، قاله هشيم أخبرنا يعلى بن عطاء.

وقال كثير بن هشام: حدثنا أبو الربيع السمان عن يعلى بن عطاء عن بشر بن عاصم عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «ذكر الله بالغداة والعشي أفضل» اهـ.

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٥٣٤) عن الحسن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس ابن مالك.

وقال ابن عدي: وخراش هذا مجهول ليس بمعروف، وما أعلم حدث عنه ثقة أو صدوق إلا الضعفاء... فإذا لم يُعرف الرجل وكان مجهولاً كان حديثه مثله، والعدوي هذا كُنا نتهمة بوضع الحديث، وهو ظاهر في الكذب. اهـ.

وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/٣٥١): رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل، وهو معروف من قول ابن عمر -كذا- كما رواه ابن عبد البر في التمهيد.

(٤) رواه الطيالسي (٢٨١ رقم ٢١٠٤) وأحمد بن منيع -كما في إتحاف الخيرة (٦/٣٧٣ رقم =

قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ يعني: شهوته
﴿وكان أمره فرطاً﴾ يعني: تضييعاً ﴿وقل الحق من ربكم﴾ قال قتادة: يعني:
القرآن.

قال محمد: المعنى: وقل الذي آتيتكم به الحق من ربكم.
﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: من آمن دخل
الجنة، ومن كفر دخل النار.

قوله: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ يعني: سورها ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل﴾ تفسير زيد بن أسلم: كَعَكْرٍ^(١) الزيت.
قال محمد: ما أذيب من الذهب والفضة، والصُّفْر والرصاص وما أشبه
ذلك فهو عند أهل اللغة: مُهْلٌ^(٢).

﴿يشوي الوجوه﴾ أي: يحرقها إذا أهوى ليشربه ﴿بئس الشراب وساءت
مرتفعاً﴾ أي: منزلاً ومأوى؛ وهذا وعيدٌ لمن كفر.

= ٦٠٤٣/٣- والحارث بن أبي أسامة في مسنده- زوائد (٣١٤ رقم ١٠٥٣، ١٠٥٤)-
وأبو يعلى في مسنده (١٢٨/٧-١٢٩ رقم ٤٠٨٧، ١٥٤/٧ رقم ٤١٢٥، ٤١٢٦) وابن
السنبي في عمل اليوم والليلة (٣١٦-٣١٧ رقم ٦٧٠) والطبراني في الدعاء (٥٢٥ رقم ١٨٧٩)
والبيهقي في السنن (٣٨/٨، ٧٩) وفي الشعب (٤٠٩/١ رقم ٥٦٠) وابن حجر في نتائج
الأفكار (٧-٩) من طريق يزيد الرقاشي به.

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٤/١٠): يزيد الرقاشي ضعيف لا يحتج به.
وقال النووي في الأذكار: رويناه في كتاب ابن السنبي بإسناد ضعيف.
وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٨/٣): ورجاله ثقات إلا الرقاشي، وهو يزيد بن أبان؛ فقد
ضعفوه.

(١) العَكْرُ: هو دُزْدِي الزيت. لسان العرب، مختار الصحاح (عكر).
(٢) وقال أبو عمرو: المهمل: دردي الزيت. قال: والمهمل أيضاً: القيح والصدید. لسان العرب،
مختار الصحاح (مهمل).

قال محمد: (مرتفعًا) منصوبٌ على التمييز^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

يحيى: عن ابن لهيعة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَوْ بَدَأَ إِسْوَارَهُ لَغَلَبَ عَلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ»^(٢).

وقال سعيد بن المسيب: ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يده ثلاثة أسورة: إسوارٌ من ذهب، وإسوارٌ من فضة، وإسوارٌ من لؤلؤ.

(١) ينظر: البحر المحيط (١٢١/٦)، الدر المصون (٤٥١/٤).

(٢) كذا ورد هذا الحديث في الأصل عن ابن لهيعة معضلاً.

ورواه الإمام أحمد (١٦٩/١)، والترمذي (٥٨٥/٤) رقم ٢٥٣٨ ونعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (١٢٦ رقم ٤١٦) والبخاري في مسنده (٣١٥/٣ رقم ١١٠٩) والدورقي في مسند سعد (٢٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٣/٢ رقم ٢١٠، ١١١/٢ رقم ٢٦٦) والبيهقي في شرح السنة (٢١٤/١٥ رقم ٤٣٧٧) والضياء في المختارة (٣/٢٠٢ رقم ١٠٠٣) والمزي في تهذيب الكمال (٨/٤٠٨-٤٠٩) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال: عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ.

وقال البغوي: هذا حديث غريب.

وتابع ابن لهيعة عليه الليث؛ قال الدارقطني في العلل (٤/٣٣٥-٣٣٦ رقم ٦٠٨) لما سئل عن هذا الحديث: يرويه يزيد بن أبي حبيب، واختلف عنه.

فرواه الليث عن يزيد عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده. وخالفه يحيى بن أيوب؛ فرواه [عن] يزيد بن أبي حبيب عن عمر بن سعد. والأول أصح.

ولذا قال الضياء في المختارة: وما كتبت هذا الحديث من حديث ابن لهيعة إلا لقول الدارقطني: إن الليث قد رواه عن يزيد بن أبي حبيب.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٦/٢٠٨) والبخاري في مسنده (٣/٣١٥ رقم ١١٠٩) من طريق يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمر، عن سعد.

﴿ويلبسون ثياباً من سندس وإستبرق﴾ وهما نوعان من الحرير .

قال محمد: قيل: إن السندس رقيق الدياج، والإستبرق ثخينه .

﴿مكتنين فيها على الأرائك﴾ تفسير ابن عباس: الأرائك: السُرُر عليها الحجال^(١) .

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٧﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَتْ أَكْطَاهَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٨﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٩﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤٠﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤١﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ لَا يُعْطِيكَ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٤٢﴾ لَنُكَفَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا ﴿٤٤﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ جَبَلًا زَلَقًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ قال محمد: يقول: جعلنا النخل مطبقاً بهما. وقوله: ﴿مثلاً رجلين﴾ نصبهما على معنى المفعول^(٢)؛ أي: اضرب لهم رجلين مثلاً.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلهما﴾ أطعمت ثمرتها ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي:

تنقص .

(١) واحدها: حَجَلَةٌ؛ وهي بيت يزِين بالثياب والأسيرة والسُتُور. لسان العرب ، مختار الصحاح (حجل).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/٤٥٤).

قال محمد: قال: (آتَتْ) ولم يقل: (آتَا)؛ لأنَّ المعنى كل واحدة منهما آتَتْ أكلها^(١).

﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ أي: بينهما ﴿وكان له ثمر﴾ أي: أصل ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ يعني: رجالاً وناصرياً.

قال يحيى: كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً؛ فافتسماه فأصاب كل واحد منهما أربعة آلاف دينار، فأما أحدهما فكان مؤمناً فأنفق في طاعة الله وقدمه لنفسه، وأما الآخر فكان كافراً اتخذ الأرضين والضياع والدور والرقيق (...) ^(٢) فاحتاج المؤمن ولم يبق في يده شيء فجاء إلى أخيه يزوره، ويتعرض لمعروفه، فقال أخوه: وأين ما ورثت؟ قال: أقرضتُه (ل ١٩٥) ربي وقدمته لنفسي؛ فقال له أخوه: لكنني اتخذتُ به نفسي ولولدي؛ ما قد رأيت.

قال الله: ﴿ودخل جتته وهو ظالمٌ لنفسه﴾ يعني: بشركه ﴿قال ما أظن﴾ أي: ما أوقن ﴿أن تبيد هذه أبداً﴾ أي: تفنى، تفسير الحسن: ليس يعني: أنها لا تفنى فتذهب، ولكنه يعني: أنه يعيش فيها حتى يأكلها حياته ﴿وما أظن﴾ أي: وما أوقن أن ﴿الساعة قائمة﴾ يجحد بالبعث ﴿ولئن رُودتْ إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها﴾ أي: من جتتي ﴿منقلباً﴾ في الآخرة إن كانت آخرة. قال: ﴿ودخل جتته﴾ وقال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ كانت جنةٌ فيها نهر، فهي جنةٌ وهي جنتان ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره...﴾ إلى قوله:

(١) ينظر البحر المحيط (٦/١٢٣-١٢٤)، والدر المصون (٤/٤٥٤).

(٢) طمس في الأصل.

﴿لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا﴾.

قال محمد: (لكننا) كتبت - فيما ذكر أبو عبيد - بالألف في المصحف الذي يقال: هو مصحف عثمان^(١). قال: وقرأها غير واحد مشددة على حذف الألف إذا وصلوا^(٢)، وأصلها فيما أرى (لاكن أنا) فالتقت النونان فأدغمتا؛ فإذا وصلت القراءة حذفت الألف، وثبتت في الوقف^(٣)، وهذا كقولك: أن^(٤) فعلت ذلك، فالألف محذوفة، فإذا سكت عليها قلت: أنا - بإثبات الألف.

قال محمد: وذكر الزجاج أن من أثبت الألف في الوصل كما يثبتها في الوقف - فهو على لغة من قال: أنا فعلت، قال: وإثباتها في الوصل شاذ^(٥).
﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي: فهلا إذ دخلت جنتك ﴿قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ ثم قال: ﴿إن ترني﴾ أنا أقل منك مألًا وولدًا فعسى ربي أن يؤتيني ﴿في الآخرة﴾ خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانًا من السماء ﴿قال السدي: يعني: نازًا من السماء.

(١) قراءة إثبات الألف وصلا ووقفًا هي لابن عامر، ونافع في رواية عنه. ينظر السبعة (٣٩١)، النشر (٣١١/٢)، تفسير القرطبي (٤٠٥/١٠).

(٢) أي قراءة (لكن) بغير ألف وصلا ووقفًا وغزيت هذه القراءة للكسائي، ولأبي عمرو أيضًا. ينظر: البحر (١٢٨/٦)، القرطبي (٤٠٤/١٠) وابن مجاهد يقول في كتاب السبعة (٣٩١): لم يختلف في الوصل أنه بالألف، وإنما اختلف في الوصل. اه. وقال ابن الجزري في النشر (٣١١/٢): ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعًا للرسم. اه.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٤/٢)، إعراب القرآن (٢٧٥-٢٧٦)، البحر (١٢٧/٦-١٢٨).

(٤) أي: (أنا)، وحذفت الألف وصلًا.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٦٩/٢-١٧٠)، الخصائص (٣٣٣/٢)، (٩٢/٣)، شرح المفصل لابن يعيش (٦٢/٨، ٦٤).

(٦) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٧).

قال محمد: وقيل: ﴿حَسْبَانَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: مرامي، واحداً منها: حُسْبَانَةٌ^(١). ومن قرأ: (أقل) بالنصب^(٢) فهو مفعول ثانٍ للترى، ودخلت (أنا) للتوكيد^(٣).

قال: ﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ تفسير الحسن: يعني: تراباً لا نبات فيه. قال محمد: (الصعيد): المستوي، ويُسمى وَجْهُ الأرض: صعيداً، ولذلك يقال للتراب: صعيد^(٤)؛ لأنه وَجْهُ الأرض^(٥)، و(الزلق): الذي تزلُّ عليه الأقدام.

﴿أَوْ يَصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا﴾^(١) وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَفْقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٢) وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فَنَتَّ يَصْعُقُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾^(٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٤) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَالْعَاءِ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا﴾^(٥) أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٦)

﴿أو يصبح﴾ يعني: أو يصير ﴿مأواها غوراً﴾ أي: ذاهباً قد غار في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾.

(١) لسان العرب (حسب).

(٢) وهي قراءة الجمهور، وقرأ عيسى بن عمر (أقل) بالرفع. ينظر: الدر المصون (٤/٤٥٨).

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/١٤٥)، إعراب القرآن (٢/٢٧٦)، البحر (٦/١٢٩).

(٤) في الأصل: صعيداً.

(٥) وهو قول ثعلب. ينظر مختار الصحاح (صعد).

قال محمد: (غورًا) مصدرٌ وضع موضع الاسم، يقال: ماء غورٌ، ومياه غور^(١).

﴿وأحيط بشمره﴾ من الليل.

قال محمد: معنى (أحيط): أهلك.

﴿فأصبح﴾ من الغد ﴿يقلب كفيه﴾ قال الحسن: يقول: يضرب إحداهما على الأخرى ندامة ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾.

قال محمد: معنى (خاوية على عروشها) أي: خرابٌ على سقفها، والأصل في ذلك: أن يسقط السقفُ ثم تسقط الحيطان عليها.

﴿ويقول﴾ في الآخرة ﴿يا ليتني لم أشرك بربي﴾ في الدنيا ﴿أحدًا﴾.

﴿ولم تكن له فئة﴾ أي: عشيرة ﴿ينصرونه من دون الله﴾.

قال محمد: قوله: ﴿فئةٌ ينصرونه﴾ ولم يقل: تنصُرُه^(٢)؛ المعنى: ولم يكن له أقوامٌ ينصرونه.

﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ تقرأ برفع (الحق) وبجره^(٣)، فمن قرأها بالرفع فيقول: هنالك الولاية الحقُّ لله، ومن قرأها بالجر يقول: لله الحقُّ، والحق اسم من أسماء الله؛ المعنى: هنالك يتولَّى الله كُلُّ عبيدٍ لا يبقى أحدٌ يومئذٍ إلا تولَّى الله، فلا يقبل ذلك من المشركين.

(١) قيل: ماء غور؛ أي: غائر. وصف بالمصدر؛ كذرهم ضرب. لسان العرب، مختار الصحاح (غور).

(٢) لأن معنى (فئة): طائفة؛ فهي واحد في اللفظ، جمع في المعنى. والجمع: فئات، وفئون. لسان العرب، مختار الصحاح (فيء)، (فأي).

(٣) قرأ السبعة إلا أبا عمرو، والكسائي بالجر، أما أبو عمرو والكسائي فقد قرأ بالرفع. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٣١١/٢).

قال يحيى: قال السدي: الولاية بالفتح.

قال محمد: وقرأها حمزة والكسائي بكسر الواو، ذكره أبو عبيد^(١).

قوله: ﴿هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا﴾ أي: عاقبة.

قال محمد: (ثوابًا وعقبًا) منصوبان على التمييز^(٢).

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾.

قال محمد: يعني: اندفع في النبات، فأخذ النبات زخرفه.

﴿فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ فأخبر أن الدنيا ذاهبة زائلة؛ كما ذهب ذلك النبات بعد بهجته وزيته.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات﴾ هي في تفسير الحسن: [الفرائض]^(٣) ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملاً﴾ يقول: هي جزاء ما قدموه في الدنيا (ل) (١٩٦) أي يثابوه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتِلَنَّا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

(١) قال ابن السكيت: الولاية - بالكسر -: السلطان، والولاية - بالفتح والكسر - النصر. وقال سيويه: الولاية - بالفتح -: المصدر، وبالكسر: الاسم. وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرأ بالكسر. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٢٧٧/٢)، التيسير (١٤٣).

(٢) إعراب القرآن (٢٧٨/٢)، البحر (١٣١/٦)، التبيان (٨٤٩).

(٣) مشتبهة بالأصل؛ وانظر تفسير ابن كثير (١٥٧/٥).

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَجَعَلُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَتَسَاءَلُونَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٣٠﴾

﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا عُمَد.

قال محمد: يجوز النصب في قوله: (ويوم نسير)^(١) على معنى: واذكر يوم نسير الجبال.

﴿وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا﴾ يقال: أحضروا؛ فلم يغب منهم أحد. قال محمد: يقال: غادرت كذا وغذرت؛ أي: خلّفته^(٢).

﴿وعرضوا على ربك صفًا﴾ (أي: صفوفًا)^(٣) ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: حفاة عراة غرلاً، يعني: عُلقاً غير مُحْتَنِينَ.

يحيى: عن الأزهر بن عبد الله الأزدي «أن رسول الله لما قرأ هذه الآية قالت عائشة: يا سوءتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله: الناس يومئذ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض؛ إن أول من يكسى إبراهيم خليل الله»^(٤)

(١) ينظر البحر المحيط (٦/١٣٤)، الدر المصون (٤/٤٦١).

(٢) لسان العرب (غدر).

(٣) مكرر في الأصل.

(٤) روى البخاري (١١/٣٨٥ رقم ٦٥٢٧) ومسلم (٤/٥٠٠ رقم ٢٨٥٩) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: تحشرون حفاة عراة غرلاً. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: الأمر أشد من أن يهجم ذلك. وروى البخاري (١١/٣٨٥ رقم ٦٥٢٦) ومسلم (٤/٢١٩٤ رقم ٢٨٦٠) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الخلاق يكسى يوم القيامة: إبراهيم الخليل».

من حديث يحيى بن محمد.

﴿بل زعمتم﴾ يقول للمشركين ﴿أن لن نجعل لكم موعداً﴾ يعني: أن لن تُبعثوا .

﴿ووضع الكتاب﴾ يعني: ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا ﴿فترى المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿مشفقين﴾ أي: خائفين ﴿مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ في كتبهم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ .

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ قال الحسن: وهو أول الجن؛ كما أن آدم من الإنس؛ وهو أول الإنس. وتفسير قتادة: كان من الجن قَبِيلٌ^(١) من الملائكة؛ يقال لهم: الجن، وكان^(٢) على خزانة السماء الدنيا ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي: عصى أمره.

قال محمد: الفسوق أصله: الخروج؛ تقول العرب: فسقت الرُّطبة؛ إذا خرجت من قشرها^(٣).

﴿أفتتخذونه وذريته﴾ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك ﴿أولياء من دوني﴾ .

﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ أي: بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم طاعة إبليس.

(١) القبيل: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى، ويطلق على الأتباع. لسان العرب، مختار الصحاح (قبل).

(٢) أي: إبليس.

(٣) قال ابن الأعرابي: لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم: فاسق. قال: وهذا عجب، وهو كلام عربي. لسان العرب، مختار الصحاح (فسق).

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَخِذًا لِّلْمُضِلِّينَ عِصْمًا ۝٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ وَرَمَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ۚ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَّخِذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ عَمَلًا غُلُوبًا ۝٥٦﴾

﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله؛ أي: ما أشهدتهم شيئاً من ذلك ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾ أي: أعواناً ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: وصلهم الذي كان في الدنيا ﴿مَوْبِقاً﴾ أي: مهلكاً؛ في تفسير بعضهم.

قال محمد: يقال: وبق الرجل يَوبَق وَيَقًا، وأوبقه الله؛ أي: أهلكه^(١).

﴿ورأى المجرمون﴾ المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي: علموا ﴿أنهم واقعوها﴾ ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴿أي: مغدلاً إلى غيرها﴾.

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: ضربنا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ .

قال محمدٌ: المعنى: ولقد بينا للناس من كل مثل يحتاجون إليه .

﴿وكان الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿أكثر شيء جدلاً﴾.

(١) هذا الفعل فيه لغات: وَيَبِقُ يَبِقُ وَيَوْقَا، ويقال: وَيَبِقُ يَبِقُ وَيَوْقَا، ويقال: وَيَبِقُ يَبِقُ وَيَوْقَا، كله بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (وبق).

قال محمد: هو كقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾.

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ من شركهم ﴿إلا أن تأتيهم سنّة الأولين﴾ يعني: ما عذب الله به الأمم السالفة ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ عياناً .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ أي: ليذهبوه - فيما يظنون - ولا يقدرّون على ذلك .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذْهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ۝٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا آتِبُحَ حَقِّ أَتْلَعُ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠﴾

﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾ أي: لم يؤمن بها؛ أي: لا أحد أظلم منه .

﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ وهو الصمم عن الهدى ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم .
﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ يعني: لمن آمن .

﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ قال الحسن: ملجأ.
 قال محمد: يقال: وأل فلان إلى كذا؛ إذا لجأ، ويقال: لا وألث نفسك؛
 أي: لا نجت، وفلان موائل؛ أي: (مُبادر)^(١) لينجُو، ومن هذا قول الشاعر:
 [لا واءلت نفسك خليتها للعامريين ولم تُكَلِّمْ]^(٢)
 (ل) (١٩٧) قوله: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: أشركوا
 وجحدوا رسلهم ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: لعذابهم ﴿موعداً﴾ أجلاً ووقتاً.
 قال محمد: من قرأ: (لَمْهْلِكْهُمْ) بضم الميم وفتح اللام^(٣) - فهو مصدر
 أهلكه إهلاكاً ومُهْلِكاً^(٤). ومن قرأ: (لَمْهْلِكْهُمْ) بنصب الميم واللام^(٥)؛ أراد
 هلكوا مَهْلِكاً^(٦).

﴿وإذ قال موسى لفتهاه﴾ وهو يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي: لا أزول
 ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ يعني: حيث التقيا. قال قتادة: يعني: بحر
 فارس والروم ﴿أو أمضي حقباً﴾ الحقب: سبعون سنة، وقيل: ثمانون^(٧).

-
- (١) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (وأل).
 (٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، واستدرسته من تفسير الطبري (٢٦٦/١٥) وتفسير
 القرطبي (٨/١١) وهو يناسب المعنى المتقدم. ينظر لسان العرب (وأل).
 (٣) وهي قراءة السبعة إلا عاصماً. ينظر: التيسير (١٤٤) النشر (٣١١/٢) الدر المصون (٤/٤٦٧).
 (٤) (إهلاكاً) مصدر قياسي، و(مُهْلِكاً) مصدر ميمي.
 (٥) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام. ينظر إتحاف
 الفضلاء (٢٩٢)، السبعة (٣٩٣) الدر المصون (٤/٤٦٧).
 (٦) يقال: هلك الشيء يهلك هلاكاً ومُهلِكاً ومُهْلِكاً بفتح اللام وكسرها وضمها. لسان العرب
 (هلك).
 (٧) وقيل غير ذلك، تنظر هذه الأقوال من ابن كثير (١٧٠/٥)، الدر المصون (٤/٤٦٩).

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاةٌ لَّعَلَّكَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَبَاً ۖ﴾ (٦٧) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ﴾ (٦٨) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ ءَاتَانِهَا قَصَصًا ۖ﴾ (٦٩) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَالِيَنَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ﴾ (٧٠) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ﴾ (٧١) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ﴾ (٧٢) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ﴾ (٧٣) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ﴾ (٧٤) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ﴾ (٧٥) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ﴾ (٧٦) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ﴾ (٧٧) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسَىٰ ۖ﴾ (٧٨) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا رَكِبْتُ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ﴾ (٧٩) ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله﴾ يعني: الحوت ﴿في البحر سرَبًا﴾.

قال محمد: سرَبًا يعني: مذهبًا ومسلَكًا؛ وهو مصدر^(١)؛ المعنى: نسيا حوتهما؛ فجعل الحوت طريقه في البحر، ثُمَّ بَيَّنَّ كيف ذلك؛ فكأنه قال: سرَب يَسْرُبُ سرَبًا^(٢).

(١) أي: مصدر وضع موضع الاسم.

(٢) وقيل: سَرَب يَسْرُبُ سُرُوبًا. وقيل: السَّرَبُ بَيْتٌ فِي الْأَرْضِ. لسان العرب، مختار الصحاح (سرب).

قال يحيى: ذكر لنا أن موسى لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم، فقال: أنتم اليوم خير أهل الأرض وأعلمهم، قد أهلك الله عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة، قال: فقليل له: إن ها هنا رجلاً هو أعلم منك، فانطلق هو وفتاه يوشع يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة في مكمل^(١) لهما، وقيل لهما: إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلاً عالمًا يقال له: خَضِرٌ.

قال يحيى: وذكر بعضهم أن موسى وفتاه لما أويا إلى الصخرة على ساحل البحر، باتا فيها، وكان عندها عَيْنُ ماءٍ؛ فأكلا نصف الحوت وبقي نصفه، فأدنى فتاه المكمل من العين، فأصاب الماء الحوت، فعاد فانسرب، ودخل في البحر، ومضى موسى وفتاه ﴿فلما جاوزوا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي: شدة ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ موسى تعجب من أثر الحوت في البحر ﴿قال ذلك ما كنا نبغي﴾^(٢) أي: ذلك حيث أُمِرْتُ أن أجد خَضِرًا. ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ أي: رجعا حتى أتيا الصخرة.

قال محمد: المعنى: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يَقْصُانِ الأثر قصصاً. قال: فأتبعنا الأثر في البحر، وكان الحوت حيث مرَّ جعل يضرب بذنبه يمينًا وشمالًا في البحر، فجعل كل شيء يضربه الحوت بذنبه يَبْسُسُ، فصار كهينة طريق في البحر، فأتبعنا أثره، حتى إذا خرجا إلى جزيرة فإذا هما بالخضر في

(١) هو شِبْه الزَنْبِيلِ يَسْعُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا. مختار الصحاح (كتل).

(٢) أثبت الياء وصلًا والمدنيان وأبو عمرو والكسائي، وأثبتها في الحاليين ابن كثير ويعقوب، وقرأ الباقون بغير ياء. النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٩).

روضة يصلي، فأتيه من خلفه، فسلم عليه موسى، فأنكر الخضر التسليم في ذلك الموضع، فرفع رأسه فإذا هو بموسى فعرفه. فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال موسى: وما يدريك أنني نبي بني إسرائيل؟ قال: أذراني بذلك الذي أدراك بي ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك أن تستطيع معي صبراً﴾.

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾ موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراً﴾ أي: عظيماً من المنكر ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ وكان موسى ينكر الظلم، قال له موسى: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ يعني: ذهب مني ذكره ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾.

قال محمد: (ترهقني) معناه: تُعْثَنِي^(١)؛ أي: عاملني باليسر لا بالعسر. ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال اقتلت نفساً زاكية﴾^(٢) أي: لم تؤذ بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٣) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِجْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

(١) وقيل: أرهقه عسراً: كلفه إياه، يقال: لا ترهقني لا أرهقك الله، أي: لا تعسرني لا أعسرك الله. مختار الصحاح (رهق).

(٢) هكذا في الأصل: زاكية. وهي قراءة نافع وابن كثير، وأبي عمرو. ينظر: السبعة (٣٩٥)، النشر (٣١٣/٢)، التيسير (١٤٤).

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُومُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ أي: يسقط (...).^(١)

قال محمد: الجدار (...).^(١) (ل١٩٨) يكون هذا على التشبيه، ومثل هذا مستفيض في كلام العرب وأشعارها؛ قال الراعي:

في مَهْمَةٍ قلقت به هاماتها قلقت الفئوس إذا أرذن نُصُولاً^(٢)
قوله: ﴿قال لو شئت﴾ موسى قاله ﴿لاتخذت عليه أجراً﴾ أي: ما يكفيني اليوم ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ .
قال محمد: المعنى: هذا فراق اتصالنا .

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم﴾ أي: أمامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ وهي في بعض القراءة

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر ديوان الراعي (٢٢٢)، والطبري (١٨٧/١٥)، والقرطبي (٢٦/١١) والشرط الأول مطموس من الأصل، وأثبتته من ديوانه.

(كل سفينة صالحة) ^(١). قال محمد: يكون «وراء» بمعنى: بغد ^(٢)، وهو قوله ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ ^(٣) ومنه قول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وليس وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ ^(٤)
أي: ليس بعد مذاهب الله للمَرْءِ مذهب.

وتكون بمعنى: أمام ^(٥)؛ ومن هذا قول القائل:

أَتُوْعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَّاحٍ كَذَبْتُ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ عَنِّي ^(٦)
يريد أمام ^(٧) بني رياح.

قوله: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ قال قتادة: وفي بعض القراءة: (فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) ^(٨).

﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾.

(١) وهي قراءة أبي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير. ينظر: البحر (١٥٤/٦)، القرطبي (٣٤/١١).

(٢) وراء يكون بمعنى (خلف)، وبمعنى (قدام)، وهو من الأضداد. لسان العرب، ومختار الصحاح (وري).

(٣) إبراهيم: ١٧.

(٤) البيت من بحر الطويل، ينظر ديوانه (٥٥)، القرطبي (٢٦٦/٨).

(٥) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (وري).

(٦) البيت لجبرير، وهو من بحر الوافر، ينظر: خزانة الأدب (٧/٨) وفيه: لتقصرن يداك دوني.

وقال صاحب الخزانة: ورياح - بكسر الراء بعدها مثناة تحتية - هو رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مثناة بن تميم.

(٧) وقال البغدادي في خزانته (٨/٨): ووراء بمعنى خلف.

(٨) وهي قراءة ابن عباس وأبي. ووردت القراءة في الأصل معكوسة أي: (وكان أبواه مؤمنين وكان كافراً) وهذه ليست قراءة. ينظر البحر (١٥٤/٦)، (١٥٥).

قال محمدٌ: ومعنى يرهقهما: أي: يحملهما على الرُّهق وهو الجهل^(١).
﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ في التقوى ﴿وأقرب رحماً﴾ أي:
براً؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: الرُّخْمُ في اللغة: العطف والرحمة^(٢).

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ قال
الحسن وقتادة: أي: مَالٌ ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما...﴾ إلى قوله:
﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: إنّما فعلته عن أمر الله ﴿ذلك تأويل﴾ تفسير ﴿ما
لم تسطع عليه صبراً﴾.

قال محمدٌ: الأشدُّ يختلف؛ فأشدُّ الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى في
النبات^(٣)؛ يقال: ذلك ثمانى عشرة سنة^(٤) وأشدُّ الرجل: الاكتهال، وأن
يشتد رأيه وعقله وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة^(٥).

ونصبت (رحمة) أي: فعلنا ذلك رحمة^(٦)، ويجوز أن يكون على المصدر
بمعنى رحمهما بذلك رحمة^(٧).

قال يحيى: بلغني أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائراً؛ فطار إلى المشرق

(١) يقال: أرمقه طفياً؛ أي: أغشاه إياه. مختار الصحاح (رهق).

(٢) وهو الرُّخْم أيضاً، لسان العرب (رحم).

(٣) أي: في النمو والقوة.

(٤) وفي مختار الصحاح (شدد): ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين. أي: بلوغ الأشد في هذه السن.

(٥) لسان العرب، مختار الصحاح (شدد).

(٦) أي: النصب على المفعول لأجله، وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من الدر المصون (٤) / (٤٧٩).

(٧) أي: النصب على المفعول المطلق. ينظر الدر المصون (٤/٤٧٩).

ثم طار إلى المغرب، ثم طار نحو السماء ثم هبط إلى البحر، فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران، فقال الخضر لموسى: أتعلم ما يقول هذا الطائر؟ يقول: ورب المشرق ورب المغرب، ورب السماء السابعة، ورب الأرض السابعة، ما علمك يا خضر وعلم موسى في علم الله إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر.

وذكر لنا أن نبي الله قال: إنما سُمِّيَ الْخَضِرُ؛ لأنه قعد على قردٍ^(١) بيضاء فاهتزت به خضراء.

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُوْا عَلَيْنَكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۖ ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْفَرْقَنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ خَازِنٌ فِيهِمْ حُسْبًا ۖ ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّكَرًا ۖ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ ۖ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمُ دِينًا دُنيَا سَبَرًا ۖ ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ ﴿٩٣﴾﴾

قال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ يعني: خبراً ﴿إننا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ قال قتادة: يعني: علمه

(١) وهو الموضع المرتفع من للأرض، ويقال للأرض المستوية أيضاً: قردد. النهاية (قرد). قلت: والمشهور «على فروة بيضاء» كما رواه البخاري (٤٩٩/٦ رقم ٣٤٠٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، والفروة: الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. النهاية (فروة).

الذي أُعْطِيَ؛ بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها ﴿فَاتَّبَعْ سَبِيلًا﴾ قال قتادة: يعني منازل الأرض ومعالمها ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي تقرأ: (حامية)^(١) قال ابن أبي مُلَيْكَةَ: اختلف ابن عباس وعمرو بن العاص؛ فقال ابن عباس: (حمئة)^(٢) وقال عمرو بن العاص: (حامية)، فجعللا بينهما كعبًا الحَبْر؛ فقال كعبٌ: نجدها في التوراة: تغرب في ماءٍ وطين؛ كما قال ابن عباس.

يحيى: ومن قرأ: (حامية) فالمعنى: أي: ذات حَمَاءَ؛ تقول: حَمَيْتَ البئر فهي حمئة^(٣) إذا صارت [فيها الحمأة فتكدرت وتغيّر رائحتها]^(٤)

(ل١٩٩) ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَدْعِبَ﴾ يعني: القتل ﴿وَأِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ يعني: العفو، في تفسير السُّدي، قال: فحكّموه فحكم بينهم ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: من أشرك ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ يعني: القتل ﴿ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا﴾ عظيمًا في الآخرة ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحَسَنَىٰ﴾ تفسير مجاهد: الحسنى هي: لا إله إلا الله، والجزاء: الجنة.

وقال السدي: فله جزاء الحسنى؛ يعني: العفو.

قال محمد: لم يبين يحيى كيف كانت قراءة السدي والذي يدل عليه تفسيره

(١) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم من السبعة، ووردت القراءة في الأصل (حامئة) بالهمزة، ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٣١٤/٢)، التيسير (١٤٥).

(٢) وهي قراءة باقي السبعة. ينظر المراجع السابقة.

(٣) حَبَيْثٌ تَحْمَأُ حَفْنًا، وهو حَيْمٌ، وهي حَيْمَةٌ. لسان العرب (حما).

(٤) ما بين المعقوفين مطموس من الأصل، والمثبت من لسان العرب والمعجم الوسيط (حما).

أنه كان يقرؤها: (فله جزاء)^(١) بالنصب والتنوين، وكذلك قرأها غير واحد؛ المعنى: فله الحسنى جزاء على التقديم والتأخير، و(جزاء) مصدر في موضع الحال؛ فله الحسنى مجزيًا بها جزاء^(٢).

﴿وستقول له من أمرنا يُسرًا﴾ أي: معروفًا .

﴿ثم أتبع سببًا﴾ يعني: طرُق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يستقر عليهم البناء، وأنهم يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معاشهم وحروثهم ﴿قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا﴾ أي: هكذا كان ما قصص من أمر ذي القرنين ﴿ثم أتبع سببًا﴾ طرق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ قال قتادة: هما جبلان ﴿وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا﴾ يعني: كلام غيرهم، وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿لا يكادون يفقهون قولًا﴾^(٣) أي: لا يفقه أحد كلامهم .

﴿قَالُوا يَنْذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِثْلًا وَيَسْأَلُونَ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ۝٩٥ مَآثُورٍ زُبْرُ اللَّحْدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الضَّالِّينَ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون: (جزاء الحسنى) بالرفع دون تنوين. ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٣١٥/٢) الدر المصون (٤/٤٨٠).

(٢) ينظر معاني القرآن للفرأ (١٥٩/٢)، إعراب القرآن (٢/٢٩٢)، مجمع البيان (٣/٤٩١).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة، وقرأ الباقون (يَفْقَهُونَ). ينظر: السبعة (٣٩٩)، النشر (٣١٥/٢).

عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٦٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٦٨﴾

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي: قاتلون الناس في الأرض؛ يعني: أرض الإسلام ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ أي: جُعَلًا^(١). ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ قال ما مكني فيه ربي خير ﴿من جعلكم﴾.

قال محمد: من قرأ (مَكْنِي)^(٢) فالمعنى: مكنتي، إلا أنه أدمم النون في النون؛ لاجتماع النونين، ومن قرأ (مَكْنِي)^(٣) بإظهار النونين، فذلك جائز؛ لأنهما من كلمتين: الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر^(٤).

﴿فأعينوني بقوة﴾ يعني: عددًا من الرجال ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾.

قال محمد: الرَّدْمُ في اللغة: أكثر من السَّد؛ لأنَّ الرَّدْمَ ما جعل بعضه على بعض؛ يقال: ثوب مُرْدَمٌ؛ إذا كان قد رُقِعَ رُقْعَةٌ فوق رُقْعَةٍ^(٥)، ويقال لكل ما كان مسدودًا خِلْقَةً: سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سُدٌّ بالفتح، وقد قيل: إنهما لغتان بمعنى واحد: سُدٌّ، وسُدٌّ بالفتح والضم^(٦).

(١) وهو ما جعل للإنسان من شيء على فعل. وكذا الجَعَالَة والجَعِيلَة. لسان العرب، مختار الصحاح (جعل).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير. ينظر: الحجة (٢٣٢)، النشر (٣١٥/٢).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وحده. ينظر السبعة (٤٠٠)، التيسير (١٤٦).

(٤) ينظر الدر المصون (٤٨٢/٤).

(٥) لسان العرب، القاموس المحيط (ردم).

(٦) وقيل: السَّد - بالفتح والضم -: الجبل والحاجز. وقال بعضهم: السَّد - بالضم -: ما كان من خلق الله، وبالفتح: ما كان من عمل بني آدم. لسان العرب، مختار الصحاح (سد).

﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ يعني: رأس الجبلين؛ في تفسير مجاهد؛ أي: سدَّ ما بينهما ﴿قال انفخوا﴾ أي: على الحديد ﴿حتى إذا جعله نارا﴾ يعني: أحماه بالنار ﴿قال آتوني﴾ أعطوني ﴿أفرغ عليه قطرا﴾ فيها تقديم: أعطوني^(١) قطرا أفرغ عليه، والقطر: النحاس^(٢)؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه النحاس.

قال محمد: الملاط: هو الطين الذي يُجعل في البناء ما بين كل صفين^(٣). ﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾ أي: يظهروا عليه من فوقه ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ من أسفله ﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني: خروجهم ﴿جعله﴾ يعني: السدَّ ﴿دكا﴾^(٤) قال قتادة: أي: يتعفر بعضه على بعض، وتقرأ على وجه آخر: «دكاء»^(٥) ممدودة؛ أي: جعله أرضا مستوية. يحيى: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج يخرقونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (ل) (٢٠٠) قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا؛ فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدنتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا - إن شاء الله - فيغدون إليه وهو كهيشته حين تركوه،

(١) أي: والتقدير: أعطوني... إلخ.

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (قطر).

(٣) وفي المعجم الوسيط: يُجعل بين كل لبتين أو آجرتين أو حجرين. ينظر: المعجم الوسيط (ملط).

(٤) هكذا في «الأصل» دكا. وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي وعاصمًا ينظر: السبعة (٤٠٢). التيسير (١٤٦).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم. ينظر: النشر (٢٧١/٢) الحجة (١٦٣، ٢٣٣).

فيخرجونه، فيخرجون على الناس فينشقون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهية الدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعزلنا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفاً^(١) في ألقائهم فيقتلهم بها^(٢).

(١) الثَّغْفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفردة: ثَغْفَةٌ: لسان العرب، مختار الصحاح (نغف).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٠٥-١٢٠٦ رقم ٦٦٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه الإمام أحمد (٥١٠-٥١١) وابن ماجه (١٣٦٤-١٣٦٥ رقم ٤٠٨٠) والطبري في تفسيره (٢١/١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة.

ورواه الإمام أحمد (٥١١/٢) والترمذي (٢٩٣-٢٩٤ رقم ٣١٥٣) وابن حبان (١٥/٢٤٢-٢٤٣ رقم ٦٨٢٩) والحاكم (٤٨٨/٤) من طريق قتادة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجاه.

وقال ابن كثير في تفسيره (١٠٨/٣): وإسناده جيد قوي، ولكن منته في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار. ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار؛ فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة؛ فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه، والله أعلم. ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع؛ قول الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها أم حبيبة، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان: أربع نسوة - قالت: «استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا. وحلق، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبيث» هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري. اهـ.

وقال ابن حجر في الفتح (١١٦/١٣): رجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس، وقد رواه بعضهم عنه فأدخل بينهما واسطة، أخرجه ابن مردويه، لكن وقع التصريح في رواية سليمان التيمي عن قتادة بأن أبا رافع حدثه، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه ابن ماجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «حدث أبو رافع» وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه عبد بن حميد من طريق عاصم عن أبي صالح عنه، لكنه موقوف اهـ.

قال يحيى: وسُئِلَ علي بن أبي طالب عن ذي القرنين؛ فقال: كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه، فضربوه على قرنه فقتلوه، فأحياه الله، ثم دعا قومه أيضاً، فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه الله، فُسِّمِيَ: ذا القرنين.

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنَفَخْنَا فِي الصُّورِ نَجْمَهُمْ جَمْعًا ٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ لَحِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي هُزُولًا ﴿١٠٦﴾ ﴿

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني: يوم يخرجون من السد ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾ والصور: قرن ينفخ فيه صاحب الصور. ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ كانت على أعينهم غشاوة الكفر ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ أي: لا يسمعون الهدى بقلوبهم .

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يعني: من عبد الملائكة، يقول: أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك؟ أي: لا يتولونهم؛ وليس بهذا أمرتهم، إنما أمرتهم أن يعبدوني لا يشركون بي شيئا ﴿إنا أعتدنا﴾ أعتدنا ﴿جهنم للكافرين نزلا﴾ أي: منزلا.

قال محمد: يقال: أعتدت لفلان كذا؛ أي: اتخذته عتادا له، والعتاد أصله: ما اتخذ ليمكث فيه.

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ هم أهل الكتاب .
 ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ هي مثل قوله: ﴿ومن خُفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾﴾
 ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة قال: «الفردوس جبل في الجنة تنفجر منه أنهار الجنة»^(٢).

﴿خالدين فيها لا يبغيون عنها حولاً﴾ أي: تحولاً.

قال محمد: يقال: قد حال من مكانه حولاً^(٣).

﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ القلم يستمد منه للكتاب^(٤) ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لعلم ربي ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾

(١) المؤمنون: ١٠٣ .

(٢) روى البخاري (١٤/٦ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إذا سألت الله فاسأله الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة -أراه قال- وفوقه عرش الرحمن- ومنه تنفجر أنهار الجنة».

(٣) يقال: حال يحول حولاً -أي: تحوّل. وقيل: الجول مصدر، وقيل: هو اسم بمعنى التثقل من موضع إلى موضع. لسان العرب، مختار الصحاح (حول).

(٤) أي: للكتابة. يقال: كتب يكتب كتباً وكتاباً. لسان العرب (كتب).

أي: آخر مثله من باب المدد^(١).

قال محمد: (مددًا) منصوب على التمييز^(٢).

﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إلهٌ واحد﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: ما أنت إلا بشرٌ مثلنا. فقال الله: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي: يخاف البعث ﴿فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي: يخلص له العمل.

يحيى: عن الفرات بن سلمان، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس، أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إني رجلٌ أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى مكاني! فلم يرذ عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فنزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه...﴾ إلى آخرها»^(٣).



(١) أي: العون والمساعدة. قال أبو زيد: مددنا القوم: صبرنا مددًا لهم، أما المداد فهو النفس؛ أي: الحبر اللازم للكتابة. لسان العرب، مختار الصحاح (مدد).

(٢) ينظر البحر المحیط (١٦٩/٦)، الدر المصون (٤٨٧/٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤١٤/١) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (١١٢/٣) - من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٠/٤): لابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني والحاكم أيضًا.

تفسير سورة مريم وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيِّصَ ١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ٢ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا ٣ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أٰلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ ﴿٦﴾ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذَا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا ٩ ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٠ ﴿١٠﴾ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١١ ﴿١١﴾ فَوَحَّىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١٢ ﴿١٢﴾

قوله: ﴿كهيص﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أن قوما من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال يحيى: [ثم ابتداء] ^(١) الكلام فقال: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقول: ذكره لزكريا رحمة منه له ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (ل ٢٠١) أي: سرا ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ أي: ضعف ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾.

(١) في الأصل: غير أنه بدأ. والمثبت من «ر»

قال محمد: (شيئاً) منصوب على التمييز^(١).

﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي: لم أزل بدعائي إياك سعيداً ﴿وإني خفت الموالى من ورائي﴾ يعني: العصبه الذين [يرثوني]^(٢) ﴿من ورائي﴾ من بعدي؛ فأراد أن يكون من صُلبه من يرث ماله؛ في تفسير قتادة ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي: لم تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ يعني: ولداً ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي: يرث ملكهم وسلطانهم؛ كانت امرأة زكريا من ولد يعقوب ليس يعني: يعقوب الأكبر؛ يعقوب دونه.

قال محمد: من قرأ (يرثني ويرث) بالرفع^(٣) جعله كالنعت للولي؛ المعنى: هب لي الذي يرثني.

ومن قرأها بالجزم^(٤) (يرثني ويرث من آل) فعلى جواب الأمر.

﴿اسمه يحيى﴾ قال قتادة: أحياء الله بالإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ قال قتادة: أي: لم يُسم أحد قبله يحيى ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ من أين يكون لي ولد ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ أي: (يُئساً)^(٥).

قال محمد: يقال لكل شيء قد ييس: عتا يَغْتُو عْتياً^(٦)، وَغُتُوا.

﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾ قال له الملك: ﴿كذلك قال ربك هو

(١) إعراب القرآن (٢/٣٠١)، مجمع البيان (٣/٥٠٣)، البحر (٦/١٧٣).

(٢) في الأصل: يرثونه. والمثبت من «ر».

(٣) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو والكسائي. ينظر: السبعة (٤٠٧)، التيسير (١٤٨)، النشر (٣١٧/٢).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٥) في «ر»: يَأْسًا.

(٦) بضم العين وكسرهما لغتان. لسان العرب، مختار الصحاح (عتر).

علي هين ﴿ أعطيك هذا الولد؛ وهو كلام موصول أخبر به الملك عن الله ﴾ ﴿ قال ﴾ زكريا: ﴿ رب اجعل لي آية ﴾ علامة ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾ يعني: صحيحاً لا يمنعك الكلام مرض. قال قتادة: إنما عوقب؛ لأنه سأل الآية بعد ما (شافهته الملائكة) ^(١) وبشرته بيحيى، فأخذ عليه لسانه ^(٢)، فجعل لا يبين الكلام ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ يعني: المسجد ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أشار إليهم ﴿ أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴾ أي: صلوا لله بالغداة والعشي.

﴿ يَبْحِثُ خِذِ الْكِتَابَ يَقُوْهُ وَمَآئِنْتُهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا ١٢ ﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً
وَكَانَ نَفِيًّا ١٣ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ
يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥ ﴾

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ أي: بجذ ومواظبة ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ يعني: الفهم والعقل.

قال يحيى: بلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان: يا يحيى تعال نلعب. فيقول: ليس للعب خلقتنا!

﴿ وحناناً من لدنا ﴾ أي: أعطيناه رحمة من عندنا.

قال محمد: الحنان أصله: العطف والرحمة؛ ومنه قول الشاعر:

فَقَالَتْ حَتَانُ مَا أَتَى بِكَ هَا هُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ ^(٣)؟

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: أمسيك.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لمنذر بن درهم الكلبي. ينظر تخريجه في الكتاب (١/٣٢٠)، المقتضب (٣/٢٢٥)، شرح المفصل لابن يعيش (١/١١٨)، همع الهوامع (١/١٨٩)، لسان العرب، تهذيب اللغة (حن).

قوله: (حنان)؛ أي: أمرنا حناناً: عطف ورحمة^(١).

﴿وزكاة﴾ قال قتادة: الزكاة: العمل الصالح ﴿وكان تقياً﴾.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد من ولد آدم إلا قد أصاب ذنباً أو هم به، غير يحيى بن زكريا لم يُصَبْ ذنباً، ولم يَهَمْ به»^(٢).

﴿وبراً بالدين﴾ أي: مطيعاً لهما ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي: مستكبراً عن عبادة الله ﴿وسلاماً عليه يوم ولد﴾ يعني: حين ولد ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ يوم القيامة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْمِ إِذْ أَنْبَذْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧ ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَاتَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢١ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

(١) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥/٢) عن معمر عن قتادة عن الحسن مرفوعاً.

ورواه الحاكم في المستدرک (٥٩١/٢) والبيهقي في السنن (١٨٦/١٠) وابن عساکر في تاريخه (١٩٣/٦٤ - ١٩٤) من طريق حبيب بن الشهيد ويونس بن عبيد وحמיד عن الحسن. وللحديث طرق عن عدة من الصحابة موصولاً مرفوعاً وموقوفاً، وعن عدة من التابعين مرسلأً، وأسانيدها فيها مقال، انظر: تاريخ دمشق (١٧٣/٦٤ - ١٧٤، ١٩٢ - ١٩٥) والدر المنثور (٢٤/٢ - ٢٥) وتخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٧٩/٣ - ٢٨٠) فقد ذكرنا طرقاً منها هناك، والله أعلم.

بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِنَّ جَنَعَ النَّخْلَةَ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَادَّهَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَزَ إِلَيْكَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

﴿واذكر في الكتاب﴾ يقول للنبي: اقرأ عليهم أمر مريم ﴿إذ انتبذت﴾ يعني: إذ انفردت ﴿من أهلها مكانا شرقيا...﴾ إلى قوله: ﴿تقيًا﴾ كان زكريا كفل مريم، وكانت أختها تحته، وكانت تكون في المحراب، فلما أدركت، كانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله إلى أختها، وإذا طهرت رجعت إلى المحراب، فطهرت مرة، فلما فرغت من غسلها قعدت في مشرفة^(١) في ناحية الدار، وعلفت عليها [ثوبًا]^(٢) ستره؛ فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع في صورة آدمي، فلما رآته قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا﴾ قال الحسن: تقول: إن كنت تقيًا لله فاجتنبني ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهب^(٣) لك غلامًا زكيًا﴾ أي: صالحًا ﴿قالت أني يكون﴾ من أين يكون ﴿لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ أي: يجامعني زوج ﴿ولم أك بغيًا﴾ (ل ٢٠٢) أي: زانية ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين﴾ أن أخلقه ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ أي: لمن قبل دينه ﴿وكان أمرًا مقضيًا﴾ يعني: كان عيسى أمرًا من الله مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه يكون. فأخذ جبريل جيها بأصبعه فنفخ فيه، فصار إلى بطنها، فحملت. قال الحسن: حملته تسعة أشهر في بطنها

(١) أي: شُرْفَة.

(٢) سقط من «و».

(٣) كذا بالأصل؛ وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش، واختلفت الرواية عن قالون. وقرأ الباقون (لاهب). ينظر: النشر (٣١٧/٢).

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: انفردت به في مكان شاسع ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ قال مجاهد: يعني: ألجأها.

قال محمد: وأصل الكلمة من: المجيء؛ يقال: (جاءت بي) ^(١) الحاجة إليك، وأجأني الحاجة إليك ^(٢)؛ قال زهير ^(٣):

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِدًا عَلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالزَّجَاءُ ^(٤)
والمخاض: دُؤو الولادة، يقال: مُخِضَتِ الْمَرْأَةُ وَمَخِضَتِ ^(٥).

﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾ قال قتادة: تعني شيئًا لا يُعْرَفُ، ولا يُذْكَرُ؛ قالت هذا مِمَّا حَشِيَّتْ مِنَ الْفُضِيحَةِ.

قال محمد: النَّسِيُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَضْلُهُ الشَّيْءُ الْحَقِيرُ؛ الَّذِي إِذَا أُلْقِيَ نُسِيَ غَفَلَةً عَنْهُ ^(٦).

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قال قتادة: كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّهُ جَبْرِيلُ.

قال يحيى: وقال بعضهم: ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا﴾ يعني: عيسى.

قال محمد: لم يبين لنا [يحيى] ^(٧) كيف القراءة في قوله: (من تحتها) وذكر

(١) في «ر»: جئت في الحاجة إليك.

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (جيء).

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ربعة الشاعر المشهور من المعمرين، مات عن مائة وعشرين عامًا، تنظر ترجمته في المعمرين لأبي حاتم السجستاني (٨٣)، الشعر والشعراء (١٣٧).

(٤) البيت من بحر الوافر، وهو لزهير بن أبي سلمى، ينظر ديوانه، شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٠٢)، مجاز القرآن (٤/ ٢)، البحر (١٨٢/ ٦).

(٥) مخضت المرأة مَخَاضًا فهي ماخض. لسان العرب (مخض).

(٦) وقيل: النَّسِيُّ: ما تلقى المرأة من خرق اعتلالها. لسان العرب، مختار الصحاح (نسي).

(٧) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

أبو عبيد: أنها تقرأ (من تحتها) بكسر الميم والتاء التي بعد الحاء، وتقرأ أيضًا بفَتْحهما^(١)؛ فمن قرأ بالكسر؛ فتأويلها: أن جبريل ناداها، ومن قرأها بالفتح فتأويلها: عيسى هو الذي ناداها^(٢).

﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريباً﴾ السَّريُّ: الجدول، وهو النهز الصغير^(٣) ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطاباً جنياً﴾ أي: حين اجتني، وكان الجذع يابساً .

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ٢٦ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرَأَتُ لَقَدْ جَنَبَتْ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ٢٧ ﴿يَتَأَخَذُ هُنُورًا مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوَوِ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ٢٨ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا﴾ ٢٩ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ٣٠ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ٣١ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ٣٢ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ٣٣ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٣٤ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّحَ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣٥ ﴿وَلِئَلَّهِ رَفِي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٣٦ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٣٧ ﴿أَمْسَحْ يَوْمَ وَابْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٣٨ ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ .

(١) قرأ الأخوان ونافع وحفص عن عاصم بكسر الميم والتاء، وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء.

ينظر: البحر المحيط (١/٦٦٩)، الدر المصون (٤/٤٩٩) والنشر (٢/٣١٨).

(٢) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٤/٤٩٩).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

قال محمدٌ: يقال: قررتُ به عيناً أقرُّ - بفتح القاف - في المستقبل^(١) قُرُورًا، وقررتُ في المكان أقرُّ بكسر القاف^(٢)، و(عينًا) منصوب على التمييز^(٣).

﴿فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا﴾ أي: صممتُ ﴿فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾ أذن لها في هذا الكلام، وكانت آية جعلها الله لها يومئذ .

قال محمدٌ: يقال للممسك عن الطعام أو الكلام: صائمٌ^(٤).

﴿لقد جئت شيئًا فريًا﴾ أي: عظيمًا.

قال محمدٌ: يقال: فلانٌ يفري الفري إذا عمل عملاً أو قال قولاً فبالغ فيه؛ كان في خير أو شر^(٥)، وأنشد بعضهم:

أَلَا رُبُّ مَنْ يَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ كَمَا يَفْرِي^(٦)

قوله: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء﴾ أي: ما كان زانيًا. قال قتادة: ليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر كان يسمى هارون الصالح المحبَّب في عشيرته، المعنى: يا شبيهة هارون في عبادته وفضله .

﴿فأشارت إليه﴾ بيدها قال قتادة: أمرتهم بكلامه ﴿قالوا كيف نكلم﴾ أي:

(١) أي: في الفعل المضارع.

(٢) يقال: قُرُزْتُ به عينا أقرُّ، وقُرُزْتُ به عينا أقرُّ قُرَّةً وقُرُورًا. ويقال: قُرُزْتُ في المكان وبالمكان أقرُّ قُرَارًا. وقُرُزْتُ أيضًا أقرُّ قُرَارًا وقُرُورًا. لسان العرب، مختار الصحاح (قر).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٦٦/٢)، إعراب القرآن (٣١١/٢)، مجمع البيان (٥١٠/٣).

(٤) قال أبو عبيدة: كل مُسْمِك عن طعام أو سَمِير فهو صائم. لسان العرب، مختار الصحاح (صوم).

(٥) يقال: قُرَى يَفْرِي قُرْيًا والاسم: الفُرْيَة، لسان العرب، مختار الصحاح (فري).

(٦) البيت من بحر الطويل. ينظر البيان والتبيين (٥٨٩/١).

كيف نكلم ﴿من كان﴾ أي: من هو ﴿من المهد صبيًا﴾ والمهد: الحِجر؛ في تفسير قتادة.

﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ يقول: جعلني معلّمًا مؤدّبًا ﴿ولم يجعلني جبارًا﴾ أي: مستكبرًا عن عبادة الله ﴿والسلام عليّ يوم ولدت...﴾ الآية، ولم يتكلم بعد ذلك بشيء حتى بلغ مبلغ الغلمان ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ قال الحسن: الحق: هو الله.

قال محمد: من قرأ ﴿قَوْلٌ﴾ بالرفع^(١)؛ فالمعنى: هو قول الحق^(٢).

﴿الذي فيه يمترون﴾ قال قتادة: امترت فيه اليهود والنصارى؛ أمّا اليهود؛ فزعموا أنه ساحرٌ كذابٌ، وأمّا النصارى فزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة [وإله]^(٣) ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه﴾ (٢٠٣) يتزه نفسه عما يقولون ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [يعني: عيسى]^(٤) كان في علمه أن يكون من غير أب.

قال محمد: قوله: ﴿أن يتخذ من ولدٍ﴾ المعنى: أن يتخذ ولدًا ومن مؤكدة^(٥).

﴿وإن الله ربي وربكم...﴾ الآية، هذا قول عيسى لهم ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: النصارى؛ فتجادلوا في عيسى؛ فقالت فرقة: هو ابن الله، وقالت فرقة: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت فرقة: الله إله، وعيسى إله، ومريم إله.

(١) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر: الدر المصون (٥٠٥/٤)، السبعة (٤٠٩)، التيسير (١٤٩)، النشر (٣١٨/٢).

(٢) وينظر توجيه الرفع من البحر (١٨٩/٦)، مجمع البيان (٥١٣/٣).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٣١٥/٢)، مجمع البيان (٥١٣/٣)، البيان (١٢٦/٢).

قال الله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ وذلك يوم القيامة يقول: ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم؛ سمعوا حين لم ينفعهم السَّمْعُ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .

﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾ يعني: إذ وجب العذاب فوقع بأهل النار.

يحيى: عن صاحب له، عن سفيان^(١)، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه ذكر حديثاً في البعث؛ قال: «فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار. قال: وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة، قال: ثم يقال لهم: لو علمتم؛ فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، قال: فيقال لهم: لولا أن من الله عليكم^(٢)».

(١) في «ر»: سعيد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٧٥ - ٦٧٧ رقم ١٨٣) عن ابن نمير، ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣١٤ - ٣١٦) من طريق أبي نعيم، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/ ٤٩٦ - ٤٩٨) من طريق الحسين بن حفص؛ ثلاثتهم عن سفيان به في حديث طويل.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا؛ وهذا كلام مستقبل ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿وإِنَّا
 يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة .

(١) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اقرأه عليهم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ
 تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي:
 إن عبادة الوثن عبادة الشيطان .

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾
 أي: إذا نزل بك العذاب لم تقبل توبتك، وما لم ينزل بك فتوبتك مقبولة إن
 بُتت .

قال محمد: (يا أبت) الوقف عليه بالهاء: (يا أبنه) الهاء عوض من ياء
 الإضافة (٢) .

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِكَ يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) قَالَ
 سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُمْ كَانُوا خَافِيًّا﴾ (٤٧) وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا نَدَعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) فَلَمَّا أَغْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

وقال العقيلي: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في
 حديث الناس. حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي
 كوفي، سمع ابن مسعود، سمع منه سلمة بن كهيل في الشفاعة، ولا يتابع على حديثه .
 (١) من أول هنا سقط من «ر» .

(٢) ويقال: يا أبت ويا أبت لغتان، ومن فتح أراد الثبته فحذف. لسان العرب، مختار الصحاح
 (أبو) .

لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٥﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّكُمْ كَانَتْ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
 ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أن تعبدها ﴿لئن لم تنته﴾ عن
 شتمها وذمها ﴿لأرجمك﴾ أي: بالحجارة فلا تقتلنك بها.

وقال السدي: معنى (لأرجمك): لأشتمك.

قال محمد: تقول العرب: فلان يرمي فلاناً، وفلان يرجم فلاناً؛ بمعنى
 واحد؛ يريدون الشتم^(١).

﴿واهجرني ملياً﴾ يعني: طويلاً ﴿قال سلام عليك﴾ إبراهيم يقوله، قال
 الحسن: هذه كلمة جِلْمٍ ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّاً﴾.

قال الكلبي: يعني: رحيماً، وقال بعضهم: لطيفاً.

قال محمد: حَفِيّ فلانٌ بفلان جَفْوَةٌ وَجَفَاوَةٌ؛ إذا برّه وألطفه^(٢).

﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً﴾ أي: عسى أن أسعد به ﴿ووهبنا له
 إسحاق ويعقوب...﴾ إلى قوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً﴾ أي:
 رفيحاً؛ يعني: الثناء عليهم من بعدهم.

﴿وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّكُمْ كَانَتْ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَتَنذِيتهٌ مِنْ جَانِبِ
 الطُّورِ الْآيَمَنِ وَقَرَّبَتْهُ نَبِيًّا ﴿٥٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٨﴾ وَادَّكَّرَ فِي
 الْكِتَابِ لِمَسْمُوعٍ إِنَّكُمْ كَانَتْ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٩﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ

(١) يقال: رَجَمَهُ يَرْجُمُهُ رَجْماً، فهو رَجِيمٌ ومرجوم. لسان العرب (رجم).

(٢) يقال: حَفِيّ - بالكسر - جَفْوَةٌ وَجَفِيَّةٌ وَجَفَاةٌ فهو حَفِيٌّ؛ أي: صار يمشي بلا حُفٍّ ولا نعل.

ويقال: حَفِيّ - بالكسر - حَفَاوَةٌ فهو حَفِيٌّ؛ أي: بالغ في إكرامه والطفه. لسان العرب،
 مختار الصحاح (حفي).

وَالزَّكَاةَ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴿

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أيمن الجبل ﴿وقرئناه نجيًّا﴾ يعني: حين كلمه.

قال محمد: (نجيًّا) يعني: مناجيًّا^(١).

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا﴾ جعله الله له وزيرًا، وأشركه معه في الرسالة^(٢).

﴿إنه كان صادق الوعد﴾.

يحيى: عن أبان العطار «أن إسماعيل وعد رجلًا موعدًا؛ فجاء للموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حَوْلًا ينتظره».

﴿وكان عند ربه مرضيًّا﴾ أي: قد رضي عنه [إذ ابتلاه بالذبح]^(٣) ﴿ورفعناه مكانًا عليًّا﴾ قال مجاهد: لم يمث إدريس، بل رفع كما رفع عيسى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِيَّا نُنَلِّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِّيًّا ﴿٥٨﴾

فَخَلَفَ مِنْ بَآءِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ

(١) أي: فاعيل بمعنى فاعل. والجمع: أنجية. قال الأخفش: وقد يكون النجي جماعة كالصديق؛ قال الله «خلصوا نجيًّا» وقال الفراء: وقد يكون النجي اسمًا ومصدرًا. لسان العرب، مختار الصحاح (نحو).

(٢) نهاية السقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وَمَنْ وَعِلَّ مَلِكًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ
الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا بَيْنَا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَمَا هُمْ بِبَاقِينَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا ﴿٦٤﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ بالنبوة ﴿من ذرية آدم ومن حملنا مع
نوح﴾ وكان إدريس من ولد آدم قبل نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح قال:
﴿ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل﴾ وهو يعقوب ﴿ومن هدينا﴾ للإيمان
﴿واجتبتنا﴾ للنبوة؛ يعني: اخترنا ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّدًا
وبكياً﴾ جمع: (بالـ) ^(١) (ل ٢٠٤) ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال قتادة:
يعني: اليهود ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ تفسير ابن
مسعود (غياً): وادٍ في جهنم، وقد مضى تفسير (الخلف) في سورة
الأعراف ^(٢) ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ ﴿جنات عدن التي
وعدها الرحمن عباده بالغيب﴾ الغيب: الآخرة؛ في قول الحسن المعنى:
وعدهم في الدنيا الجنة في الآخرة.

قال محمد: وتقرأ: (جنات) بالرفع ^(٣) على معنى: هي جنات عدن ﴿إنه
كان وعده ما بيننا﴾ قال محمد: يعني: آتياً؛ وهو مفعول من الإتيان؛ في معنى
فاعل ^(٤).

(١) لسان العرب (بكي) وفي «ر»: بكاء.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٢٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠)، البحر (٦/ ٢٠١).

(٤) وهو قول الفراء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠).

﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي: مثلاً؛ أي: أنك لا تعلمه، و(سمياً) هو من: المُساماة^(١) ويقول الإنسان أينما ما مت لسوف أخرج حياً﴾ هو المشرك يكذب بالبعث. قال الله ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ فالذي خلقه، ولم يك شيئاً قادرٌ على أن يبعثه يوم القيامة، ثم أقسم بنفسه؛ فقال: ﴿فوريك لنحشرنهم﴾ يعني: المشركين ﴿والشياطين﴾ الذين دعته إلى عبادة الأوثان ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ قال قتادة: يعني: على ركبهم.

قال محمد: (جثياً) جمع (جاثٍ)^(٢)، وهو نَضَبٌ على الحال^(٣).
﴿ثم لنترعن من كل شيعَةٍ﴾ يعني: من كل أمة ﴿أيهم أشدُّ على الرحمن عتياً﴾.

قال محمد: (أيهم) بالرفع، وهي أكثر القراءة؛ على معنى: الذين يقال لهم: أيهم أشدُّ^(٤). قيل: المعنى - والله أعلم - : فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتياً، ثم الذي يليه ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ يعني: الذين يضلُّونها ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: «الصرط على جهنم مثل حدِّ السيف، والملائكة معهم كَلَالِبُ من حديد كلما وقع رجلٌ اختطفوه؛ فيمر الصف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجودٍ

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/٥٢٠)، البيان (٢/١٢٩)، البحر (٦/٢٠٤)، لسان العرب (سمو).

(٢) لسان العرب (جثو).

(٣) ينظر الدر المصون (٤/٥١٦).

(٤) ينظر: البيان (٢/١٣٠ - ١٣١)، البحر (٦/٢٠٨)، مجمع البيان (٣/٥٢٢ - ٥٢٣).

الخیل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم^(١).
وتفسير الحسن: ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها، فيجعلها الله على المؤمنين بزدا وسلامًا؛ كما جعلها على إبراهيم.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِنِشَآءٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًا ۖ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ۖ﴾ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي
الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ
هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۖ﴾ ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ هَدَىٰ وَالتَّبَيُّنُ الْفَصْلُحَتْ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۖ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين﴾ نحن أو أنتم؟ ﴿خير مقامًا
وأحسن نديًا﴾ المقام: المسكن، والتدبي: المجلس.

قال قتادة: رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة، فقالوا لهم ذلك.
قال الله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثنا﴾ أي: متاعًا ﴿ورثنا﴾
أي: منظرًا؛ في قراءة من قرأها مهموزة، ومن قرأها بغير همز (ورثًا)^(٢) فهو من

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١٠/١٦) وآدم بن أبي إياس في تفسيره - كما في التخويف من النار (ص ١٩٧) والحاكم في المستدرک (٣٧٥/٢ - ٣٧٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٨/٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.
وروي هذا الحديث عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، انظر التخويف من النار (١٩٦ - ١٩٧) والدر المنثور (٣٠٨/٤).

(٢) ترك الهمز قالون عن نافع وابن عامر. السبعة (٤١١ - ٤١٢) التيسير (١٤٩).

قَبْلَ الرُّوَاءِ^(١)، وإنما عيش الناس بالمطر تُثَبِّتُ زرعهم، وتعيش ماشيتهم^(٢) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ هذا الذي يموت على ضلالتة ﴿فليمدد له الرحمن مَدًّا﴾ هذا دعاء أمر الله النبي أن يدعوه؛ (ل ٢٠٥) المعنى: فأمد له الرحمن مَدًّا. ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني: إما العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، أو العذاب الأكبر؛ لم يبعث الله نبيًا إلا وهو يحذر أمته عذاب الله في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

قال محمد: (العذاب) و(السَّاعَة) منصوبان على معنى البدل^(٣) من [ما]^(٤) يوعدون؛ المعنى: إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعة، قال: فيسلمون عند ذلك.

﴿من هو شرُّ مكانًا﴾ أهمُّ المؤمنون ﴿وأضعف جنْدًا﴾ في النصرة والمنعة؛ أي: ليس لهم أحدٌ يمنعهم من عذاب الله ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ يعني: يزيدهم إيمانًا ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال الحسن: هي الفرائض ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا﴾ جزاء في الآخرة ﴿وخيرٌ مَرْدًا﴾ يعني: خيرٌ عاقبة من أعمال الكفار.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ ﴿أَطْلَعَ الْعَيْنَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿وَنَزِثُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ

(١) وقيل: بل هو من الرِّي ضد العطش. الدر المصون (٤/ ٥٢٠).

(٢) من هنا بدأ سقط آخر من «و».

(٣) ينظر: البحر (٦/ ٢١٢)، إعراب القرآن (٢/ ٣٢٦)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٥).

(٤) في «الأصل»: مما.

يَعْبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَثَّا ﴿٨٢﴾
 فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ
 الْمَجْرُمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ أي: في الآخرة ﴿أطلع
 الغيب﴾ على الاستفهام؛ أي: علم ما فيه؛ أي: لم يطلع ﴿أم اتخذ عند
 الرحمن عهدا﴾ أي: لم يفعل، والعهد: التوحيد؛ في تفسير بعضهم.
 ﴿كلاً سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ هو كقوله: ﴿فذوقوا فلن
 نزيدكم إلا عذابا﴾^(١).

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: نرثه ماله وولده الذي قال ﴿ويأتينا فردا﴾ لا شيء معه.

يحيى: عن صاحب له، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق،
 عن خباب بن الأرت قال: «كنت قتيئا^(٢) في الجاهلية، فعملت للعاص بن
 وائل حتى اجتمعت لي عنده دراهم؛ فأتيته أتقاضاه فقال: والله لا أفضيك
 حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد؛ حتى تموت ثم تبعث.
 قال: وإني لمبعوث؟! قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثم مال وولد فأفضيك،
 فأتيت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: ﴿ويأتينا فردا﴾^(٣).

﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ هو كقوله: ﴿واتخذوا من

(١) النبا: ٣٠.

(٢) القتي هو الحداد، وهو أيضا: العبد. والجمع: قتيون: لسان العرب (قين).

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/٤) رقم ٢٠٩١، ومسلم (٢١٥٣/٤) رقم ٢٧٩٥ من طريق الأعمش.

دون الله آلهة لعلهم ينصرون»^(١) وإنما يرجون منفعة أوثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

قال الله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ في الآخرة ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ [قرناء في النار]^(٢) المعنى: يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض؛ في تفسير قتادة .

﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾ قال قتادة: يعني: ترزعجهم إزعاجاً في معصية الله .

﴿فلا تعجل عليهم﴾ وهذا وعيد ﴿إنما نعدُّ لهم عدداً﴾ يعني: الأجل . قال سعيد بن جبير: كتب في أول الصحيفة أجله، ثم يكتب أسفل من ذلك ذَهَبَ يوم كذا، وذهب يوم كذا؛ حتى يأتي على أجله^(٣).

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾.

يحيى: بلغني عن جُوَيْر، عن الضحاك بن مزاحم، عن الحارث، عن علي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: هل يكون الوافدُ إلا الرَّاكِب؟ فقال: والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنُوقٍ بيض لها أجنحة عليها رجائل الذهب، كل خطوة منها مدُّ البصر^(٤).

(١) يس: ٧٤ .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من ابن كثير (٢٥٧/٥).

(٣) نهاية السقط من «ر» .

(٤) جوير بن سعيد متروك؛ وقد اختلف عليه فيه:

فرواه عمرو بن هاشم الجنبي عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس «سأل علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ... فذكره» .

خرجه ابن عدي في الكامل (٢٤٥/٦).

ورواه إسماعيل بن زياد عن جوير عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي .

قال محمد: الوفد في كلام العرب: الركبان المكرمون، واحدهم: وافد^(١)
﴿ونسوق المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿إلى جهنم وردًا﴾ أي: عطاشًا.
قال محمد: ﴿وردًا﴾ أضله في اللغة: الجماعة يردون الماء^(٢).
﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال بعضهم العهد:
التوحيد.

= خرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٨ رقم ٢٨١).
ورواه العقيلي في الضعفاء (١/٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان، عن أبيه،
عن الضحاك، عن الحارث، عن علي.
وقال العقيلي: حديث غير محفوظ.
ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥) وفي زوائد فضائل الصحابة رقم
(١٢٢٨) وهناد في الزهد (٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١١٩) والطبري في التفسير
(١٦/١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - والحاكم في
المستدرک (٢/٣٧٧) وابن مردويه والواحدي في تفسيريهما - كما في تخريج الكشاف (٢/
٣٣٨) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٩ - ١٣٠ رقم ٢٨١) والبيهقي في الشعب (٢/
٢١٢ رقم ٣٥٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي موقوفًا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان،
وضعه.

ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث عن عباد بن يعقوب الرواجني، عن محمد بن
فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق به مرفوعًا.
ثم قال: لم يرفعه عن ابن فضيل إلا عباد. اه تخريج الكشاف (٢/٣٣٩).
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - عن أبي معاذ البصري
عن علي مرفوعًا مطولًا.

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا عن علي... فذكره ثم
قال: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي عليه
بنحوه، وهو أشبه بالصحة، والله أعلم.

(١) ويُجمع الوفد على: أوفاد، ووفود. لسان العرب (وفد).

(٢) وهو ضد الضد. مختار الصحاح (ورد).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٨) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ۖ وَخِزِرُ الْبَالِ هَذَا﴾ (٩٠) ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩٢) ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥) ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَسَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ۖ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ (٩٧) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ آدَمَ ۖ لَقَدْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (٩٨)

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ قال (مجاهد)^(١): يعني: عظيمًا ﴿يَكَادُ﴾ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴿أَيَ﴾: يتشققن منه ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ أَيَ: سقوطًا ﴿أَنْ دَعَا﴾ بأن دعوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قال قتادة: بلغنا أن كعبًا قال: غضبت الملائكة، وسُغرت جهنم حين قالوا ما قالوا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال قتادة: يعني: في قلوب أهل الإيمان.

(ل ٢٠٦) يحيى: عن مندل بن علي، عن سُهَيْل بن أَبِي صالح، عن أبيه، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ». قَالَ: فِينَادِي جَبْرِيلُ: (يَا أَهْلَ السَّمَاءِ)^(٢) إِنَّ اللَّهَ

(١) في «ر»: محمد.

(٢) قرأ نافع والكسائي ﴿يَكَادُ﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿تَكَادُ﴾ بالياء على التأنيث. النشر (٣١٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٨٠).

(٣) في «ر»: في أهل السموات.

يحب فلانًا؛ فأحبوه. قال: ثم يُوضع له القبول - يعني: المودة - في الأرض^(١) قال سهيل: وأخسبه ذكر البغض مثل ذلك.

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالجنة ﴿وتنذر به﴾ بالنار ﴿قومًا لدا﴾ أي: ذوي لَدَدٍ وخصومة؛ يعني: قريشًا ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿من قرن هل تحس منهم من أحد﴾ أي: هل ترى ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ يعني: صوتًا؟ أي: إنك لا ترى منهم أحدًا، ولا تسمع لهم صوتًا.

قال محمد: الرُّكْزُ في اللغة: الصَّوْتُ الخفي^(٢).



(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٠ - ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٧) من طريق سهيل بن أبي صالح به. ورواه البخاري (١٣/ ٤٦٩ رقم ٧٤٨٥) من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح به. ورواه البخاري (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٩ ، ١٠/ ٤٧٦ رقم ٦٦٤٠) من طريق نافع عن أبي هريرة.

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (ركز).

تفسير سورة طه وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْأُولَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَمْ يَلَمْسْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

قوله: ﴿طه﴾ قال الحسن: يعني: يا رجل ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي: إنه شقي ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ يقول: إنما (أنزله) ^(١) تذكرة لمن يخشى الله، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة ﴿تنزيلًا﴾ (أي: أنزله تنزيلًا) ^(٢) ﴿ممن خلق الأرض والسموات العلا﴾ يعني: نفسه. قال محمد: (العلا) جمع: العلّيا؛ يقال: سماء علّيا، وسموات علّا ^(٣). ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال أبو رجاء العطاردي: الثرى: الأرض التي تحت الماء التي يستقر عليها؛ فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال قتادة: السر: ما حدثت به نفسك، وأخفى منه: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك. ﴿له الأسماء الحسنى﴾ لله تسعة وتسعون اسما.

(١) في «ر»: أنزلناه.

(٢) سقط من «ر».

(٣) لسان العرب (علو)، الدر المصون (٧/٥).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي
 ءَاتِيكُمْ مِنْهَا يُقْبَسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا آنَهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
 فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى نارا﴾
 أي: عند نفسه (وإنما كانت نورا) (١) ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا﴾
 أي: رأيت ﴿لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ يعني: هداة
 يهدونه الطريق.

قال محمد: القَبْسُ: ما أخذته في رأس عودٍ من النار، أو في رأس قِثْلَةٍ (٢).
 قال: ﴿فلما أتاهها﴾ أي: النار التي ظنها نارا ﴿نودي يا موسى إني أنا
 ربك﴾.

قال محمد: تقرأ: (أنبي) بالفتح والكسر (٣)؛ الفتح على معنى: نودي بأنبي،
 والكسر بمعنى: نودي: يا موسى، فقال الله له: ﴿إني أنا ربك فاخلع
 نعليك﴾ قال قتادة: كانتا من جلد حمارٍ ميت فخلعهما ﴿إنك بالواد المقدس
 طوى﴾ المقدس: المبارك، وطوى: اسْمُ الوادي.

قال محمد: القراءة عند أهل المدينة بضم أوله بغير تنوين (٤).

(١) سقط من «ر».

(٢) وهي الذبالة. مختار الصحاح (فتل).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء؛ أي: بأنبي، وقرأ الباقر بالكسر. ينظر:
 النشر (٣١٩/٢ - ٣٢٠)، الدر المصون (٩/٥).

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر (طوى) بضم الطاء والتنوين، والباقر بضمها من غير تنوين، وروي
 عن الحسن والأعمش بكسر الطاء منونا، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منونة.
 ينظر النشر (٣١٩/٢) الإتحاف (٣٦٥)، البحر (٢٣١/٦)، الدر المصون (٩/٥).

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ﴾ (١٥) ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (١٦) ﴿وَمَا تِلْكَ يَسْمِينِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (١٧) ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (١٨) ﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَىٰ﴾ (١٩) ﴿فَالْقَنَاهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَىٰ﴾ (٢٠) ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (٢١) ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَةً مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ﴾ (٢٢) ﴿لِرَبِّكَ مِن ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ (٢٣) ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢٤) ﴿

﴿وَأَنَا اخترتك﴾ أي: لرسالتي ولكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك ﴿واقم الصلاة لذكري﴾ في تفسير مجاهد: إذا صلى العبد ذكر الله ﴿إن الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال قتادة: هي في قراءة أبي: (أكاد أخفيها من نفسي)^(١) ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ يقول: إنما تجيء الساعة لتجزى كل نفس بما تعمل.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ .

﴿فتزدى﴾ أي: تهلك .

﴿وما تلك يمينك يا موسى﴾ سأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ قال قتادة: كان يخبط^(٢) بها ورق الشجر.

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ قال قتادة: يعني: حوائج.

(١) ينظر البحر (٢٣٣/٦)، الدر المصون (١١/٥).

(٢) أي: يضرب. لسان العرب (خبط).

قال محمد: واحد المآرب: مأربة، ومأربة أيضًا^(١).

﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ أي: ترحف على بطنها بسُرعة.

﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: هيئتها الأولى؛ يعني: عصا ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ قال مجاهد: أمره أن يدخل كفه تحت عضده (٢٠٧).
﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قال قتادة: يعني: من غير برص^(٢).

قال الحسن: أخرجها - والله - كأنها مصباح، فعلم موسى أن قد لقي ربه.

﴿آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ كانت اليد أكبر من العصا.

قال محمد: (آية) بالنُّصب على معنى: نريك آية أخرى^(٣).

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَزِدْ لِ أَمْرِي ٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ٢٩ هَؤُلَاءِ أَخِي ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَزْرًى ٣١ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَىٰ سَيْحِكَ كَيْهًا ٣٣ وَتَذَكَّرَكْ كَيْهًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ٣٦﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ دعا أن يشرح صدره للإيمان.

﴿ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ ففعل الله به ذلك، وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون وهو صغير فهمم بقتله، وقال: هذا عدو لي! فقالت له امرأته: إن هذا صغير لا يعقل؛ فإن أردت أن تعلم ذلك، فادعُ بتمرّة وجمرة، فاعرضهما عليه، فأتي بتمرّة وجمرة فعرضهما

(١) ونقل الفارابي: (مأربة) أيضًا بالكسر، وبابه طرب. ينظر مختار الصحاح (أرب).

(٢) هو بياض يصيب الجلد. المعجم الوسيط (برص).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣٣٦/٢)، مجمع البيان (٧/٤)، البيان (١٤١/٢).

عليه، فتناول الجمرة فألقاها فيه، فمئنا كانت [تلك] ^(١) العُقدة في لسانه.

قال محمد: يعني بالعقدة: رُتَّة ^(٢).

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ أي: عوينا من أهلي ﴿هارون أخي اشدُّ به أزي﴾ أي: ظهري.

قال محمد: يقال: أزرت فلاناً على الأمر؛ أي: قوئته عليه، فأما وازرته: فصرت له وزيراً ^(٣).

﴿وأشركه في أمري﴾ دعاء من موسى لربه أن يشركه في أمره.

﴿قال قد أوتيت سؤلك﴾ أي: ما سألت ﴿يا موسى﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٢٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْرِضْنِي فِي التَّابُوتِ فَأَقْرِضْنِي فِي الْبَيْتِ فَلْيَلْغِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَالْقَبِيتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِنِّي وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْقٍ ﴿٢٩﴾ إِذْ تَسْتَوِي لُجُجُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْتُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَفَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتْنَاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِي ﴿٣٠﴾ وَأَصْطَنَعْنَا لِنَفْسِی ﴿٣١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَأْبِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٣٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٣٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَنَّكُمَا تُذَكِّرُونَ أَوْ يَحْشَى ﴿٣٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الرُتَّة - بضم الراء - : العُجْمة في الكلام، ورجل بين الرُتَب، وفي لسانه رُتَّة؛ أي: عجمة لسان العرب، مختار الصحاح (رتت).

(٣) الأزر: القوة، والوزر: الثقل، ومنه الوزير؛ لأنه يحمل عنه وزره؛ أي: ثقله. لسان العرب، مختار الصحاح (أزر)، (وزر).

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَارَى ﴿٤٦﴾ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فذكره النعمة الأولى - يعني: قوله: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ شيء قذف في قلبها ألهمته، وليس بوحى نبوة ﴿أن اقدفيه في التابوت﴾ أي: اجعليه ﴿فاقدفيه في اليم﴾ في البحر ﴿فليلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾ يعني: فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ قال قتادة: ألقى الله عليه محبة منه، فأحبهه حين راوه ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي: ولتغذى بمرأى مني.

﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ أي: يضمه. قالوا: نعم. فجاءت بأمه، فقَبِلَ نديها.

﴿وقتل نفساً﴾ يعني: القبطي الذي كان قتله خطأ ﴿فنجيناك من الغم﴾ قال الحسن: يعني: من الخوف؛ فلم يصل إليك القوم، وغفرنا لك ذلك الذنب ﴿وفتتاك فتوتاً﴾ أي: ابتليناك ابتلاء؛ الابتلاء والاختبار بمعنى واحد ﴿فلبث سنين في أهل مدين﴾ أقام بمدين عشرين سنة ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أي: على موعد؛ في تفسير مجاهد.

﴿واصطنعتك لنفسى﴾ اخترتك.

﴿ولا تنيا في ذكرى﴾ أي: لا تضعفا في الدعاء إلي ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر ﴿فقولا له قولاً لينا﴾ سمعت بعض الكوفيين يقول في تفسير ذلك: كُتِيَاه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ قال السدي: الألف ها هنا

صلة^(١) يقول: لعله يتذكر ويخشى.

قال محمد: (لعل) في اللغة معناها: الترجي والطمع^(٢)، فالمعنى: اذهبا على رجائكما وطمعكما؛ وقد علم الله - عز وجل - أنه لا يتذكر ولا يخشى.

﴿قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل علينا عقوبة منه ﴿أو أن يطغى﴾ فيقتلنا ﴿قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ يقول: ليس بالذي يصل إلى قتلكما.

﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾ كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ﴿قد جئناك بأية من ربك﴾ العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾.

قال يحيى: كان النبي ﷺ إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»^(٣).

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

(١) يريد: أن (أو) بمعنى الواو في معنى الجمع، وانظر في دلالتها على معنى الواو - مغني اللبيب (٧٥/١).

(٢) أصل (لعل) في اللغة أنها كلمة شك، وأصلها: (عل)، واللام في أولها زائدة، وانظر في الكلام عليها مغني اللبيب (٣١٥/١ - ٣١٨).

(٣) رواه البخاري (٤٢/١ - ٤٤ رقم ٧) ومسلم (١٣٩٣/٤ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه في حديث هرقل الطويل.

مِنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾

﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾
 قال الكلبي: أعطاه شكله، أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر
 الأنثى ﴿ثم هدى﴾ عرّفه كيف يأتيها ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ المعنى:
 دعاه موسى إلى الإيمان بالبعث، فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد
 هلكت فلم تُبعث ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضلُّ ربي ولا ينسى﴾ لا
 يضلّه (٢٠٨) فيذهب، ولا ينسى ما فيه؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ (يُضِلُّ) بفتح الياء^(١)، فهو من قولك: ضللت الشيء
 أضله؛ إذا جعلته في مكان لم تدبر أين هو^(٢).

ومن قرأ (يُضِلُّ) بضم الياء^(٣)، فهو من قولك: أضللت الشيء، ومعنى
 أضللت: أضغته^(٤).

﴿الذي جعل لكم الأرض مهذا﴾ أي: بساطاً ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾
 أي: جعل لكم فيها طرقاً ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً﴾ أضنافاً
 ﴿من نبات شتى﴾ أي: مختلف، فالذي ينبت هذه الأزواج الشتى قادرٌ على
 أن يبعثكم بعد الموت.

(١) وهي قراءة العامة.

(٢) يقال: ضللت الشيء أضله ضلالاً وضلالة؛ وهي لغة أهل العالية، أما لغة أهل نجد، وهي
 الفصيحة: ضللت أضل. مختار الصحاح (ضلل) ومعاني الفراء (١٨١/٢).

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة والجحدري وغيرهم. ينظر: الإتحاف (٣٦٧) مختصر ابن خالويه
 (٨٧)، الدر المصون (٢٧/٥).

(٤) وقال ابن السكيت: أضللت بعيري؛ إذا ذهب منك، وضللت المسجد والدار؛ إذا لم تعرف
 موضعهما. لسان العرب، مختار الصحاح (ضلل) وينظر الإملاء (١٢٢/١).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ العقول.

قال محمد: واحد النهى: نُهْيَةٌ، يقال: فلانٌ ذو نُهْيَةٍ؛ أي: ذو عقلٍ ينتهي به عن القبائح (١).

﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا كُلَّهَا فَنَكَذَّبُ وَإِنِّي ۖ قَالَ أَجْتَنَّا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسَعْرِكَ يٰمُوسَىٰ ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ۖ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۖ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ صُحًى ۚ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۖ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَرِيبُكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَئِيَ ۖ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ بُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ۖ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۖ﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ يعني: التسع.

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى﴾ قال مجاهد: يعني: منصفاً.

قال محمد: يعني: يكون النصف فيما بين المكانين.

﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يعني: يوم عيد كان لهم يجتمعون فيه ﴿ضحى فتولى فرعون فججمع كيده﴾ يعني: ما جمع من سحرة ﴿فيسحِتكم بعذاب﴾ أي: يستأصلكم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي: تناظروا؛ يعني: السحرة

(١) وسمى العقل نُهْيَةً؛ لأنه ينهى عن القبيح. لسان العرب، مختار الصحاح (نهی).

﴿وَأَسْرِوا النَّجْوَى﴾ أخفوا الكلام، قالت السحرة: إن كان هذا الرجل ساحراً؛ فإننا سنغلبه، وإن يك من السماء كما زعم فله أمرٌ .

﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ يعني: موسى وهارون.

قال محمد: قوله: ﴿هَذَانِ﴾ بالرفع؛ ذكر أبو عبيدة أنها لُغَةٌ لِكِنَانَةٍ؛ يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصب على لفظ واحد، ولأهل العربية فيه كلام كثير، واختلافٌ يطول ذكره، غير الذي ذكر أبو عبيدة^(١).

﴿ويذهب بطريقتكم المثلى﴾ أي: بعيشكم الأمثل؛ يعني: بني إسرائيل، وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا؛ يأخذون منهم الخراج ويستعبدونهم ﴿فاجمعوا كيدكم﴾ أي: سحركم، يقوله بعضهم لبعض ﴿ثم اتوا صفاً﴾ أي: تعالوا جميعاً ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب .

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ٦٥ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِحِيلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ ٦٦ ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ ٦٧ ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ٦٨ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِمَّا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ٦٩ ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ مُجَدًّا قَالُوا أَمَّا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ٧٠ ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِينَ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا تُصَلِّتُكُمْ فِي جُدُوعٍ أَنْتَخِلْ وَلِنَعْلَمَنْ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ٧١ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَئِثَةِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، يشمل القراءات القرآنية وتوجيهها. ينظر: إعراب القرآن (٣٤٣/٢)، البحر (٢٥٥/٦)، الخصائص (٦٥/٣)، الهمع (١٣٣/١).

فَإِذَا نَقَضَىٰ هَذِهِ الْحَبْوَةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تُسْعَىٰ﴾ أي: أنها حيات تسعى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ أضمر .

﴿تَلَقَّفَ﴾^(١) ما صنعوا ﴿أي: تبتلعه بفيها .

﴿إنما صنعوا﴾ أي: أن الذي صنعوا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ حيث كان .

﴿إنه لكبيركم﴾ في السحر؛ أي: عالمكم ﴿فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني: أنا أو موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ .

﴿قَالُوا لَنْ نُوْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: وعلى الذي خلقنا .

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال السُّدي يقول: افعل في أمرنا ما أنت فاعل، إنما تفعل في هذه الحياة الدنيا ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك يا فرعون ﴿وَأَبْقَى﴾ . ﴿إنه من يأتِ ربه مجرمًا﴾ أي: مشركًا ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ .

(١) وهي قراءة العامة؛ أي: بفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ حفص وحده بإسكان اللام وفتح القاف. ينظر السبعة (٤٢٠)، التيسير (١٥٢)، النشر (٣٢١/٢).

﴿ومن يأنه مومنًا...﴾ إلى قوله: ﴿من تزكى﴾ أي: من آمن .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَجَشًا ۖ﴾ (٧٧) ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِحُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۖ﴾ (٧٨) ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ﴾ (٧٩) ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنَ عُدُوكَ ۖ وَوَعَدْنَاكَ لَاجِلِ الطُّورِ الْآيَمْنَ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَمْنَ وَالسَّلَاسَىٰ ۖ﴾ (٨٠) ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَنَنْحِلَ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۖ﴾ (٨١) ﴿وَلِإِي لَفَقَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۚ﴾ (٨٢) ﴿وَمَا أَصْبَلْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۖ﴾ (٨٣) ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۖ﴾ (٨٤) ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ﴾ (٨٥) ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالِ يَنْقُومُ آلَمَ يَبْعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَطَقَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۖ﴾ (٨٦) ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقُورِ فَقَدَفْنَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ﴾ (٨٧) ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسَى ۖ﴾ (٨٨) ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا رَجْعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ﴾ (٨٩)

﴿فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا﴾ قال الحسن: أتاه جبريل على فرس؛ فأمره فضرب البحر بعصاه، فصار طريقًا يبسًا.

قال محمد: يعني: ذا ييس.

قال يحيى: بلغني أنه صار اثني عشر طريقًا، لكل سبط (١) طريق.

(١) السُّبُط واحدًا الأسباط؛ وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب. مختار الصحاح (سبط).

﴿لا تخاف دركاً﴾ أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ الغرق أمامك ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قال محمد: يعني: لحقهم ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يقول: فغرقوا.

﴿وواعدناكم﴾ يعني: مواعده لموسى ﴿جانب الطور الأيمن﴾ يعني: أيمن الجبل ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ وقد مضى تفسيره^(١).

﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي: لا تعصوا الله في رفع المن والسلوى، وكانوا أمروا ألا يأخذوا منه لغد، وقد مضى تفسير هذا^(١) ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي: (ل٢٠٩) فيجب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ في النار.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ مضى بالعمل الصالح حتى يموت.

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم: يعني: السبعين الذين اختارهم؛ فذهبوا معه للميعاد ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ أي: ينتظروني بالذي آتيهم به، وليس يعني أنهم يتبعونه.

﴿قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك﴾ أي: ابتليناهم.

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي: حزينا شديدا الحزن مع غضبه على ما صنع قومه من بعده ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ في الآخرة على التمسك بدينه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ يعني: الموعد ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكتنا...﴾ أي: بطاقتنا إلى قوله: ﴿فنسي﴾.

قال يحيى: كان وعدهم موسى أربعين ليلة، فعدوا عشرين يوماً وعشرين ليلة، فقالوا: هذه أربعون، فقد أخلفنا موسى الوعد، وكانوا استعاروا من

آل فرعون خُلِيًّا لهم [أظنه] ^(١) ليوم العيد، وكانوا قد أمروا أن يسري بهم ليلاً، فكره القوم أن يردُّوا العواري ^(٢) على آل فرعون، فيفطنوا لهم، فأسروا من الليل والعواري معهم؛ وهي الأوزار التي قالوا: ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أي: أثقالاً، فقال لهم السامري بعد ما مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة: إنما ابتليتم بهذا الحلي فهاتوه. وألقى ما معه من الحلي، وألقى القوم ما معهم، فصاعه عجباً، ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فجعل يخور خُوراً ^(٣) البقرة؛ فقال عدو الله: ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي: نسي موسى، المعنى: أن موسى طلب هذا ولكنه (نسيه) ^(٤) وخالفه في طريق آخر؛ قال الله: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً﴾ يعني: العجل.

قال محمد: من قرأ (ألا يرجع) بالرفع ^(٥)، فالمعنى: أنه لا يرجع ﴿ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقَوِي إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ^(١٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ^(١١) قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ^(١٢) أَلَا تَتْلُمَنُ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ^(١٣) قَالَ يَبْتَنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ^(١٤) قَالَ فَمَا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) واحدها: عارية: وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك. المعجم الوسيط (عور).

(٣) الخوار: الضياح. لسان العرب (خور).

(٤) في «ر»: بُنِيَ.

(٥) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو حية بنصب (يرجع). ينظر البحر (٦/٢٦٩)، الدر المصون (٥/

خَطْبُكَ يَسْمِعُ ۖ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ أَنتَهُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني: العجل ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿قالوا لن نبرح﴾ أي: لن نزال ﴿عليه عاكفين﴾ نعبده ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ أي: ولم تنتظر ميعادي، وقد استخلفتك فيهم.

قال محمد: من قرأ (يا ابن أم) بفتح الميم^(١) وموضعها جر فإنما ذلك؛ لأن (ابن وأم) جُعِلَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَبُنِيَا عَلَى الْفَتْحِ مِثْلَ خَمْسَةِ عَشَرَ^(٢).

﴿قال﴾ ثم أقبل موسى على السامري؛ فقال له: ﴿فما خطبك﴾ أي: ما حُجَّتُكَ ﴿يا سامري قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكان الذي رأى: فرس جبريل.

قال محمد: يقول أهل اللغة: بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ؛ إِذَا صَارَ عَلِيمًا بِالشَّيْءِ،

(١) تقدم تخريج هذه القراءة في (الأعراف: ١٥٠).

(٢) ينظر البحر (٢٧٣/٦)، الدر المصون (٤٩/٥).

وَأَبْصِرْ يُبْصِرْ؛ إِذَا نَظَرَ^(١).

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يعني: من تحت حافر فرس جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها في العجل؛ يعني: حين صاعه، وكان صائغاً ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي: وقع في نفسي أنني إذا ألقيتها في العجل خَارَ^(٢). قال قتادة: وكان السامري من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكن نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ (يعني: حياة الدنيا) ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ يعني: لا تخالط الناس، ولا يخالطونك^(٣) فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة، والسامرة صُنِفَ من اليهود.

قال قتادة: يقال: السامرة حتى الآن بأرض الشام، يقولون: لا مساس^(٤). قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ يعني: يوم القيامة فيجزيك الله فيه بأسوا عملك ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: صِرْتَ عليه ﴿عَاكِفًا﴾ على عبادته (ل ٢١٠) ﴿لَنَحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ . محمد: النَّسْفُ: التَّذْذِيرُ^(٥).

قال الكلبي: ذبحه موسى، ثم أخرقه بالنار، ثم ذراه في البحر. ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ قال قتادة: ملأ ربي كل شيءٍ ﴿عِلْمًا﴾ يقول: لا يكون

(١) بَصُرٌ يَبْصُرُ بَصْرًا؛ أي: علم، فهو بصير. وَأَبْصَرَ يُبْصِرُ ابْتِصَارًا؛ أي: رأى فهو مُبْصِر. لسان العرب، مختار الصحاح (بصر).

(٢) أي: صاح. لسان العرب (خور).

(٣) سقط من «ر».

(٤) وقيل: المعنى: لا أَمْسُ ولا أَمْسُ. مختار الصحاح: (مسس).

(٥) لسان العرب (نسف).

شيء إلا بعلم الله .

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۚ﴾ ﴿١٢١﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٢٢﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٢٣﴾ يَخْلَفْتُونُ بَيْنَهُمْ إِن لَّيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٢٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي: من أخبار ما قد مضى ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ يعني: القرآن ﴿من أعرض عنه﴾ عن القرآن لم يؤمن به ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا﴾ ثقلًا؛ يعني: الإثم ﴿خالدين فيه﴾ أي: في ثواب ذلك الوزر؛ وهي النار ﴿وساء لهم﴾ أي: وبئس لهم ﴿يوم القيامة حملًا﴾ يعني: ما يحملون على ظهورهم من الوزر.

قال محمد: (حملًا) منصوبٌ على التمييز^(١)؛ المعنى: ساء الوزرُ لهم يوم القيامة حملًا، وسمى (الوزر حملًا)^(٢)؛ لأنَّ صاحبه يحمل به ثقلًا^(٣).

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ والصور: قرنٌ ينفخ فيه صاحبُ الصور؛ فينطلق كل روح إلى جسده، تُجعل الأرواح كلها في الصور؛ فإذا نُفِخَ فيه خرجت الأرواحُ مثل النحل كل روح إلى جسده ﴿ونحشر المجرمين﴾ المشركين؛ هذا حشرٌ إلى النار ﴿يومئذٍ زُرْقًا﴾ أي: مسوَّدة وجوههم ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي:

(١) ينظر: البحر (٢٧٨/٦)، الإملاء (١٢٧/٢)، الدر المصون (٥٤/٥).

(٢) في «ر»: الإثم وزرًا.

(٣) ومنه سمي الوزر؛ لأنه يُحْمَلُ عنه وزره؛ أي: ثقله. مختار الصحاح (وزر).

يتساورون ﴿إِنْ لَبِثُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ يقللون لبثهم في الدنيا .
قال محمد: الخُفُوتُ أَضْلُهُ في اللغة: السُّكُونُ؛ يقال: خفت الكلام وخفت الدعاء؛ إذا سكن^(١).

﴿إِذْ يَقُولُ امثلهم طريقة﴾ أي: أعقلهم.

قال محمد: يعني: أعقلهم عند نفسه، وأعلمهم بما يقول.

﴿إِنْ لَبِثُمْ﴾ أي: ما لبثتم ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ قال قتادة: هي مواطن، قالوا: إلا عشرين، وإلا يومًا، وقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٢) وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف المجرمون ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ أي: في الدنيا، وذلك لتصاغر الدنيا عندهم، وقلتها في طول الآخرة.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٢٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٢٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٢٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلَمًا ﴿١٣٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٣٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٣٣﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا﴾ أي: يذريها تذرية من

(١) خَفَّتِ الصَّوْتُ يَخْفُتُ خُفُوتًا، أي: سكن، ومنه المُخَافَةُ، والتَخَافُت. والخَفْتُ: إسرار المَنَظِق. مختار الصحاح (خفت).

(٢) المؤمنون: ١١٣.

أصولها، تصوير الجبال كالهباء^(١) المثور. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ يعني: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ القاع: الذي لا أثر عليه، والصَّفْصَف: المستوية التي ليس عليها نبات ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ قال ابن عباس: العوج: الوادي ﴿وَلَا أُمْتًا﴾ قال مجاهد: يعني: ارتفاعًا ﴿يَوْمُئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ صاحب الصور؛ أي: يسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يتعوجون عن إجابته يمينًا ولا شمالًا ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال الحسن: يعني صوت الأقدام.

قال محمد: الهمسُ في اللغة: الشيء الخفي^(٢).

﴿يَوْمُئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يعني: التوحيد.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا صاروا في الآخرة ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أي: ويعلم ما لا يحيطون به علمًا؛ أي: ما لا يعلمون ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: ذلت، والقيوم: القائم على كل نفس.

قال محمد: يقال: عنا يَغْتَوُّ؛ إذا خضع^(٣).

﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ حَمْلِ ظُلْمًا﴾ أي: شركًا.

(١) الهباء: دُقاق التراب. وقيل: هو الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. لسان العرب، مختار الصحاح (هبو).

(٢) وَمَسَّ الْأَقْدَامُ أَخْفَى ما يكون من صوت القدم، وبابه: ضرب. لسان العرب، مختار الصحاح (همس).

(٣) عَنَّا يَغْتَوُّ عَوًّا: خضع وذلك، وهو عَانٍ، وهم عَنَاءة، وَهْنٌ عَوَانٍ. مختار الصحاح، القاموس المحيط (عنو).

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظلماً﴾ يعني: أن يُزاد عليه في سيئاته ﴿ولا هضمًا﴾ أن ينقص من حسناته .

﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بينا؛ من يعمل كذا فله كذا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أو يحدث لهم ذكراً ﴿تَفْسِيرُ السَّيِّدِ﴾: المعنى: لعلهم يتقون، ويُحدث لهم ذكراً؛ الألف ها هنا صلة ^(١).

﴿فَعَنَى اللَّهُ أَمْلَكُمْ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِىَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُ مِنْ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ مِنْ هَذَا عَدُوًّا لَكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْغُلَّةِ وَمَنْ لَكَ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ نُفُسِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ فَلَبِىَّ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنْ لَمْ يَمِيشْهُ ضُنْكَ وَنَحْشُرْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِى مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾

(١) يريد أن (أو) في قوله تعالى: ﴿أو يحدث﴾ بمعنى الواو؛ وينظر في دلالة (أو) على معنى الواو - معنى اللبيب (١/ ٧٥).

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾ أي: لا تتلّه؛ حتى تنمّه لك؛ كان النبي إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويُدبّر^(١) فيه نفسه؛ مخافة أن ينسى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ يعني: ما أُمِرَ به: ألا يأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ يعني: فترك ما أُمِرَ به. ﴿ولم نجذ له عزماً﴾ أي: صبراً.

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ في الدنيا، يعني: الكدّ فيها ﴿إنّ لك ألا تجوع فيها﴾ يعني: في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ كانا كُسيَا الظفر ﴿وأنك لا تظمأ فيها﴾ أي: لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي: لا تصيبك شمس.

قال محمد: يقال: ضحى الرجل يضحى؛ إذا برز إلى الضحى، وهو حرّ الشمس^(٢).

﴿وطبقا يخرصان عليهما من ورق الجنة﴾ (ل ٢١١) يعني: جعلاً يرقعانه كهَيئَةِ الثوب.

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ولم يبلغ بمعصيته الكفر ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾ من ذلك الذنب ﴿وهدى﴾ أي: مات على الهدى.

﴿فمن اتبع هداي﴾ يعني: رُسُلِي وكتبي ﴿فلا يضل﴾ (في الدنيا)^(٣) ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ فلم يؤمن ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾.

يحيى: عن عبد الله بن عرادة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿معيشة ضنكاً﴾ يعني: عذاب

(١) أي: يجذّ ويتعب. لسان العرب (دأب).

(٢) ضحى للشمس يضحى، وضحى يضحى ضحاً أي: برز لها. لسان العرب (ضحى).

(٣) سقط من «ر».

القبر»^(١).

قال محمد: أصل الضَّنْكَ في اللغة: الضيق والشدة، يقال: ضَنَّكَ عَيْشُهُ ضَنَّكَ، وضَنَّكَ، وقالوا: «معيشة ضَنَّكَ» أي: شديدة^(٢).

يحيى: عن أبي أمية، عن يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب «أن رسول الله ﷺ اتبع جنازة رجل من الأنصار؛ فلما انتهى إلى قبره وجده لم يَلْحَدْ؛ فجلَسَ وجلسنا حَوْلَهُ كأنما على رؤوسنا الطيرُ ويده عودٌ وهو ينكت به في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر - قالها ثلاثاً - إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة، وانقطع من الدنيا أتته ملائكةٌ وجوهُهم كالشمس بحَنُوطه وكفنه، فجلسوا بالمكان الذي يراهم (منه)^(٣)؛ فإذا خرج روحه صلى عليه كل مَلَكٍ بين السماء والأرض؛ وكل مَلَكٍ في السموات، وفتحت أبواب السماء كل باب منها يُعْجبه أن يصعد روحه منه، فينتهي المَلَكُ إلى ربه، فيقول: يا رب،

(١) هذا مرسل، وعبد الله بن عرادة ضعفه البخاري وغيره، وقد خالفه حماد بن سلمة فرواه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موصولاً، خرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥) وفي تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٥٠٥ رقم ٧٢٧) وابن حبان (٧/ ٣٨٨ - ٣٨٩ رقم ٣١١٩) والحاكم في المستدرک (١/ ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٩ رقم ٥٧، ٥٨) وقال الحاكم: صحيح. كما في إتحاف المهرة (١٦/ ١/ ١٨٣ رقم ٢٠٦١٠).

وروي من طرق عن حماد بن سلمة وغيره، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مطولاً مرفوعاً وموقوفاً. خرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٦٧ - ٥٦٩ رقم ١٧٠٣) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥ - ٢١٦) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧ رقم ٧٢٨، ٧٢٩) وابن حبان (٧/ ٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٣١١٣) والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١ - ٦٢ - رقم ٦٧) وغيرهم.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤): إسناده جيد.

(٢) ينظر لسان العرب (ضنك).

(٣) في «ر»: فيه.

هذا رُوح عبدك، فيصلى عليه الله وملائكته، ويقول: ارجعوا بعبدى فأروه ماذا أعددت له من الكرامة؛ فإني عهدت إلى عبادي أنني منها خلقتكم وفيها نعيدكم، فيُردّ إليه روحه حين^(١) يوضع في قبره، فإنه لَيَسْمَعَ قرع نعالكم حين تنصرفون عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، فيشتهرانه انتهازًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي .

فيناديه مناد: ﴿يَبْتَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) فيأتيه عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول: أبشر (بجنات)^(٣) فيها نعيم مقيم؛ فقد كنت سريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصية الله، فيقول: وأنت بشرك الله بخير فمثل وجهك يبشر بالخير، ومن أنت؟ فيقول: أنا عمك الحسن. ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: كان هذا منزلك فأبدلك الله خيرًا منه، ثم يفتح له في جانب قبره فيرى منزله في الجنة، فينظر إلى ما أعد الله له من الكرامة فيقول: يا رب، متى تقوم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي؟! فيوسع عليه في قبره ويرقد. وأما الكافر فإذا كان في قُبُل من الآخرة وانقطع من الدنيا؛ أثنه ملائكة (سود الوجوه)^(٤) بسراويل من قطران، ومقطعات من نار، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه، فينزِعُ روحه - كما ينزع السُّقُود^(٥) الكثير شعبه من الصوف المبتل - من عروقه

(١) في «ر»: حتى .

(٢) إبراهيم: ٢٧ .

(٣) في «ر»: حياة .

(٤) سقط من «ر» .

(٥) هي الحديدية التي يُشوى بها اللحم . لسان العرب، مختار الصحاح (سغد).

وقلبه؛ فإذا خرج روحه لعنه كل مَلَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السموات، وغلقت أبواب السموات دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه، فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا رب هذا روح عبدك فلان لا تقبله أرض ولا سماء! فيلعنه الله وملائكته، فيقول: ارجعوا بعدي فأروه ماذا أعددت له من الهوان؛ فإني عهدت إلى عبادي أنني منها خلقتكم، وفيها أعيدكم، فترُدُّ^(١) إليه روحه حين يوضع في قبره، وإنه لَيَسْمَعُ قرع نعالكم حين تنصرفون^(ل٢١٢) عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، فينتهرانه انتهازًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: لا دريت، ويأتيه عمله في صورة قبيحة وريح متنتة، فيقول: أبشر بعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بشرٌ فمثل وجهك يبشر بالشر. ومن أنت؟! فيقول: أنا عمك الخبيث. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: كان هذا منزلك لو أطعت الله، ثم يفتح له منزله من النار، فينظر إلى ما أعدّه الله له من الهوان، ويقيض له أصمُّ أعمى، في يده مرزبة^(٢) لو توضع على جبل لصار رُفَاتًا^(٣)، فيضربه ضربةً فيصير رُفَاتًا، ثم يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقلين، وينادي منادٍ أن أفرشوه لَوْحَيْنِ من النار، فَيَفْرِش

(١) في «ر»: فيرد الله.

(٢) ويقال فيها أيضًا: الإرزبة؛ وهي التي يُكسَّر بها المَدَر. وقال صاحب مختار الصحاح: فإن قلنها بالميم - أي: المرزبة - خففت الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (رزب).

(٣) أي: حطائنا؛ تقول: زُفَّت الشيء - على ما لم يُسم فاعله - فهو مرفوت. مختار الصحاح (رفت).

له لَوْحَيْنِ من نار، ويضيق عليه قبره؛ حتى تختلف أضلاعه»^(١).

- (١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٩٥/٤ - ٢٩٦) وعبد الرزاق في المصنف (٥٨٠/٣ - ٥٨٢ رقم ٦٧٣٧) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٩٦/٤) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٥ رقم ١٧٦) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩٧/٢ - ٥٠٠ رقم ٧٢٢) والحاكم في المستدرک (٣٩/١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠ رقم ٢٣، ٢٤) من طريق يونس بن خباب به. ورواه الإمام أحمد (٢٨٧/٤ - ٢٨٨) والطيالسي (١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٥٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٠/٣ - ٣٨٢) وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩) وأبو داود (٢٥٠/٥ - ٢٥١ رقم ٤٧٢٠ - ٤٧٢١) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ - ٤٣٣ رقم ١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (٥٨ رقم ١١٠) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩١/٢ - ٤٩٧ رقم ٧١٨ - ٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ١٧٥) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والآجري في الشريعة (١٩٠ - ١٩٢ رقم ٩١٩ - ٩٢١) وابن منده في الإيمان (٩٦٢/٢ - ٩٦٤ رقم ١٠٦٤) وفي التوحيد (٢٧٨/٣ رقم ٨٥٠) والحاكم في المستدرک (٣٧/١ - ٣٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١١٣٥/٦ - ١١٣٧ رقم ٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٢/٣١٦ - ٣١٩ رقم ٣٩٠) وفي عذاب القبر (٣٧ - ٣٩ رقم ٢٠، ٢١، ٤٠ - ٤١ رقم ٢٥ - ٢٧، ٥٠ - ٥٢ رقم ٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو به. ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٥٠٠/٢ - ٥٠١ رقم ٧٢٣) وأبو عبد الله بن منده في كتاب الروح - كما في الروح لابن القيم (ص ٤٦) - والبيهقي في الشعب (٢/٣٢١ - ٣٢٢ رقم ٣٩١) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء ورواه ابن منده من طريق مجاهد عن البراء. كما في كتاب الروح لابن القيم (ص ٤٧).
- وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء، ولذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرجه عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرجه عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم اهـ.
- وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ فقد احتجا جميعاً بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله. اهـ.
- وقال أبو نعيم الأصبهاني: وأما حديث البراء؛ رواه المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، فحديث مشهور؛ رواه عن المنهال الجهم الغفير، ورواه عن البراء: عدي بن ثابت ومحمد بن =

قوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن حجه ﴿قال رب لم حشرتني

= عقبه وغيرهما، ورواه عن زاذان عطاء بن السائب. قال: وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٢٦٨). وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال البيهقي في عذاب القبر (ص ٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد. وقال المنذري في الترغيب (٤/٣٦٩): هذا الحديث حديث حسن، ورواه محتج بهم في الصحيح كما تقدم، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء. كذا قال أبو موسى الأصبهاني رحمته الله والمنهال روى له البخاري حديثاً واحداً، وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمد. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال، وزاذان ثقة مشهور لأنه بعضهم، وروى له مسلم حديثين في صحيحه. اهـ.

وقال القرطبي في التذكرة (ص ١١٩): وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٢٩٠): وهو حديث حسن ثابت. وقال الذهبي في العلو (١/٥١٩): إسناده صالح.

وأعله ابن حزم في المحلى (١/٢٢) وابن حبان في صحيحه (٧/٣٨٧) ورد قولهما ابن القيم في تهذيب السنن (١٣/٩٠ - ٩٣) وفي الروح (ص ٤٦) وقال في الروح: فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان، منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عتبة ومجاهد.

وقال ابن القيم في الروح (ص ٤٨): هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ، ولا تعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه، بل روه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر، وقول أبي محمد: لم يروه غير زاذان. فوهم منه؛ بل رواه عن البراء غير زاذان، ورواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عتبة وغيرهم، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره، وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين: ثقة. وقال حميد بن هلال - وقد سئل عنه - هو ثقة؛ لا تسأل عن مثل هؤلاء. وقال ابن عدي: أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة. اهـ.

وقال في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٤٦): وهو صحيح، صححه جماعة من الحفاظ. وقال الهيثمي في المجمع (٣/٥٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

أعمى﴾ عن الحجة؛ في تفسير قتادة ﴿وقد كنت بصيرًا﴾ عالمًا بحجتي في الدنيا؟! وإنما علمه ذلك عند نفسه؛ أنه كان يحاُج في الدنيا جاحدًا لما جاءه من الله. قال الله: ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾ في الدنيا ﴿فنسيته﴾ أي: فتركتها لم تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي: تُترك في النار ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ على نفسه بالشرك^(١) ﴿ولعذاب الآخرة أشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي: لا يقطع أبدًا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ ١٢٨ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ١٢٩ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ مَا نَآئِي الْيَلِ فَسَبِّحْ وَاطَّرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ١٣٠ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ١٣١ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْعَنَقَبَةُ لِلنَّفَقَىٰ﴾ ١٣٢

﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال الحسن: يعني: نبين لهم؛ مُقَرَّاةً بالنون^(٢) ﴿كم﴾ أهلكننا قبلهم من القرون﴾ يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا ﴿يمشون في مساكنهم﴾ تمشي هذه الأمة في مساكنهم؛ يعني: من مضى ﴿إن في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهَى﴾ العقول، وهم المؤمنون.

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ ألا يعذب كفار آخر هذه الأمة إلا بالنفخة ﴿لكان لزامًا﴾ أي: لألزموا عقوبة كفرهم فأهلِكوا جميعًا؛ لجحودهم ما جاء

(١) في «ر»: فاشرك.

(٢) وهي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما، كما في تفسير القرطبي (١١/٢٦٠).

به النبي ﷺ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فيها تقديم وتأخير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا.

﴿فأصبر على ما يقولون﴾ أنك ساحر، وأنتك شاعرٌ، وأنتك مجنون، وأنتك كاهن، وأنتك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ قال قتادة: يعني: صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ الظهر والعصر ﴿ومن آتاء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿فسبح﴾ يعني: المغرب والعشاء. [قال محمد: (١)] واحد الآتاء إنى (٢) ﴿وأطراف النهار﴾ قال الحسن: يعني: التطوع ﴿لعلك ترضى﴾ أي: لكي ترضى في الآخرة ثواب عملك.

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا﴾ أصنافًا منهم؛ يعني: الأغنياء. ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني: زينة ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: نختبرهم؛ أمره أن يزهده في الدنيا.

قال محمد: (زهرة) منصوبٌ بمعنى: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة (٣). ﴿ورزق ربك﴾ في الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿وأبقي﴾ يقول: لا نغادر له ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أهله: أمته ﴿لا نسألك رزقًا﴾ أن ترزق نفسك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة: الجنة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ وَلَوْ أَنَّا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قال الأخفش: واحدها: إني؛ مثل: يعنى. وقيل: واحدها: إئتو وإئي؛ يقال: مضى من الليل: إثنان، وإثيان.

ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (أنى).

(٣) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٣٦٢/٢)، البحر (٢٩١/٦)، البيان (١٥٥/٢).

أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ
 أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٨﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ
 وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٩﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هــا ﴿يأتينا بآية من ربه﴾ قال الله: ﴿أو لم تأتكم بيته﴾ قال
 محمد: يعني: آيات ﴿ما في الصحف الأولى﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ولو
 أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ يعني: من قبل القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا﴾ هــا
 ﴿أرسلت إلينا رسولاً﴾.

﴿قل كل متربص﴾ نحن وأنتم؛ كان المشركون يتربصون بالنبي أن يموت،
 وكان النبي يتربص بهم أن يجيئهم العذاب ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط
 السوي﴾ يعني: الطريق المعتدل ﴿ومن اهتدى﴾ أي: فستعلمون أن النبي
 والمؤمنين كانوا على [الصراط السوي، وأنهم ماتوا على الهدى] ^(١).

(١) سقطت من الأصل. والمثبت من (ر).

(ل ٢١٣) تفسير سورة الأنبياء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

قوله: ﴿اقترَب للناس حسابهم﴾ أي: أن ذلك قريب.

يحيى: عن خدّاش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «حين بُعث إليّ بُعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه، وقَدِم رجلاً وآخر رجلاً، ينتظر متى يؤمر ينفخ؛ ألا فاتقوا النفخة»^(١).

﴿وهم في غفلة﴾ يعني: المشركين عن الآخرة ﴿معرضون﴾ عن القرآن ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ يعني: القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يسمعونه بأذانهم، ولا تقبله قلوبهم ﴿لاهيّة قلوبهم﴾ أي: غافلة^(٢).
قال محمد: المعنى: استمعوه لآعين لاهية قلوبهم.

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/ ٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ٦/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

(٢) في «ر»: في غفلة.

﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أشركوا؛ يقول بعضهم لبعض، وأسروا ذلك فيما بينهم ﴿هل هذا﴾ يعنون: محمدًا ﴿إلا بشر مثلكم أفأتون السحر﴾ يعنون: القرآن؛ أي: تصدقون به ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحر.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا^(١).

﴿قل^(٢) ربي يعلم القول﴾ السرّ ﴿في السماء والأرض﴾.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام؛ يعنون: القرآن ﴿بل افتراه﴾ يعنون: محمدًا ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ كما جاء موسى وعيسى؛ فيما يزعم محمدٌ.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ أي: أن القوم إذا كذبوا رسلهم، وسألوه الآية فجاءتهم ولم يؤمنوا - أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية؛ أي: لا يؤمنون إن جاءتهم.

(١) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (٣٦٦/٢)، مجمع البيان (٣٨/٤)، البحر (٢٩٦/٦)، الكتاب (٢٣٦/١).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿قال﴾ بألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ بغير ألف على الأمر. النشر (٣٢٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٩١).

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ قال قتادة: يعني: من آمن من أهل التوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم لا يعلمون ﴿وما جعلناهم جسداً﴾ يعني: النبيين ﴿لا يأكلون الطعام﴾ أي: ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام؛ قال هذا لقول المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾^(١).

﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا لا يموتون.

قال محمد: قوله: ﴿جسداً﴾ هو واحد يُنبئ عن جماعة^(٢)؛ المعنى: وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجساد لا تأكل الطعام ولا تموت؛ فجعله كذلك. ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ كانت الرسل تحذر قومها عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدق الله رسله الوعد، فأنزل العذاب على قومهم.

قال: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني: النبي^(٣) والمؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين.

﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ فيه شرفكم - يعني: قريشاً - لمن آمن به ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين.

﴿وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ﴾ ﴿فَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَبُولْنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ

(١) سورة الفرقان: ٧.

(٢) لسان العرب (جسد).

(٣) في حاشية الأصل: (النبي).

حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُا لَا تَخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾

(«وكنم قصمنا» أهلكتنا «من قرية كانت ظالمة» مشركة^(١) يعني: أهلها «وأنشأنا» خلقنا .

«فلما أحسوا بأسنا» رأوا عذابنا؛ يعني: قبل أن يهلكوا «إذا هم منها» من القرية «يركضون» يفرون، قال الله: «لا تركضوا» لا تفروا. «وارجعوا إلى ما أترفتم فيه» أي: إلى دنياكم التي أترفتم فيها «ومساكنكم لعلكم تسألون» من دنياكم شيئاً؛ أي: لا تقدرون على ذلك، ولا يكون ذلك؛ يقال لهم هذا استهزاء بهم.

«قالوا يا ويلنا» وهذا حين جاءهم العذاب «إنا كنا ظالمين» قال الله: «فما زالت تلك دعواهم» أي: فما زال ذلك قولهم؛ يعني: «يا ويلنا إنا كنا ظالمين».

«حتى جعلناهم حصيداً خامدين» أي: قد هلكوا وسكنوا.

«وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين» أي: إنما خلقناهما (٢١٤ل) للبعث والحساب، والجنة والنار «لو أردنا أن نتخذ لهوا» قال الحسن: اللهو [المرأة]^(٢) بلسان اليمن «لأتخذناه من لدنا» أي: من عندنا «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» أي: وما كنا فاعلين وذلك أن المشركين قالوا: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ

(١) سقط من «ر».

(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر»، وينظر تفسير ابن كثير (٣٢٩/٥).

بنات الله ﴿بل نقذف بالحق﴾ بالقرآن ﴿على الباطل﴾ يعني: (الشرك)^(١) ﴿فيذمغه فإذا هو زاهق﴾ ذاهب.

قال محمد: قوله: ﴿فيذمغه﴾ أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الرأس والدماع بالضرب، وهو مقتل^(٢).

﴿ولكم الويل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ قال قتادة: لقولهم: إن الملائكة بنات الله.

﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾
 ﴿٢١﴾ يُسْخِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْرَءُونَ ﴿٢٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يُنْشِئُونَ
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبِّحْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ أَنْ يَحْبِسَ رَأْسَهُ عَلَيْهِمْ سَبْحًا تَلَاهَوْا مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ
 وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ
 بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾
 ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ يعني: الملائكة. ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ أي: يعيرون^(٣).

(١) في «ر»: المشركين.

(٢) يقال: ذمته - من باب قطع - شجحه حتى بلغت الشجة الدماغ، واسمها: الذابغة؛ وهي
 عاشرة الشجاج. لسان العرب، مختار الصحاح (دمغ). وفي «ر»: مقتول.

(٣) أي: يتعبون ويملئون. ينظر لسان العرب (عي)، وابن كثير (٣٢٩/٥).

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: يُخَيِّونَ الموتى؛ (هذا على الاستفهام؛ أي: أنهم قد اتَّخَذُوا آلِهَةً لَا يَحْيُونَ الموتى) (١).
قال محمد: يقال: أنْشَرَ اللَّهُ الموتى فنْشَرُوا (٢).

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ يعني: فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ غير اللَّهِ ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لهْلَكْنَا ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ يَنْزِعُهُ نَفْسُهُ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ عِبَادُهُ ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ وَالْعِبَادُ يَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ؛ أَي: قَدْ فَعَلُوا، وَهَذَا (٣) الْإِسْتِفْهَامُ، وَأَشْبَاهُهُ اسْتِفْهَامٌ عَلَى مَعْرِفَةٍ.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يَعْنِي: حُجَّتْكُمْ عَلَى مَا تَقُولُونَ: إِنْ اللَّهُ أَمْرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً؛ أَي: لَيْسَتْ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ حُجَّةٌ.

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي: الْقُرْآنُ ﴿وَذَكَرْ مِنْ قَبْلِي﴾ يَعْنِي: أَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَعْمَالُهُمْ؛ لَيْسَ فِيهَا اتِّخَاذُ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يَعْنِي: جَمَاعَتُهُمْ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنِ الْحَقِّ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: قَالَتِ الْيَهُودُ: إِنْ اللَّهُ صَاهِرٌ إِلَى الْجَنِّ، فَكَانَتْ مِنْ بَيْنِهِمُ الْمَلَائِكَةُ. قَالَ اللَّهُ: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يَنْزِعُهُ نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ هُمْ كِرَامٌ عَلَى اللَّهِ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فَيَقُولُونَ شَيْئًا لَمْ يَقْبَلُوهُ عَنِ اللَّهِ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ تَفْسِيرُ السُّدِّي: يَعْنِي: يَعْلَمُ مَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا كَانَ بَعْدَ خَلْقِهِمْ ﴿وَلَا

(١) سَقَطَ مِنْ «ر».

(٢) وَفِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ (نَشَرَ): أَنْشَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَتَنَشَرُوا هُمْ.

(٣) زَادَ بَعْدَهَا فِي الْأَصْلِ: عَلَى. وَهِيَ زِيَادَةٌ مَقْحَمَةٌ.

يشفعون إلا لمن ارتضى ﴿٣١﴾ أي: لمن رضي.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ تَجْزِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿٣٢﴾ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ
 كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا
 سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ
 ﴿٣٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا جَعَلْنَا
 لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ
 بِالنَّارِ وَالنَّارِ فَتَنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾

﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه...﴾ الآية، قال قتادة: هذه في إبليس خاصة لما دعا إلى عبادة نفسه، وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم إن قاله، ولا يقوله أحد منهم؛ وكان يقول: إن إبليس لم يكن منهم.

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا﴾ [قال السدي: أو لم يعلم] ^(١) قال الحسن: يعني: ملترقتين إحداهما على الأخرى ﴿ففتقناهما﴾ يقول: فوضع الأرض، ورفع السماء.

قال محمد: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ لأن السموات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد، وكذلك الأرض ^(٢)، ومعنى (رتقًا) أي: شيئًا واحدًا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وتجمع (السماء) على: سموات، وأسمية؛ وهي تذكر وتؤنث. أما الأرض فهي مؤنثة، وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال: أرضة، ولكنهم لم يقولوا. وتجمع على: أرضات وأرضون، وأرضون، وأروض، وأراض. لسان العرب، مختار الصحاح (أرض، وسمو).

ملتحمًا^(١)؛ وهو معنى قول الحسن .

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي: أن كل شيء حي فإنما خلق من الماء .

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بهم﴾ لثلا تحرك بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجًا سبلاً﴾ يعني: أعلامًا طرقًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا الطرق ﴿وجعلنا السماء سقفا﴾ على من تحتها ﴿محفوظًا﴾ يعني: من كل شيطان رجيم . ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ أي: لا يتفكرون فيما يرون؛ فيعرفون أن لهم معادًا فيؤمنون .

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ أي: يَجْرُونَ، تفسير الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلكة المغزل^(٢) تدور فيها، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تنجر .

﴿أفأينم من فهم الخالدون﴾ على (٢١٥) الاستفهام: أفهم الخالدون؟ أي: لا يخلدون .

﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ يعني: الشدة والرخاء ﴿فتنة﴾ أي: اختبارًا .

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَآوِرِيكُمْ

(١) الرُّتْقُ: ضد الفَتَقِ، والرُّتْقُ مصدر قولك: امرأة رَتْقاء؛ وهي التي لا يُستطاع جماعها لارتقاق ذلك الموضع منها. لسان العرب، مختار الصحاح (رتق) وفي «ر»: شيئًا واحدًا ملتحمًا.

(٢) القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاها، وتثبت الصنارة من فوقها، وعود المغزل من تحتها. ينظر المعجم الوسيط (فلك).

ءَاتَيْنَا فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهُمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول للنبي ﴿إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيبها ويشتمها، يقوله بعضهم لبعض. قال الله: ﴿وهم يذكرون﴾ يذكرون هم كفرون.

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ تفسير مجاهد: خلق عَجُولًا.

قال الله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي ﷺ من العذاب استهزاء منهم وتكذيبًا.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا قول المشركين للنبي؛ متى هذا الذي تعدنا به من أمر القيامة؟! قال الله: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار...﴾ الآية (وفيها تقديم؛ أي: أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار) ^(١) ﴿ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ لو يعلم الذين كفروا ﴿بل تأتيتهم بغتة﴾ يعني: القيامة ﴿فتبتهتهم﴾ أي: تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون﴾ يؤخّرون.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْزَفْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَكَفَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْزِفُونَ﴾ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا

(١) سقط من (ر).

هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَّاعًا هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ولقد استهزئ برسلي من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي: كذبوهم واستهزءوا بهم ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ يعني: العذاب الذي كانوا يكذبون به.

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي: هُم من الرحمن؛ في تفسير قتادة؛ كقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾^(١) أي: هم من أمر الله، وهم ملائكة حَفَظَةُ لَبْنِي آدَمَ ولأعمالهم، وقد مضى تفسيره^(٢).

﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ أي: قد اتخذوا آلهة لا تمنعهم من دوننا. قال الحسن: يعني: لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم، وكان يقول: إنما تُعَذَّبُ الشياطين التي دعتهُم إلى عبادة الأصنام، ولا تُعَذَّبُ الأصنام. ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ يقول: لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذبها ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال الكلبي: يقول: ولا مَنْ عبدها منا يُجَاوِزُونَ.

﴿بل مَنَّاعًا هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قريشًا ﴿وأبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمد ﷺ ﴿أفلا يرون أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول الله كلما بعث إلى أرض ظهر عليها؛ أي: ينقصها بالظهور عليها أرضًا فأرضًا ﴿أفهم الغالبون﴾ أي: ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله هو الغالب.

(١) الرعد: ١١.

(٢) عند تفسير سورة الرعد، الآية: ١١.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُنَوَّلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُنْكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ بالقرآن، أنذركم به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة - يعني: المشركين ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ يعني: النداء ﴿إذا ما ينذرون﴾ والصم ها هنا: الكفار^(١)؛ صموا عن الهدى ﴿ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك﴾ قال قتادة: يعني: عقوبة.

قال يحيى: يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة. ﴿ونضع الموازين القسط﴾ (يعني: العدل)^(٢) ﴿ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ لا تنقص من ثواب عملها ﴿وإن كان مثقال حبة﴾ أي: وزن حبة ﴿من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ قال الحسن: لا يعلم حساب مثاقيل الذر والخردل إلا الله، ولا يحاسب العباد إلا هو.

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ يعني: التوراة؛ وفُرّقانها أنه فرق فيها حلالها وحرامها.

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي: يذكر الرجل منهم ذنبه في الخلاء؛

(١) في «ر»: الكفر.

(٢) سقط من «ر».

فيستغفر الله منه .

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون من شر ذلك اليوم وهم المؤمنون .
﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يعني : القرآن .

﴿فأنتم له منكرون﴾ يعني : المشركين على الاستفهام ؛ يعني : قد أنكرتموه .
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذَا التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَزَقَكُمُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ يعني : النبوة ﴿وكنا به عالمين﴾ أنه سيبلغ عن الله الرسالة .

﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني : الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ (٢١٦ل) مقيمون على عبادتها .

﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعني : المستهزئين .
﴿الذي فطرهم﴾ خلقهم ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه ربكم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾ الآية .

قال قتادة : [نرى]^(١) أنه قال ذلك حيث لا يسمعون استدعاه قومه إلى عيد لهم ؛ فأبى وقال : ﴿إني سقيم﴾ اعتلّ لهم بذلك ، ثم قال لما ولّوا : ﴿تالله لأكيدن أصنامكم...﴾ الآية .

(١) في الأصل : يريد . والمثبت من «ر» .

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَّمْ يَعْلَمَهُ إِلَٰهُمُ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٨ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آتَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالُوا ءَأَتَتْ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كِبِيرُهُمْ هَٰذَا فَتشَلُّوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣ ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٦٤ ﴿ثُمَّ ثَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ٦٥ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ٦٦ ﴿أَفَبَىٰ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٦٨ ﴿

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ أي: قطع أيديها وأرجلها، وفقاً أعينها، ونجر وجوهها ﴿إلا كِبِيرًا لَهُمْ﴾ للآلهة؛ يعني: أعظمها في أنفسهم، ثم أوثق الفأس في [يد] ^(١) كبير تلك الأصنام؛ كاذبهم بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَٰهُ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبصرون فيؤمنون.

فلما رجعوا رأوا ما صُنِعَ بأصنامهم ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ ﴿قالوا سمعنا فتًى يذكُرهم﴾ أي: يعيهم ﴿يقال له إبراهيم﴾.

قال محمد: (إبراهيم) رفع بمعنى يقال له: يا إبراهيم، أو المعروف به إبراهيم ^(٢).

﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ آتة كسرهما، قال قتادة:

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى تنظر من: الإملاء (١٣٤/٢) البحر (٣٢٤/٦) الهمع (١٥٧/١)، الدر المصون (٩٦/٥).

كرهوا أن يأخذوه إلا بيينة، فجاءوا به فقالوا: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال قتادة: وهي هذه المكيدة ﴿ثم نكثوا على رؤسهم﴾ أي: خزايا قد حجهم؛ فقالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾.

﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾.

قال محمد: (أف) معناه: التغليظ في القول والتبرؤ، وقيل: إن أصلها التثن؛ فكانه قال: نتنا لكم^(١).

﴿قالوا حرقوه...﴾ الآية، قال الحسن: فجمعوا الحطب زماناً، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار.

قال يحيى: بلغني أنهم رموا به في المنجنيق؛ فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق.

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَبَيَّنَّنَاهُمْ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ۝٧٣﴾

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ تفسير السدي: سلامة من حر النار، ومن يزدها. قال قتادة: إن كعباً قال: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وما

(١) قال صاحب مختار الصحاح: يقال: أفأ له، وأفأه؛ أي: قذراً له. وفيه ست لغات: أف، أف، أف، أف، أفأ، أف. مختار الصحاح (أفف).

أَخْرَقَتْ مِنْهُ إِلَّا وَثَاقَهُ ^(١).

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حرقَهُمْ إياه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ في النار خسروا أنفسهم وخسروا الجنة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ قال السدي: يعني: جميع العالمين ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال الحسن: أي: عطيةً .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قال قتادة: أي يُهْتَدَى بِهِمْ في أمر الله .
﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثَ ^(٧٥) إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ ^(٧٦) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٧٧) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ^(٧٨) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا ^(٧٩) وَإِيتَيْنَاهُ ^(٨٠) كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ^(٨١)﴾

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعني: النبوة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثَ﴾ يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ﴾ مشركين .

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ وهذا حين أمر بالدعاء على قومه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ قال قتادة: نُجِّيَ مع نوح: امرأته وثلاثة بنين له ونساءهُم؛ وجميعُهُم ثمانية ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق .

قال محمد: (نوحًا) منصوبٌ على معنى: اذكر نوحًا، وكذلك داود وسليمان ^(٢).

(١) هو القَيْدُ، وفيه لغة أخرى الوثاق بكسر الواو. لسان العرب، المعجم الوسيط (وثق).

(٢) ينظر: الإملاء (٢/١٣٥)، الدر المصون (٥/١٠٠)، الكتاب (٢/١٧٠).

﴿ونصرناه﴾ يعني: نوحًا ﴿من القوم﴾ يعني: على القوم؛ في تفسير السدي.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَفِيَكُمْ مِنَ بَاسِكُمْ ؕ فَبَلَ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّونَ لَهُمُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)

﴿وداود وسليمان إذ يحكما في الحرث إذ نفشت فيه﴾ أي: وقعت فيه ﴿غنم القوم﴾ النفش بالليل (١).

قال الكلبي: إن أصحاب الحرث استعدوا على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقاضى بالغنم لأهل الحرث فمروا بسليمان فقال: كيف قضى فيكم (نبي الله) (٢)؟ فأخبروه، قال لهم: [نعم] (٣) ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما، فدخل أصحاب الغنم على داود؛ فأخبروه فأرسل إلى سليمان، فقدم عليه لما حدثني كيف رأيت فيما قضيت؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث، فيتفعون بلبنها وسمنها وأصوافها عامهم هذا، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم فإذا

(١) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يكون النفش إلا بالليل، والهمل يكون ليلاً ونهاراً. وقيل: نفشت الإبل والغنم؛ أي: رعت ليلاً بلا راع. مختار الصحاح (نفش).

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(بلغ) ^(١) مثله حين أفسد قبضوا غنهم؛ فقال له داود: نعم الرأي رأيت ^(٢).
(ل) (٢١٧) ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كانت جميع الجبال
وجميع الطير تسبح مع داود بالغداة والعشي، ويفقه تسبيحها ﴿وكنا فاعلين﴾
أي: قد فعلنا ذلك.

قال محمد: يجوز نصب (الطير) من جهتين: إحداها على معنى:
وسخرنا الطير، والأخرى على معنى: يسبحن مع الطير ^(٣).

﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ يعني: دروع الحرب ﴿لتحصنكم من
بأسكم﴾ يعني: القتال.

قال قتادة: كانت قبل داود صفائح، وأول من صنع هذه الحلقة
وسمّرها ^(٤): داود.

قال محمد: نقرأ ﴿ليحصنكم﴾ بالياء والتاء؛ فمن قرأ بالياء فالمعنى:
ليحصنكم اللبوس، ومن قرأ بالتاء ^(٥) فكأنه على الصنعة؛ لأنها أنثى.

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ لا تؤذيه
﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني: أرض الشام.

﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك﴾ (سوى
ذلك) ^(٦) الغوص، وكانوا يغوصون في البحر فيخرجون له اللؤلؤ، وقال في

(١) في «ر»: كان.

(٢) في «ر»: نعم ما قضيت.

(٣) ينظر الدر المصون (١٠٢/٥).

(٤) شدّها بالمسمار وثبته بدقة فيها. لسان العرب، المعجم الوسيط (سمر).

(٥) قرأ بالياء: ابن كثير ونافع وحزمة والكسائي وأبو عمرو، وقرأ بالتاء عاصم وابن عامر. وفيها
قراءات أخرى غير هاتين. ينظر: السبعة (٤٣٠)، التيسير (١٥٥)، البحر (٣٣٢/٦).

(٦) سقط من «ر».

آية أخرى: ﴿كل بناء وغواص﴾^(١).

﴿وكننا لهم حافظين﴾ حفظهم الله عليه ألا يذهبوا ويتركوه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُمْ أَهْلَهُمْ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ المرض ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال الحسن: إن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبياً ما ابتلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في السر مثلها؛ فاكشف ما بي من ضرر وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله له، فوقع ساجداً، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾^(٢) أهله ومثلهم معهم ﴿هذا مفسر في سورة «ص»﴾^(٣) ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: أن الذي كان ممن ابتلي به أيوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن الله أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاء للعابدين^(٤) بعده.

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ تفسير قتادة: أن ذا الكفل لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلي لله كل

(١) ص: ٣٧.

(٢) في الأصل و «ر»: ﴿ووهبنا له﴾ وهذا نص آية ص: ٤٣.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا﴾ ص آية: ٤٣.

(٤) في «ر»: للعالمين.

يوم مائة صلاة؛ فأحسن الله عليه الشاء .

وتفسير مجاهد: أنه تكفل لني أن يقوم في قومه بعده بالعدل .

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زُوجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وذا النون﴾ يعني: يونس، قال قتادة وغيره: النون: الحوت .

قال محمد: قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ منصوبٌ على معنى: واذكر^(١)، وكذلك قوله: ﴿وذا النون﴾ .

﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ [لقومه]^(٢): ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قال قتادة: يعني: أن لن نعاقبه بما صنع .

قال محمد: أصل الكلمة: الضيق؛ كقوله: ﴿فقدّر عليه رزقه﴾^(٣) أي: ضيق، ومن هذا قولهم: فلانٌ مقدّر عليه ومقتّر^(٤) .

(١) الدر المصون (١٠٤/٥) .

(٢) في الأصل: لقوله . والمثبت من «ر» .

(٣) الفجر: ١٦ .

(٤) لسان العرب ، مختار الصحاح (قدر) .

﴿فنادى في الظلمات﴾ يعني: في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...﴾ الآية.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جده سعد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ ربُّه قط في شيءٍ إلا استجاب له»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٤٩٥/٥) رقم ٣٥٠٥ والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦) رقم ١٠٤٩٢ وأبو يعلى (١١٠/٢ - ١١١ رقم ٧٧٢) والبزار (٢٥/٤ رقم ١١٨٦) والطبراني في الدعاء (٥٦ رقم ١٢٤) والحاكم في المستدرک (١/٥٠٥، ٢/٣٨٢ - ٣٨٣) والبيهقي في الشعب (٢/٥٢١ - ٥٢٢ رقم ٦١١) والضياء في المختارة (٣/٢٣٣ - ٢٣٥ رقم ١٠٤٠ - ١٠٤٢) وفي العدة للكرب والشدة (٥١ رقم ٢٠) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

وقال الترمذي: وقد روى غير واحد هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد، ولم يذكر فيه عن أبيه، وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق فقالوا: عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد، وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث عن أبيه، وربما لم يذكره.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن محمد بن سعد إلا من رواية إبراهيم بن محمد ابن سعد عن أبيه عن جده. ولا يُروى عن النبي ﷺ إلا من رواية سعد عنه، وقد رُوِيَ عن سعد من وجهين.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩١) والحاكم (١/٥٠٥) من طريق عبيد بن محمد عن محمد بن مهاجر عن إبراهيم بن سعد به.

ورواه أبو يعلى (٢/٦٥ رقم ٧٠٧) والبزار (٣/٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ١١٦٣) وابن عدي في الكامل (٧/٢٠٦) والحاكم (٢/٥٨٤) من طريق أبي خالد الأحمر، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب بن سعد عن أبيه بنحوه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا عن سعد عنه، وقد روي عن سعد من وجه آخر، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن كثير بن زيد إلا أبو خالد الأحمر، ولا روى المطلب عن أبيه - كذا - إلا هذا الحديث.

ورواه الحاكم (١/٥٠٥ - ٥٠٦) من طريق أحمد بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن =

وتفسير قصة يونس (مذكور)^(١) في سورة الصافات^(٢).

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ قال قتادة: كانت عاقراً؛ فجعلها الله وَلُوداً ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ منها ﴿يَحْيَى﴾.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ أي: طمعاً ﴿وَرَهْبًا﴾ أي: خوفاً.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ جَنِبَ درعها عن الفواحش ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ تناول جبريل بأصبعه جيبها فنفخ فيه؛ فسار إلى بطنها فحملت ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: أنها ولدته من غير رجل.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٦﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُفْلًا لِّئَلَّا رَاجِعُونَ ﴿٩٧﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُمْ كَافُونَ ﴿٩٨﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى قَرَبَيْهِ أَهْلَ كُنْهَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٩﴾

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال قتادة: أي: دينكم ديناً واحداً.

= محمد بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه الطبري في تفسيره (٨٢/١٧) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه أبو يعلى في معجمه (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٦ رقم ٣٤٣) وابن عدي (٢٥٧/٦) والضياء في العدة للكرب والشدة (٤٧ رقم ١٨) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن سعد عن سعد.

وقال ابن عدي: عمرو بن الحصين مظلم الحديث.

(١) في الأصل: مذكورة.

(٢) الصافات: ١٣٩ - ١٤٨.

قال محمد: من قرأ ﴿أَمْتَكُمْ﴾ بالرفع، ونصب (أمة واحدة)^(١) - فأمتكم رفع خبر (هذه)، ونصب (أمة) لمجيء النكرة بعد تمام الكلام؛ هذا قول أبي عبيدة^(٢).

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: أهل الكتاب؛ أي: فرقوا دينهم الذي أمروا به، يعني: الإسلام [فدخلوا في]^(٣) غيره.

﴿فلا كفران لسيئه﴾ لعمله ﴿وإننا له كاتبون﴾ نحسب حسناته (ل٢١٨) حتى يُجْزَى بها الجنة.

قال محمد: تقول العرب: غفرانك لا كفرانك؛ المعنى: لا نجحد^(٤).

﴿وحرامٌ على قرية أهلكناها﴾ أي: واجب عليها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال الحسن: [المعنى]^(٥) أنهم لا يتوبون، ولا يرجعون عن كفرهم.

وتقرأ أيضاً ﴿وجِزْمٌ على قرية﴾^(٦).

قال محمد: جِزْمٌ وحرامٌ عند أهل اللغة بمعنى واحد؛ أي: واجب^(٧). قال الشاعر:

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو في رواية عنه؛ فقد قرأ (أمة واحدة) على الرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٢)، البحر (٣٣٧/٦)، المحتسب (٦٥/٢)، تفسير القرطبي (١١/٣٣٨ - ٣٣٩).

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: الدر المصون (١٠٧/٥).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) الكُفْران والكُفْر ضد الشكر: جحود النعمة. لسان العرب، مختار الصحاح (كفر).

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) بكسر الحاء وإسكان الراء، من غير ألف، وهذه قراءة أبي بكر وحزمة والكسائي، ينظر السبعة (٤٣١)، النشر (٣٢٤/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٩٤)، تفسير القرطبي (١١/٣٤٠).

(٧) ينظر في ذلك كلام ابن منظور؛ فقد استوفى هذه القراءة، ومعناها اللغوي لسان العرب (حرم)، وينظر حاشية تفسير ابن كثير (٣٦٦/٥).

فَإِنْ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو^(١)

﴿حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١٦) وَأَقْتَرَبَ
الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيُوتَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ
هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ
أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُّوكُمْ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ
﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢٠)

قوله: ﴿حتى إذا فتحت﴾ أي: أزلت ﴿ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قال قتادة: يعني: من كل أكمة^(٢١) يخرجون.

قال محمد: التسلان في اللغة: مقارئة الخطو مع الإسراع^(٢٢).

﴿واقترب الوعد الحق﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿فإذا هي شاخصة أبصار
الذين كفروا﴾ إلى إجابة الداعي.

﴿يا ويلنا﴾ يقولون: يا ويلنا ﴿قد كنا في غفلة من هذا﴾ يعنون: تكذيبهم
بالساعة ﴿بل كنا ظالمين﴾ لأنفسنا ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ قال
الحسن: يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان؛ لأنهم بعبادتهم
الأوثان عابدون للشياطين ﴿حصب جهنم﴾ أي: يُرمى بهم فيها.

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي شاعر جاهلي، وهو من بحر الطويل.
وورد في الأصل: (فإن حرامك... إلخ) وهو غير مستقيم الوزن. ينظر لسان العرب
(حرم).

(٢) الأكمة: التل، والمراد المكان المرتفع، والجمع: أكم وإكام وآكام. المعجم الوسيط (أكم)
وفي «ر»: أكنة. والمراد: من كل مكان خفي يستترهم.

(٣) وهو أيضًا الثَّلْ والثَّلْ بمعنى العَذْو. لسان العرب، القاموس المحيط (نسل).

قال محمد: ﴿حَصْبُ جهنم﴾ ما ألقي فيها؛ تقول: حَصَبْتُ فلانًا حَصْبًا بتسكين الصاد؛ أي: رميته، وما رميت فهو حَصْبٌ^(١).

﴿أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ (يعني: الشياطين)^(٢) ﴿وكل فيها خالدون﴾ العابدون والمعبودون ﴿لهم فيها زفير﴾ قد مضى تفسير الزفير والشهيق^(٣) ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يُخَلَّد فيها جُعِلوا في توايت من نار فيها مسامير من نار، ثم جعلت التوايت في توايت آخر، ثم جعلت تلك التوايت في توايت آخر؛ فلا يرون أن أحدا يعذب في النار غيرهم. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَقَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١١٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الجنة ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ (يعني: النار)^(٤) ﴿مُبْعَدُونَ﴾ قال الكلبي: قام رسول الله ﷺ مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصْبُ جهنم﴾ فوجد منها

(١) لسان العرب (حصب).

(٢) سقط من «ر».

(٣) في تفسير سورة هود عند الآية: ١٠٦.

(٤) سقط من «ر».

أهل مكة وَجَدًا شَدِيدًا^(١)، فقال ابن الزُّنْعَرَى: يا محمد؛ أرايت الآية التي قرأت آتَفًا أفينا وفي آلهتنا خاصة، أم في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خَصَمْتُكَ والكعبة؛ قد عَلِمْتُ أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفةً من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول الله، وضحكت قريش ولجؤا؛ فأنزل الله جواب قولهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني: عَزِيزًا وعيسى والملائكة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ يعني: صوتها إلى قوله: ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال الحسن: يعني: النفخة الآخرة ﴿وَتَتْلَقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبشارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تَوَعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ^(٢)﴾ قال قتادة: يعني: كطي الصحيفة فيها الكتاب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ قال الكلبي: إذا أراد أن يبعث الموتى، عاد الناس كلهم نُطْقًا ثم عَلَقًا ثم مَضْغًا ثم عِظَامًا ثم لَحْمًا، ثم ينفخ فيهم الروح، فكَذَلِكَ بِدَأَهُمْ.

وقال ابن مسعود: يرسل الله ماءً من تحت العرش منيا كمني الرجال فتنبت به جُسَمَانُهُمْ ولحمانهم؛ كما تنبت الأرض من الثرى.

(١) أي: حَزَنًا شَدِيدًا. لسان العرب (وجد).

(٢) هكذا في الأصل وقرأ: (للكتاب) وهي قراءة: ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقر (للكتب) على الجمع. ينظر: السبعة (٤٣١)، النشر (٢/٣٢٥)، التيسير (١٥٥)، إتحاف الفضلاء (٣٩٥).

﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ (يعني: البدء) ^(١) ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: نحن فاعلون.
قال محمد: (وعدًا) منصوبٌ على المصدر؛ بمعنى: وعدناهم [هذا] ^(٢)
وعدًا ^(٣).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ^(١٠٥) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ^(١٠٦)
قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(١٠٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ مَا أَنْتُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنِ أَذْرَيْتُ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ^(١٠٨) إِنَّكُمْ يَعْلَمُ
الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ^(١٠٩) وَإِنِ أَذْرَيْتُ لَعَلَّكُمْ فَتَنَةً لِّكُمْ وَمَتَّعُ إِلَيَّ
جِيئَ ^(١١٠) قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ^(١١١)

﴿ولقد كتبنا في الزُّبُور﴾ قال مجاهد: يعني: الكتب: التوراة والإنجيل
والقرآن ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿أن الأرض﴾ يعني: أرض
الجنة ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ إن في هذا ﴿يعني: القرآن﴾ ﴿لبلأغا﴾ إلى الجنة
﴿لقوم عابدين﴾ الذين يصلون [الصلوات الخمس] ^(١) ﴿وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين﴾ (ل٢١٩) تفسير سعيد بن جبير قال: من آمن بالله ورسوله
تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله ورسوله عُوفي مما عذبت
به الأمم؛ وله في الآخرة عذاب النار.

(١) سقط من «ر».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) وقد سبق الكلام على مثله آنفاً؛ فلا حاجة لتكراره.

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال يحيى: [إلا أن]^(١) تفسير الناس أن الله آخر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، ثم يكون هلاكهم بعد هذا.

﴿فقل أذنتكم على سواء﴾ قال الحسن: يقول: من كذب بي فهو عندي سواء؛ أي: جهادكم كلكم عندي سواء.

قال محمد: ومعنى (أذنتكم): أعلمتكم^(٢).

﴿وإن أذري أقرب أم بعيداً ما توعدون﴾ يعني: الساعة ﴿وإن أذري لعله فتنة لكم﴾ تفسير الحسن يقول: وإن أذري لعل ما أنتم عليه من السعة والرخاء وهو منقطع زائل ﴿فتنة﴾ بليّة لكم ﴿ومتاع﴾ تستمتعون به؛ يعني: المشركين ﴿إلى حين﴾ قال قتادة: يعني: إلى الموت.

قال محمد: ومعنى (وإن أذري): وما أذري^(٣).

﴿قل^(٤) رب احكم بالحق﴾ قال الحسن: أمره الله أن يدعوا أن ينصّر أوليائه على أعدائه، فنصره الله عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ أي: تكذبون.



(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وأذن وتأذن بمعنى مثل أيقن وثيقن. مختار الصحاح (أذن).

(٣) حيث تأتي (إن) المكسورة المخففة بمعنى (ما) في النفي. انظر مغني اللبيب (١/٣٠).

(٤) قرأ حفص ﴿قال﴾ بالالف على الخبر، وقرأ الباقر ﴿قل﴾ على الأمر من غير ألف. النشر

(٢/٣٢٥) وإتحاف الفضلاء (٣٩٥).

تفسير سورة الحج

وهي مدنية كلها إلا أربع آيات مكيات: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...﴾ إلى قوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿يوم ترونها تذهل﴾ أي: تُغرض ﴿كل مرضعة عما أرضعت...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: «بينما رسول الله في مسير له قد فُرق بين أصحابه السَّير؛ إذ رفع صوته فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم...﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فلما سمعوا صوت نبيهم اغصصوا^(٢) به. فقال: هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاكم يوم يقول الله لأدم: يا آدم، قُمْ ابْعَثْ بَعَثَ النَّارَ. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنساناً إلى النار وواحد إلى الجنة. فلما سمعوا ما قال نبيهم أبلسوا^(٣) حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة، فلما رأى ذلك في

(١) الآيات من (٥٢ إلى ٥٥).

(٢) أي: اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة. النهاية في غريب الحديث (٢٤٦/٣).

(٣) أي: أسكتوا وتحيروا. لسان العرب (بلس).

وجوههم، قال: اعملوا وأبشروا فالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالرُقْمَةِ^(١) في ذراع الدابة، أو كالشَّامَةِ^(٢) في جنب البعير، وإنكم مع خليقتين^(٣) ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك - يعني: ومن كفر - من بني إبليس، وتُكْمَلُ العِدَّةُ من المنافقين^(٤).

(١) الرقمة: هنة ناتئة تشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل. المعجم الوسيط (رقم).

(٢) هي العلامة في البدن يخالف لونها لون سائر. المعجم الوسيط (شيم).

(٣) أي: مخلوقين.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١/٤٠٢ رقم ٧١٠) من طريق عوف عن الحسن بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٤٣٢/٤، ٤٣٥) والحميدي (٢/٣٦٧ رقم ٨٣١) والطيالسي (١١٢ رقم ٨٣٥) والترمذي (٥/٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣١٦٨، ٣١٦٩) والنسائي في الكبرى (٦/٤١٠ رقم ١١٣٤٠) والطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (١/٤٠٠ - ٤٠٢ رقم ٧٠٧، ٧٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/١٤٤ رقم ٣٠٦) والحاكم في المستدرک (١/٢٨ - ٢٩، ٢/٢٣٣ - ٢٣٤، ٣٨٥، ٤/٥٦٧) من طريق الحسن بن عمران بن حصين بنحوه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوِيَ من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بطوله، والذي عندي أنهما قد تخرجا من ذلك خشية الإرسال، وقد سمع الحسن بن عمران بن حصين، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس.

ورواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (١/٤٠٢ رقم ٧٠٩) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٢١٠) - والطبراني في الكبير (١٨/٢١٨ رقم ٥٤٦) من طريق العلاء بن زياد العدوي عن عمران بن حصين.

ورواه الطبري (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٢/٣٩٩ رقم ٧٠٦) من طريق قتادة عن صاحب له عن عمران.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٧) وأبو يعلى (٥/٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٣١٢٢) والطبري في تفسيره (١٧/١١٢) وابن خزيمة في الأحوال من صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/٢٥٤) - وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٢١٠) - وابن حبان (١٦/٣٥٢ رقم ٧٣٥٤) والحاكم (١/٢٩، ٤/٥٦٦) - من طريق معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ.

قال محمد: ومعنى قوله: ﴿وترى الناس سُكَّارِي﴾ أي: ترى أنت أيها

= وقال الحاكم: هو صحيح على شرطهما جميعًا، ولم يخرجاه ولا واحد منهما.
وقال في الموضع الثاني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
ثم أسند الحاكم عن محمد بن يحيى الذهلي الإمام قوله: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن
أنس، ولكن المحفوظ عندنا حديث قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢١٩/٨) رقم (٧٨٢٣): رواه أبو يعلى الموصلي بسند
صحيح، وأحمد بن حنبل والحاكم وصححه.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) والبخاري - كشف الأستار
(١٨٣/٤ - ١٨٤ رقم ٣٤٩٧) - والطبري في تهذيب الآثار (١/٣٩٦ رقم ١٦) والحاكم في
المستدرک (٤/٥٦٨) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.
وقال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

وقال الطبري: وهذا خبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين
سقيمًا غير صحيح لعلتين:

إحدهما: أنه خبر لا يعرف له مخرج عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ يصح إلا من
هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب الثبوت فيه.

والثانية: أنه من نقل عكرمة عن ابن عباس، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب الثبوت فيه من
أجله. اهـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٩٤): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن
خباب، وهو ثقة.

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٧٨) - من طريق
الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ؓ.

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (١/٤٠٤ - ٤٠٥ رقم ٧١٤) عن عمر بن الخطاب ؓ.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٧٧) لابن مردويه عن أبي موسى ؓ نحوه.

وروى البخاري (٦/٤٤٠ رقم ٣٣٤٨) ومسلم (١/٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٢٢٢) عن أبي سعيد
الخدري ؓ نحوه مختصرًا.

وروى البخاري (١١/٥٣٣ رقم ٦٦٤٢) ومسلم (١/٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٢٢١) عن ابن
مسعود ؓ نحوه مختصرًا.

وروى البخاري (١١/٣٨٥ رقم ٦٥٢٩) عن أبي هريرة ؓ نحوه مختصرًا أيضًا.

وروى الإمام أحمد (٦/٤٤١) عن أبي الدرداء ؓ نحوه مختصرًا أيضًا.

الإنسان الناس سُكَارَى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسَكَارَى﴾ من الشراب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٢﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ الشَّعِيرِ ﴿٣﴾﴾

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ يعني: المشرك يلحد في الله، فيجعل معه إلهاً بغير علم أتاه من الله ﴿ويتبع كل شيطانٍ مرید﴾ أي: جريء على المعصية، والشياطين هي التي أمرتهم.

﴿كُتِبَ عليه﴾ أي: قُضِيَ على الشيطان ﴿أنه من تَوَلَّاهُ﴾ اتبعه ﴿فانه يضلّه﴾.

قال محمد: (أنه من تَوَلَّاهُ) (أنه) في موضع رفع، (فانه يضلّه) عطف عليه، وموضعه رفع أيضاً، وحقيقته أنها مكررة على جهة التوكيد؛ المعنى: كتب عليه أنه من تولاها أضله^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّرُ فِي الْأَشْوَاعِ مَا نَشَاءُ لِأَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْوَفُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَى الْأَرْوَاحَ هَامِدةً فَإِذَا أُنزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَرْعٍ يَبْرِجُ ﴿٥﴾﴾

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾ أي: في شك ﴿من البعث﴾ فإننا خلقناكم

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٣٨٩)، مجمع البيان (٤/٧٠)، البحر (٦/٣٥١).

من تراب ﴿ وهذا خلق آدم ﴿ ثم من نطفة ﴿ يعني : نسل آدم ﴿ ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴿ تفسير مجاهد : هما جميعاً : السقط (١) مخلوق وغير مخلوق .

قال محمد : ومعنى ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ أي : من المخلوق من تتم مضغته بخلق الأعضاء ، ومنهم من لا يتم الله خلقه .

﴿ لنبين لكم ﴾ أي : خلقكم ﴿ ونقر في الأرحام ﴾ أرحام النساء ﴿ ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ (ل ٢٢٠) يعني : منتهى الولادة .

قال محمد : تقرأ بالرفع على القطع (٢) [مما قبله] (٣) .

يحيى : عن صاحب له ، عن الأعمش عن [أبي وائل] (٤) عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن خلق أحدكم يُجمَع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً ، ثم يكون علقة أربعين يوماً ، ثم يكون مضغة أربعين يوماً ، ثم يؤمر الملك - أو قال : يأتي الملك - فيؤمر أن يكتب أربعاً : رزقه وعمله وأثره وشقياً أو سعيداً » (٥) .

(١) السقط - بكسر السين وضمها وفتحها ثلاث لغات - هو ما يسقط من الولد قبل تمامه . لسان العرب (سقط) .

(٢) هكذا في الأصل ، و«ر» ولعل المراد بالرفع على القطع ، أي بالرفع على الخبرية ، والتقدير : (ما نشاء إلى أجل هو مسمى) . ولم أجد هذه القراءة وكل ما قيل في قراء هذا الحرف هو قراءة (مسمى) بالإمالة وقفاً ، وهي قراءة حمزة والكسائي . ينظر : الغيث للصفافسي (٣٩٥) وإن كان المراد بالرفع على القطع قراءة نقر ، فهي قراءة العامة ، والرفع لأنه مستأنف ، وليس علة لما قبله فينصب نسقاً على ما تقدم . ينظر الدر المصون (١٢٥/٥) . والله أعلم .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٥) لم أجد من هذا الطريق ، ورواه البخاري (٤٨٦/١١) رقم ٦٥٩٤ ومسلم (٢٠٣٦/٤) رقم ٢٦٤٣ من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه .

﴿ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾ يعني: الاحتلام.
 ﴿ومنكم من يتوفى﴾ وفيها إضمارٌ ؛ أي: يتوفى من قبل أن يبلغ أرذل
 العمر ﴿ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر﴾ يعني: الهرم ﴿لكي لا يعلم من بعد
 علم شيئاً﴾ أي: يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعلم شيئاً.
 قال محمدٌ: (طفلاً) في معنى: أطفال^(١)؛ كأن المعنى: يخرج كل واحدٍ
 منكم طفلاً.

وقوله: (لكي لا) هو بمعنى حتى لا^(٢).
 ﴿وترى الأرض هامدة﴾ قال قتادة: يعني: (غبراء)^(٣) مَهْشَمَةٌ.
 قال محمدٌ: هامدة حقيقتها جافة، ومن ذلك: همودُ النار إذا طُفِثَ
 فذهبت، وهو معنى قول قتادة.
 ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ وفيها تقديم، وربت للنبات؛ أي:
 انتفخت، واهتزت بالنبات؛ إذا أنبت ﴿وأنبت من كل زوج﴾ أي: من كل
 لونٍ ﴿بهيج﴾ أي: حسن.
 قال محمدٌ: (بهيج) في معنى باهج؛ تقول العرب: امرأة ذات خلق
 باهج^(٤).

﴿ذَٰلِكَ يَٰأَنَّا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا

(١) الطفل: المولود، والجمع أطفال، وقد يكون واحداً وجمعاً؛ مثل الجُنُب. مختار الصحاح (طفل).
 (٢) ينظر: الدر المصون (١٢٦/٥ - ١٢٧).
 (٣) في «ر» غير.
 (٤) أي: فاعيل بمعنى فاعل، ويقال: بهيج، وبهج. لسان العرب (بهج).

رَبِّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَضِلَّكَ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى... الآية، يقول: إن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى.﴾

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ آتاه من الله ﴿ولا كتاب منير﴾ مضيء لعبادة الأوثان ﴿ثاني عطفه﴾ أي: عنقه. تفسير مجاهد: يقول: هو معرض عن الله.

قال محمد: (ثاني) منصوب على الحال؛ المعنى: لا ويا عنقه^(١)؛ وهذا مما يوصف به المتكبر.

﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل، قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث؛ فقتل يوم بدر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

(١) ينظر إعراب القرآن (٣٩١/٢)، مجمع البيان (٧٢/٤)، البحر (٣٥٤/٦).

وَالْآخِرَةُ فَلَئِمَدَّدٌ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
 ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ﴾ تفسير مجاهد وقادة: على شك.
 ﴿فإن أصابه خيرٌ اطمان به﴾ أي: رضي ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ أي: ترك ما كان عليه، هو المنافق؛ إن رأى في الإسلام رخاءً وطمأنينة طابث نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم وأنا معكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بليّة لم يصبر على مصيبتها، وانقلب على وجهه كافراً، وترك ما كان عليه.

﴿يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه﴾ يعني: الوثن ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ يعني: الوثن أيضاً؛ يعني: أنه ينفق عليه وهو كلٌّ عليه ﴿لبئس المولى﴾ يعني: الوثن ﴿ولبئس العشير﴾.

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ يعني: المنافق؛ أي: أنه أيس من أن ينصر الله محمداً، لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة: الجنة ﴿فليمدد بسبب﴾ أي: بحبل ﴿إلى السماء﴾ يقول: فليعلّق حبلاً من السماء؛ يعني: سقف البيت ثم ليقطع ليختنق حتى يموت ﴿فليتنظر هل يذهبن كيده﴾ أي: فعله ﴿ما يغيظ﴾ أي: أن ذلك لا يذهب غيظه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن

فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْجُودِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدَّوَابِّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
«وكذلك أنزلناه» يعني: القرآن «آيات بينات» أي: بين فيه الحلال
والحرام.

«إن الذين آمنوا والذين هادوا» تهودوا «والصابئين» وهم قومٌ يعبدون
الملائكة، ويقرءون الزبور «والنصارى والمجوس» وهم عبدة الشمس والقمر
والتيران «والذين أشركوا» وهم عبدة الأوثان «إن الله يفصل بينهم يوم
القيامة فيما اختلفوا فيه» في الدنيا فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل [جميع
هؤلاء النار على ما أعد لكل قوم.

«ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض» يعني: جميع أهل
السماء يسجدون وبعض أهل الأرض. كان الحسن لا يعود السجود إلا من
المسلمين^(١) «والشمس والقمر والنجوم» كلها «والجبال» [كلها]^(٢)
«والشجر» [كله]^(٣) «والدواب» كلها ثم رجع إلى صفة الإنسان، فاستثنى
فيه، فقال «وكثير من الناس» يعني: المؤمنين «وكثير حق عليه العذاب» من لم
يؤمن.

«هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَصُوا فِي رَيْبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْق رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ مَّقْمِعٌ مِّن حَذِيرٍ
﴿٢١﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّكَ

(١) طمس في الأصل في آخر اللوحة (٢٢٠) وأول اللوحة (٢٢١) والمثبت من «ر».

الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهبون فيها سبعين خريفًا.
﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلَوْلُؤَا﴾ .

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿لَوْلُؤَا﴾ بالنصب^(١) فالمعنى: ويحلون لؤلؤًا^(٢).
﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿وَهْدُوا﴾ أي: في الدنيا
﴿إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ وهو الله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي:
ويصدون عن المسجد الحرام ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ (قَبْلَةً)^(٣) ﴿سِوَاءِ
الْعَاكِفِ فِيهِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَالْبَادِي﴾^(٤) يعني: من يتتابه من سائر الناس
للحج والعمرة؛ يقول: هم سواءٌ في حرمة ومساكنة وحقوقه.
قال محمدٌ: (سِوَاءِ) القراءة فيه بالرفع؛ على الابتداء^(٥).

﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك، والإلحاد: الميل، المعنى: ومن
يرد أن يعبد غير الله فيه.

قال محمدٌ: ﴿بِالْحَادِ﴾ الباء فيه زائدة^(٦).

(١) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بالجر. ينظر: السبعة (٤٣٥)، البحر (٣٦١/٦)،
التيسير (١٥٦)، النشر (٣٢٦/٢).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٣٦١/٦).

(٣) سقط من «ر».

(٤) أثبت الباء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وورش، وأثبتها في الحاليين ابن كثير ويعقوب.
النشر (٣٢٧/٢).

(٥) وهي قراءة السبعة إلا حفصًا؛ فقد قرأها «سِوَاءِ» بالنصب. ينظر: السبعة (٤٣٥)، التيسير
(١٥٧)، النشر (٣٢٦/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٩٨)، تفسير القرطبي (٣٤/١٢).

(٦) ينظر: إعراب القرآن (٣٩٦/٢)، البحر (٣٦٢/٦)، مجمع البيان (٧٩/٤).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ﴿٦٧﴾﴾
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: أعلمناه .

﴿وطهر بيتي﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي ﴿وطهر بيتي
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ قال قتادة: يعني بالقائمين: أهل مكة ﴿والركع السجود﴾
هم الذين يصلون إليه .

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ أي: مُشاةً ﴿وعلى كل ضامرٍ﴾
أي: وركباً على ضُمُرٍ^(١) من طول السفر ﴿يأتين من كل فجٍ عميقٍ﴾ بعيد .
قال محمد: (رجالاً) جمع راجل، مثل صاحب وصحاب^(٢)، وقال
(يأتين) على معنى جماعة الإبل^(٣) .

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس
قال: «قام إبراهيم النبي ﷺ عند البيت؛ فأذن في الناس بالحج، فسمع أهل
المشرق وأهل المغرب»^(٤) .

وفي تفسير قتادة: أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتاً فحجوه .
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ

(١) واحدها: ضامر وضامرة؛ وهي الناقة قليلة اللحم الرقيقة. ويجمع أيضاً على: ضوامر. لسان
العرب (ضمر).

(٢) والراجل: ضد الفارس، ويُجمع على رَجُلٍ، ورجالة ورجال ورجال. لسان العرب (رجل).

(٣) ينظر البحر (٣٦٤/٦)، البيان (١٧٤/٢)، إعراب القرآن (٣٩٩/٢).

(٤) روى الطبري (١٧/١٤٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه.

بِهَيْمَةٍ أَلْقَنِمُ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُتَوَقَّوْا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَتَمُّ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يعني: الأجر في الآخرة، والتجارة في الموسم
﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم
النحر .

[﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: إذا نحر وذبح .
قال محمد: وقيل: إن الأيام المعلومات: يوم النحر] ^(١)، ويومان بعده .
﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال الحسن: ولا بأس أن يطعم منها قبل أن
يأكل، وإن شاء لم يأكل منها وتصدق بها .
قال محمد: البائس الذي ناله بؤس، وهو [شديد] ^(٢) الفقر يقال: قد بؤس
الرجل وبئس إذا صار ذا بؤس؛ أي: شدة ^(٣) .

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ تفسير الحسن: التفث: تقشف الإحرام، وبرميههم

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

(٢) يقال: بؤس الرجل فهو بئيس، وبئس فهو بئس؛ اشتدت حاجته . لسان العرب (بئس) .

الجمرة يوم النحر يحل لهم [كل شيء] .

قال محمد: معنى تقشف الإحرام: كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل^(١) [ل ٢٢٢] قص الشارب وتقليم الأظفار [وتنف الإبطين، وحلق العانة]^(٢) وغير ذلك مما نهى عنه المحرم من الطيب وغيره .

﴿وليوفوا نذورهم﴾ تفسير مجاهد: ما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ تفسير قتادة: أعتقه الله من الجبابة؛ كم من جبار صار إليه يريد أن يهدمه؛ فحال الله بينه وبينه ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ تفسير مجاهد: الحرمات: مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها ﴿وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ في سورة المائدة وقد مضى تفسيره^(٣) .

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يقول: اجتنبوا الأوثان؛ فإنها رجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك ﴿حلفاء لله﴾ أي: مخلصين .

﴿ومن يشرك بالله...﴾ الآية، قال الحسن: شبه الله أعمال المشركين بالذي يخر من السماء؛ فتخطفه الطير، فلا يصل إلى الأرض ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد، فيذهب فلا يوجد له أصل، ولا يرى له أثر. يقول: ليست لأعمال المشركين عند الله قرارٌ لهم به عنده خير في الآخرة. ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ تفسير مجاهد: يعني: استعظام البدن، واستسمانه .

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٣) المائدة: ١ .

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تفسير ابن عباس قال: الأجل المسمى: إلى أن تُقْلَدَ وتُشْعَرُ ﴿ثُمَّ مَحْلُهَا﴾ إذا قلدت وأشعرت ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِذِكْرِهِمْ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَى اللَّهِ وَجِدًّا قَلِيلًا أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَتِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبَرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنَّ يَبَالُ النُّفُوسَ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولكل أمة﴾ (ولكل قوم) ^(١) ﴿جعلنا منسكا﴾ قال قتادة: يعني: حججا وذبيحا.

﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين.

قال محمد: واشتقاق الكلمة من: الخبت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض ^(٢).

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني: المفروضة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة.

(١) سقط من (ر).

(٢) وقيل: هو المشع من بطون الأرض، ومنه أخذ الإخبات، وهو الخشوع. القاموس المحيط (خبت).

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ أي: أجزء في نحرها، والصدقة منها يتقربون بها إلى الله.

قال محمد: من قرأ (البدن) بالنصب^(١) فعلى فعل مضمر؛ المعنى: وجعلنا البدن^(٢).

﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ تفسير مجاهد يعني: معقلة قيامًا. وهي في قراءة ابن مسعود (صوافن)^(٣).

قال محمد: من قرأ (صواف) مشددة^(٤)؛ فالمعنى: صُفَّت قوائمها، والنصب فيها على الحال، ولا تنون؛ لأنها لا تنصرف^(٥) ومن قرأ (صوافن) فالصافن: الذي يقوم على ثلاث؛ يقال: صفن الفرس؛ إذا رفع إحدى رجليه؛ فقام على طرف الحافر، والبعير إذا أرادوا نحره تُعقل إحدى يديه فهو الصافن والجميع: صوافن^(٦). وقُرئت (صوافي) بالياء والفتح بغير تنوين^(٧)، وتفسيره: خوالص^(٨)؛ أي: خالصة لله لا يشرك بالله - جلّ وعزّ - في

(١) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٥)، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢)، جامع القرطبي (٦٠/١٢).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٣٦٩/٦).

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن عمر وابن عباس وقتادة وغيرهم. ينظر: المحتسب (٨١/٢)، البحر (٣٦٩/٦)، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢).

(٤) وهي قراءة الجمهور.

(٥) ينظر: لسان العرب (صفف)، البحر (٣٦٩/٦)، إعراب القرآن (٤٠٣/٢)، مجمع البيان (٨٦/٤)، والدر المصون (١٤٩/٥ - ١٥٠).

(٦) وقيل: هو القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. مختار الصحاح (صفن).

(٧) أي وفتح الياء، وهي قراءة الحسن، وأبي موسى الأشعري ومجاهد، وغيرهم. ينظر: البحر (٣٦٩/٦)، المحتسب (٨١/٢)، الإملاء (٧٩/٢).

(٨) يقال: أصفاه الود: أخلصه له، وضافه وتضافيا: تخالصا. لسان العرب (صفو).

التسمية على نحرها أحد. وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولم يخصصها هذا التلخيص.

قال: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: أسقطت للموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال الحسن: القانع: السائل، والمعتر: الذي يتعرض ويقبل إن أعطي شيئاً.

قال محمد: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ من السؤال، وقَنِعَ يَقْنَعُ من الرضا^(١) والمعتر: الذي يعترك؛ أي: يُلْمُ لَتُعْطِيَهُ ولا يسأل^(٢).

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ يقول: لا يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

﴿لكن يناله التقوى منكم﴾ بضَعْدُ إليه؛ يعني: ممن آمن. ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ السُّنَّةُ إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم الله والله أكبر^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢٨) ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صُلُوبُهُمْ وَيَبِغُوا﴾

(١) قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: سأل وتذلل فهو قانع وقَنِعَ، وقَنِعَ يَقْنَعُ قُنَاعَةً: رضي بالقصة فهو قَنِيع وُقْنُوع. لسان العرب (قنع).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (عرر).

(٣) رواها البخاري (٢٠/١٠) رقم ٥٥٥٨ ومسلم (٣/١٥٥٦ - ١٥٥٧) رقم ١٩٦٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تفسير الحسن: يدافع عنهم، فيعصمهم من الشيطان [في دينهم] ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ خَوَانٍ كَفُورٍ﴾.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ قال قتادة: هم (أصحاب نبي الله، أذن لهم بالقتال؛ بعد ما أخرجهم المشركون، وشددوا عليهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال محمد: أذن) ^(٢) (ل٢٢٣) للذين يقاتلون أن يقاتلوا. وقيل: إنها أول آية نزلت في (الجهاد) ^(٣).

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ أي: أنهم أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا الله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ قال قتادة: الصوامع (للصّابئين) ^(٤)، والبيع للنصارى؛ يعني: الكنائس، والصلوات لليهود ومساجد؛ يعني: مساجد المسلمين ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ يعني: المساجد ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه. معنى (وصلوات) أي: بيوت صلوات ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أصحاب النبي ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: القتال.

(٤) في «ر»: للنصارى.

وأمرُوا بالمعروف ﴿٤٢﴾ بعبادة الله ﴿ونهوا عن المنكر﴾ عن عبادة الأوثان .
 ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٤﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَاقْصِرْ مُشِيدِ ﴿٤٦﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٧﴾﴾
 ﴿فأملت للكافرين﴾ أي: لم أهلكهم عند تكذيبهم رسلهم حتى جاء الوقت الذي أردت أن أهلكهم فيه ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب حين جاء الوقت ﴿فكيف كان نكيري﴾^(١) أي: عقابي، أي: كان شديداً - يحذر بذلك المشركين .

﴿فكأين من قرية﴾ أي: فكم من قرية ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ يعني: أهلكنا أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ سُفِّفَهَا، فصار أعلاها أسفلها ﴿وبئر معطلة﴾ [أي: قد باد أهلها]^(٢) ﴿واقصر مشيد﴾ قال الكلبي: أي: حصين .
 قال محمد: يقال: هو ما بُني بالشيد، وهو الجص^(٣) . وقيل: معنى (مشيد) مَطُول^(٤) ﴿أفلم يسيرا في الأرض﴾ يعني: المشركين ﴿فتكون لهم

(١) أثبت الباء في الوصل ورش، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وقرأ الباقون بغير ياء . النشر (٢) / ٣٢٧ .

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

(٣) وقيل: الشيد: هو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط . مختار الصحاح (شيد) .

(٤) قيل: المَشِيد - بالتخفيف - : المعمول بالشيد، والمَشِيد - بالثقل - : المَطُول . وقال

الكسائي: المَشِيد للواحد، ومنه قوله تعالى: ﴿واقصر مشيد﴾، والمَشِيد للجمع، ومنه قوله

تعالى: ﴿في بروج مشيدة﴾ لسان العرب ، مختار الصحاح (شيد) .

قلوبٌ يعقلون بها أو أذانٌ يسمعون بها ﴿أي: لو صاروا ففكروا فحذروا ما نزل بإخوانهم من الكفار، فيتوبون لو كانت لهم قلوبٌ يعقلون بها﴾ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿أي: إنما أوتوا من قبل قلوبهم.

﴿وَسْتَغْلِبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنَّ مِّن قَرِينَةٍ أُمْلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذَتْهَا إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلْزِمُوا ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ ويستعجلونك بالعذاب ﴿وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاء بأنه لا يكون ولن يخلف الله وعده﴾ تفسير الحسن: يعني: هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يومٌ من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي: كذبوا ﴿معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يُعجزوننا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم؛ هذا تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: (معاجزين): مثبطين للناس عن الإيمان.

قال محمد: لم يبيّن يحيى قراءة مجاهد، والقراءة على تفسيره: (معجّزين) مثقلة^(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّا تَمَعَّيْنَا أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٣٩) النشر (٢/ ٣٢٧)، التيسير (١٥٨)، إتحاف الفضلاء (٤٠٠).

فَيَنْسُخِ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٦﴾ لِيَجْعَلَ
 مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
 فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٩﴾
 أَلَمْ تَرَ يَوْمَ مِيزَةَ اللَّهِ يُخَيِّمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ ﴿٦٠﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى﴾ أي: تلا؛ في
 تفسير قتادة. قال قتادة: بينا رسول الله يصلي عند المقام إذ نعى، فألقى
 الشيطان على لسانه كلمة؛ فتكلم بها فتعلقها المشركون عليه؛ فإنه قرأ
 ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فألقى الشيطان على لسانه
 ونعى: (فإن شفاعتها هي المُرْتَجى وإنها لمن الغرائق العلى) فحفظها
 المشركون، وأخبرهم الشيطان أن نبي الله قد قرأها فزلت ألسنتهم بها، وأنزل
 الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى...﴾ الآية^(١).
 قال محمد: قيل: إن (تمنى) بمعنى تلا^(٢) وأنشد [بعضهم]^(٣):

(١) قصة الغرائق قصة مشهورة وفيها نكارة ظاهرة، وقد أنكرها كثير من أهل العلم، وقد توسع
 في تفسير هذه الآية الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٧٢٧/٥ - ٧٣٥) توسعاً حميداً
 فراجعه فإنه نفيس، وللشيخ الألباني رحمه الله «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرائق».
 (٢) وبمعنى (قرأ). لسان العرب (منى).
 (٣) سقط من الأصل.

تَمْنَى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلَةٍ تَمْنَى دَاوُدُ الزُّبُورَ عَلَى رِشْلِ^(١)

قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم﴾ يعني: المشركين ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَقَى شِقَاقَ﴾ أي: فراق ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِي أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: يصدقوا به قوله: ﴿فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخشع ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ﴾ [أي: شك؛ يعني: من القرآن]^(٢) ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدانئين]^(٣) (ل ٢٢٤) بدين أبي جهل و[أصحابه]^(٤) ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ أي: عذاب يوم بدر.

قال محمد: [أصل العقيم]^(٥) في الولادة؛ يقال: امرأة عقيم، ورجل عقيم إذا كان لا يولد له، وريح عقيم التي لا تأتي [بسحاب فتمطر]^(٦).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ فِي الْغَنَى مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا﴾ في سبيل الله بعد الهجرة [أو

(١) البيت من بحر الطويل، وهو غير منسوب لأحد في اللسان (من)، وينظر: شواهد القرطبي (٦/٢)، وشواهد الزمخشري (٩٩/٤) منسوباً إلى حسان بن ثابت، ولم أجده في ديوانه.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في الأصل: أصل العقيم. والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل، وفي لسان العرب (عقم): ريح عقيم التي لا تأتي بمطر.

ماتوا ﴿١﴾ على قروحهم بعد الهجرة ﴿٢﴾ ليرزقهم الله رزقا حسنا ﴿٣﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْذُوبُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخَيَّرُ الْأَرْضُ أَخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ لَمْ يَأْتِ السَّحَابُ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُبَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ يعني: مشركي العرب أنهم عوقبوا؛ فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه وبغيتهم عليهم ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ النصر في الدنيا: الظهور ﴿٢﴾ على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الظفر.

﴿ذلك بأن الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾ أي: بالنبات إذا أنبتت، وليس يعني من ليلتها ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب على خلقه أن يحمده ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ يعني: لئلا تقع ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من التطف ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي: حجاً وذبيحاً ﴿هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر﴾ أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الذي أنت عليه يقوله للنبي ﷺ .

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٩) ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ (٧٠) ﴿إِنَّ دُونَ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُرُونَ﴾ ﴿يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ نَارُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَشَنَّاسُ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

﴿اللَّهُ يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي: هين حين كتبه ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ يعني: حجة لعبادتهم ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أن الأوثان خلقت مع الله شيئاً، ولا رزقت شيئاً ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم﴾

آياتنا﴾ أي: يكادون يقتلون أنبياءهم ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ بشر من قتل أنبيائهم ﴿النار﴾ هي شر مما صنعوا ^(١) (بأنبيائهم؛ يعني: من قتلهم إياهم).

قال محمد: من قرأ (النار) بالرفع ^(٢)، فعلى معنى: هي النار.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۚ﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَيَرْسِلُ مِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٨﴾

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ أي: وُصِفَ ﴿فاستمعوا له﴾ يعني: المشركين ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه﴾.

إن الذباب يقع على تلك الأوثان فينقر أعينها ووجوها فيسلبها ما أخذ من وجوها وأعينها.

وسمعت بعضهم يقول: إنهم كانوا يطلونها بخلوق ^(٣). قال الله: ﴿ضعف الطالب﴾ يعني: الوثن ﴿والمطلوب﴾ يعني: الذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم؛ بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها

(١) من هنا بدأ سقط من نسخة «ر» حتى الآية: ٢ من سورة المؤمنون.

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر البحر (٣٨٩/٦) القرطبي (٩٦/١٢).

(٣) الخلق: ضَرَبَ من الطَّب. لسان العرب (خلق).

الذباب الضعيف لم تستطع أن تمتنع منه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا إذا كانوا في الآخرة .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعِصُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهاده﴾ هي مثل قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾^(١) وهما منسوختان؛ نسختهما الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٢).

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق .
﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ يقول الله: سماكم المسلمين من قبل؛ أي: من قبل هذا القرآن في الكتب كلها وفي الذكر، ﴿وفي هذا﴾ القرآن .

قال محمد: (ملة أبيكم) المعنى: اتبعوا ملة أبيكم^(٣) .
﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ بأنه قد بلغ ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾

(١) آل عمران: ١٠٢ .

(٢) التغابن: ١٦ . وذهب قوم إلى أن الآية محكمة غير منسوخة . انظر تفسير القرطبي (٩٩/١٢) ونواسخ القرآن (٤٦٦ - ٤٦٧) .

(٣) أي: بالنصب على المفعولية . ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٤١١ - ٤١٢)، مجمع البيان (٤/ ٩٦)، البحر (٣٩١/٦)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣١) .

بأن الرسل قد بلغت قومها.

﴿واعتصموا بالله﴾ أي: بدين الله ﴿هو مولاكم﴾ وليكم ﴿فنعم المولى﴾
الولي ﴿ونعم النصير﴾ وعدم النصر على أعدائهم من المشركين.

تفسير سورة المؤمنين
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرْلَهُ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَارِبُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآفْرَدُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

(ل ٢٢٥) قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ يعني: بالله...^(١) عن سعيد، عن قتادة: قال: ذُكِرَ لنا أن كعباً قال: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»^(٢).

قوله: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

(١) طمس في الأصل.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٣/٢) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١/١٨) - عن معمر عن قتادة عن كعب.

وقد روي مرفوعاً، وقد أشرت إلى بعض طرقه في تخريج أحاديث تفسير أبي المظفر السمعاني (٢١٤/٢، ٣/٤٦٥).

يحيى: عن خدّاش، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين قال^(١):
«كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت هذه الآية، فغضوا أبصارهم، فكان
أحدهم ينظر إلى موضع سجوده»^(٢).

- (١) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة «ر»، والذي بدأ من الآية (٧٢) من سورة الحج.
(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق الحجاج الصواف عن ابن سيرين بنحوه.
وعزه السيوطي في الدر المنثور (٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
ورواه أبو داود في المراسيل (٩٦ رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٢/١٨) والبيهقي في السنن
(٢٨٣/٢) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام في
الصلاة نظر هكذا وهكذا، فلما نزلت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
نظر هكذا - يبصره نحو الأرض».
قال البيهقي: وروى ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس عن ابن عون عن ابن سيرين موصولا.
والصحيح هو المرسل.
ثم رواه البيهقي موصولا من هذا الطريق.
ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) وسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٢٨٣/٢) -
من طريق إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد «نبت أن رسول الله ... بنحوه».
وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ مرسل، وقد روي عن إسماعيل بن إبراهيم - هو ابن علية
- موصولا، ورواه حماد بن زيد عن أيوب مرسلا، وهذا هو المحفوظ.
ورواه من هذا الطريق موصولا: الحاكم (٣٩٣/٢) والبيهقي (٢٨٣/٢) والواحدي في
أسباب النزول (ص ٢٣١).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد؛ فقد قيل
عنه مرسلاً، ولم يخرجاه.
ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق خالد عن ابن سيرين مرسلا نحوه.
ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/٢٤٠ رقم ٤٠٨٢) من طريق جبرة الإسكندراني،
عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا جرير، ولا عن جرير إلا ابن وهب،
تفرد به جبرة.
قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٤/٣٣٨): خرجه الطبراني من رواية ابن سيرين عن
أبي هريرة، والمرسل أصح.
ومال ابن الترمذاني في الجوهر النقي (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) لتصحيح الموصول.

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو: الباطل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ يعني: يؤدون الزكاة المفروضة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ من الزنا.

﴿إلا على أزواجهم﴾ يتزوج أربعا - إن شاء - ولا يحل له ما فوق ذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يطا بملك يمينه كم شاء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ أي: لا لؤم عليهم فيما أحل لهم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يعني: الزناة؛ يتعدون الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقول: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ [يعني: الصلوات الخمس] ^(١) ﴿يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿وأولئك هم الوارثون﴾ ليس من أحد إلا وقد أعد الله له منزلا وأهلا في الجنة؛ فإن أطاع الله صار إلى ما أعد الله له، وإن عصى الله صرف الله ذلك المنزل عنه؛ فأعطاه المؤمن مع ما أعد الله للمؤمنين، فوزت المؤمنين تلك المنازل والأزواج ﴿الذين يرثون الفردوس﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة قال: الفردوس جبل في الجنة تتفجر منه أنهار الجنة .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَافِثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٨) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْوِطْنَ لِحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٩) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ (٢٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ (٢١) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

كَمَا عَنِ الْخَالِقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ خلق الله آدم من طين (ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين؛ يعني: النطفة)^(١) ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ يعني: الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾ يكون في بطن أمه نطفة أربعين ليلة، ثم يكون علقة أربعين ليلة، ثم يكون مضغة أربعين ليلة ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ يعني: جماعة العظام.

قال محمد: (علقه) واحدة: العلق؛ وهو الدم^(٢)، و(المضغة): اللحم الصغيرة سميت بذلك؛ لأنها بقدر ما يمضغ^(٣).

﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ يعني: ذكرًا أو أنثى؛ في تفسير الحسن ﴿فتبارك الله﴾ هو من باب البركة ﴿أحسن الخالقين﴾ إن العباد قد يخلقون، ويُشبهون بخلق الله، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح.

يحيى: عن الربيع بن ضبيح^(٤)، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «المصورون يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» من حديث يحيى بن محمد.

يحيى: عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «قال الله: من أظلم ممن يخلق كخُلقي^(٥)، فليخلقوا

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: الدم الغليظ. لسان العرب (علق).

(٣) لسان العرب (مضغ).

(٤) كذا في الأصل مقيدًا بضم الصاد، وتكرر كذلك في مواضع، وجاء في «ر» في مواضع مقيدًا بفتح الصاد وقد ضبطه عبد الغني بالفتح. انظر حاشية الإكمال (١٦٦/٥).

(٥) في «ر»: فمن ادعى بخلق كخُلقي.

ذُبَابًا أَوْ ذَرَّةً أَوْ بَعُوضَةً»^(١).

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ تفسير مجاهد: يعني: سبع سموات بعضها فوق بعض.

قال محمد: (طرائق) جمع: طريقة؛ يقال: طارت الشيء؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض، ومنه قولهم: ريش طراق^(٢).

﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني: أن نزل عليهم ما يخيبهم، وما يصلحهم من هذا المطر؛ في تفسير الحسن.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾^(١٨) لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٌ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(١٩) وَشَجَرَةٌ تُخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْثَلِينَ^(٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُدْرِikُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَئِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ^(٢٢) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ تفسير الكلبي: يعني: الأنهار والعيون والآبار. ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ أي: أنبتنا ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ...﴾ الآية ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ و[هي الزيتون]^(٣)، والطور [الجبل]^(٣) و﴿شجرة﴾ معطوف (ل ٢٢٦) على قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ﴾^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٩٨/١٠) رقم ٥٩٥٣ ومسلم (١٦٧١/٣) رقم ٢١١١ من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٢٥٩/٢، ٤٥١، ٥٢٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، والله أعلم.

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (طرق).

(٣) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: مجمع البيان (١٠٢/٤)، البحر (٤٠١/٦)، البيان (١٨٢/٢).

قوله: ﴿تَبَتُّ بِالْدهنِ﴾ قال مجاهد: يعني: تثر به.

قال محمد: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد^(١).

﴿وصبغ للأكلين﴾ أي: يأتدمون به ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾
(لحجة)^(٢) ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ يعني: اللبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾
يعني: ما يتنفع به من ظهورها وغير ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾
(٢٣) ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ
فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٥) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ (٢٦) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ
الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فِإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
أُنْثَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِطْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ﴾ (٢٧)

﴿ما هذا إلا بشرٌ مثلکم يريد أن يفضل علیکم﴾ أي: بالرسالة.

﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولین﴾ أن رجلاً ادعى النبوة ﴿إن هو إلا رجل
به جنة﴾ أي: جُنُونٌ ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: حتى يموت؛ في تفسير
بعضهم.

﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قد مضى

(١) لسان العرب (نبت).

(٢) في مرة: يعني لآية.

تفسيره في سورة هود^(١).

﴿وأهلك﴾ أي: واحمل فيها أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ يعني: الغضب ﴿ولا تخاطبني﴾ أي: لا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ أَلَمَدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَّسَ مِنَ الْقَوْلِ الْفَلَّاحِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾ قال هذا لنوح حين نزل من السفينة. قال محمد: تقرأ ﴿مُنزَلاً﴾ و﴿مُنزَلاً﴾^(٢)؛ فالمنزل: اسم لما نزلت فيه^(٣)، والمنزل: المصدر؛ بمعنى الإنزال^(٤).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ في أمر قوم نوح وغرقهم ﴿لآيات﴾ لمن بعدهم. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته، ومعنى الابتلاء: الاختبار.

﴿فَرَأَيْنَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُمْ فِي

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ هود: ٤٠.

(٢) قرأ السبعة إلا أبا بكر عن عاصم (منزلاً) بضم الميم، وقرأ أبو بكر عن عاصم (منزلاً) بفتحها. ينظر: السبعة (٤٤٥)، التيسير (١٥٩)، البحر (٤٠٢/٦).

(٣) أي: اسم مكان من الفعل (نزل) ينظر: الدر المصون (١٨٠/٥ - ١٨١)، لسان العرب (نزل).

(٤) أي: مصدر ميمي. ينظر: الدر المصون (١٨٠/٥ - ١٨١).

لَخَلِيقَةُ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ ﴿٣٤﴾ أَعْبَدُكُمْ أَكْثَرَ إِذَا مِثْمُ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْنَا
 أَكْثَرَ خُفْرًا ﴿٣٥﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
 وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
 بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ يقول: وسعنا عليهم في الرزق ﴿هيات هيات لما توعدون﴾ تباعد البعث في أنفس القوم.

قال محمد: من كلام العرب: هيات لما قلت؛ يعنون: بُعْدًا لقولك، ويقال: أيها؛ بمعنى: هيات^(١).

﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يعني: عن قليل والميم صلة، في تفسير السدي.

قال محمد: هي صلة زائدة؛ بمعنى التوكيد.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ يعني: العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فجعلناهم عُثَاءً﴾ يعني: مثل النبات إذا تهشم بعد إذ كان أخضر.

قال محمد: العُثَاءُ في اللغة: هو ما علا السَّيْلُ من ورق الشجر^(٢).

المعنى: جعلناهم هَلَكَى كالغُثَاءِ؛ لأن الغُثَاءَ يتفرَّق ويذهب.

(١) وهي مبنية على الفتح دائماً، والبعض يكسرونها على كل حال. ينظر لسان العرب (هيه)، مختار الصحاح (أيه، هيه).

(٢) ويقال فيه أيضاً: العُثَاءُ - بالتشديد. ينظر لسان العرب (غثو).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نَتْلُو كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿ما تسبق من أمةٍ أجلها﴾ يعني: الوقت الذي يهلكها فيه ﴿وما يستأخرون﴾ عن الوقت ساعة، ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ قال قتادة: يعني: تباعاً؛ بعضهم على إثر بعض.
قال محمد: وهو من التواتر، وقيل: الأصل في تترى: وتَرَى؛ فقلبت الواو تاء؛ كما قلبوها في التخمعة والتكلان^(١).

﴿كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ يعني: العذاب الذي أهلكتناهم^(٢) به أمة بعد أمة ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم.
﴿وكانوا قوماً عالين﴾ أي: مستكبرين في الأرض على الناس ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثيلنا وقومهما لنا عابدون﴾ وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، ووضعوا عليهم الجزية، وليس يعني: أنهم يعبدوننا.

(١) و(تترى) فيها لغتان: تُتُون، ولا تُتُون، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنيث، وهو أجود. ومن نونها جعل ألفها ملحقة. ينظر: لسان العرب (وتر)، (وخم - وكل)، البحر (٤٠٧/٦)، إعراب القرآن (٤١٩/٢).

(٢) في الأصل: جاءهم. والمثبت من «ر».

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ عبرةٌ خُلِقَ لا والد له ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ قال قتادة: الرُّبْوَةُ ها هنا: بيت المقدس. قال يحيى: ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا. قال محمد: كل ما ارتفع وزاد فقد رَبًّا^(١).

﴿ذات قرار﴾ قال ابن المسيب: ذات جَنَان^(٢) ﴿ومعين﴾ قال عكرمة: المعين: الظَّاهر.

قال محمد: هو على هذا التفسير مفعولٌ من العين، والأصل فيه: مَعِينُونَ^(٣).

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) وَلَئِنْ هَدَيْتُمْ أَنتُمْكُمْ أُمَّةً وَجِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي غَتَرَتِهِمْ حَتَّى جَاءَ مِنْ أَيْحُسُوبُنْ أَنْمَا يُؤَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَنَيْنِ (٥٤) سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٥) ﴿

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرسل كلوا من الطيبات﴾ [يعني: الحلال من الرزق]^(٤) ﴿واعملوا صالحًا...﴾ الآية.

قال محمد: [بهذا النبي، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد

(١) وتُسَمَّى أيضًا: الرُّبَاوَةُ، والرُّبَاوَةُ، أما الربوة فهي بضم الراء وفتحها وكسرهما. مختار الصحاح (ربو).

(٢) بكسر الجيم، وواحدتها: جَنَّة، أما الجَنَان بفتح الجيم فهو الفؤاد. ينظر لسان العرب (جنن). وفي «ر»: ذات منازل.

(٣) يقال: حفر حتى عان، من باب باع؛ أي: بلغ العيون، والماء معين، ومعينون، وأعينت الماء: مثله. لسان العرب، مختار الصحاح (عين).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

خطاب الجميع، وتضمن (٢٢٧) هذا^(١) الخطاب إلى الرسل جميعاً؛ كذا أمروا.

﴿وإن هذه امتكم أمة واحدة﴾ أي: ملّة واحدة؛ يعني: الإسلام.
قال محمد: من قرأ: ﴿وأنّ هذه﴾ بفتح الألف فالمعنى: لأن هذه أمتكم^(٢).

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: دينهم الذي أمر الله به ﴿زُبُرًا﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿زُبُرًا﴾ بفتح الباء ورفعها؛ فمن قرأها بالفتح^(٣) فالمعنى: قطعاً، ومن قرأها بالرفع^(٤) فالمعنى: كُتِبَا، يقول: فرقوا كتاب الله فحرفوه وبدّلوه، وكتبوه على ما حرفوا ﴿كل حزب﴾ أي: قوم منهم ﴿بما لديهم﴾ بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿فرحون﴾ أي: راضون ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ أي: غفلتهم ﴿حتى حين﴾ يعني: إلى آجالهم. وهي منسوخة بالقتال.

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال﴾ أي: نعطيهم من مال ﴿وبنينا﴾ نسارع لهم في الخيرات ﴿أي: ليس لذلك نمدهم بالمال والبنين﴾ بل لا يشعرون ﴿أنا لا نعطيهم ذلك مسارعاً لهم في الخيرات، وأنهم يصيرون إلى النار﴾ يعني: المشركين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ يَنْصَرِفُونَ ﴿٥٧﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قرأ بفتح الهمزة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بكسرهما، وخفف ابن عامر وحده النون، فقرأ (أن) وشدها الباقون. ينظر السبعة (٤٤٦)، التيسير (١٥٩).

(٣) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو، في رواية عنه. ينظر: الحجة (٢٥٧)، جامع القرطبي (١٢/١٣٠)، الإملاء (٨٢/٢).

(٤) وهي قراءة الباقيين. ينظر المراجع السابقة.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَا آتَاهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يَسْعُرُونَ فِي النَّارِ وَلَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يُجْتَرُوا إِلَیَّ إِلَّا تَنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكْفُرُوا بَلَدًا كَثِيرًا سَمِيعًا تَهْتَفُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَا آتَاهُمْ﴾ ممدودة^(١) ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ تفسير الحسن قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر، ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم. قال محمد: ومعنى أنهم إلى ربهم راجعون: أنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى ربهم.

﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ قال الحسن: يعني: فيما افترض الله عليهم ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: وهم بالخيرات سابقون. ﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ إلا طاقتها ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ يريد: الكتاب الأول.

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ قال قتادة: يعني: في غفلة مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ يقول: لهم

(١) وهي قراءة الجمهور. وقرئت (آتوا) بالقصر، وروى ذلك عن: عائشة، وابن عباس، وقاتدة وغيرهم.

ينظر البحر (٤١٠/٦)، المحتسب (٩٥/٢)، القرطبي (١٣٢/١٢).

أعمال لم يعملوها سيعملونها.

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: أن الله أعلم أنهم سيعملون أعمالاً تبعد من الله غير الأعمال التي ذكروا بها.

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ يعني: أبا جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر ﴿إذا هم يجأرون﴾ قال الحسن: يصرخون إلى الله بالتوبة فلا تقبل منهم. ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي: تستأخرون عن الإيمان بالله ﴿مستكبرين به﴾ أي: بالحرم ﴿سامراً تهجرون﴾ أي: تتكلمون بهجر القول^(١) ومنكره.

قال قتادة: يعني بهذا: أهل مكة؛ كان سامرهم لا يخاف شيئاً؛ كانوا يقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نُقرب - لما أعطاهم الله من الأمن، وهم مع ذلك يتكلمون بالشرك والبهتان.

والقراءة على تفسير قتادة: بضم التاء وكسر الجيم^(٢). وكان الحسن يقرأها: (تَهْجُرُونَ) بنصب التاء ورفع الجيم^(٣)؛ وتأويلها: الصَّدُّ والهَجْرَان. يقول: قد بلغ من أمانكم أن سامركم [يَسْمُرُ]^(٤) بالبطحاء؛ يعني: سمر الليل، والعرب يقتل بعضها بعضاً، وَيَسْبِي بعضها بعضاً، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي.

قال محمد: يقال: هذا سامر الحي؛ يراد المتحدثون منهم ليلاً^(٥).

(١) الهَجْر من القول: الفاحش الرديء. لسان العرب (هجر).

(٢) وهي قراءة نافع. ينظر: البحر (٤١٣/٦)، السبعة (٤٤٦)، النشر (٣٢٩/٢).

(٣) وهي قراءة الباقيين. ينظر المراجع السابقة.

(٤) في الأصل: يسمرنا. ولعله انتقل نَظَرٌ بما بعده، والمثبت من «ر».

(٥) مأخوذ من السَّمَر والسَّامِرة. ويُطلق السَّامِر على الواحد والجماعة. لسان العرب (سمر).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٣١﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَيْكَ لِنَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ ﴿٣٥﴾

﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني: القرآن ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ يعني: محمداً ﴿فهم له منكرون﴾ بل يعرفون وجهه ونسبه ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ يعني: جماعة من لم يؤمن منهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ يعني: أهواء المشركين ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ تفسير الحسن يقول: لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على إهلاك السموات والأرض ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بشرفهم؛ هو شرف لمن آمن به ﴿فهم عن ذكرهم﴾ [عن شرفهم] ^(١) ﴿معرضون﴾.

﴿أم تسألهم خرجاً﴾ [أي: أجراً على ما جتته به، لأنك لا تسألهم أجراً ﴿فخرج ريك﴾] ^(١) (٢٢٨) يعني: ثوابهم في الآخرة خير من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجراً ﴿وهو خير الرازقين﴾ وقد يجعل الله رزق العباد بعضهم من بعض يُرزق هذا على يدي هذا يرزق الله إياهم ﴿وهو خير الرازقين﴾ يعني: أفضلهم.

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي: تاركون له .

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ﴾ نزلت في أهل مكة؛ وذلك حين أخذوا بالجوع سبع سنين؛ حتى أكلوا الميتة والعظام وأجهدوا؛ حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخاناً، وهو قوله: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾^(١) نزلت هذه الآية قبل أن يؤخذوا بالجوع، ثم أخذوا به، فقال الله (وهم في ذلك الجوع): ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني: ذلك الجوع في السبع السنين^(٢) ﴿فما استكانوا لرَبِّهم وما يتضرعون﴾ يقول: لم يؤمنوا، وقد سألو أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا، فقالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾^(٣) وهو ذلك الجوع ﴿إنا مؤمنون﴾^(٣) فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذابٍ شديداً﴾ يعني: يوم بدرٍ قُتلوا بالسيف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يشسوا من كل خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَمَا بَأْسُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

(١) الدخان: ١٠.

(٢) تقديم وتأخير في «ر».

(٣) الدخان: ١٢.

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوٓتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ أي: خلق .

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أفلكم من يشكر؛ أي: يؤمن .

﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يذكرهم نعمته عليهم - يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيى ويميت، وله اختلاف الليل والنهار قادر على أن يحيى الموتى ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ثم أخبر بذلك القول؛ فقال: ﴿قالوا أنذا متنا وكنا تراباً . . .﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كَذِبَ الأولين وباطلهم؛ فأمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ وقال: ﴿سيقولون لله﴾ أي: فإذا قالوا ذلك ف﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتؤمنوا، وأنتم تقولون أن الأرض ومن فيها لله ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله﴾ فإذا قالوا ذلك ف﴿قل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقولون أن الله خالق هذه الأشياء وربها، وقد كان مشركو العرب يقولون بهذا.

قال محمد: قراءة يحيى (سيقولون لله) وهي قراءة أهل البصرة - فيما ذكر أبو عبيد^(١). قال: وعامة القراء يقرءونها: (سيقولون لله)^(٢).

(١) وهي قراءة أبي عمرو من السبعة . ينظر: البحر (٤١٨/٦)، السبعة (٤٤٧)، النشر (٢/٣٢٩).

(٢) وهي قراءة الباقيين. ينظر المراجع السابقة.

قال: وكان الكسائي^(١) يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان؛ بمعنى: هي لفلان^(٢).

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي: ملك كل شيء ﴿وهو يجير﴾ من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: من أراد أن يعذبه لم يستطع أحد منعه ﴿سيقولون لله﴾.

قال محمد: واختلف القراء أيضًا في قوله: ﴿سيقولون لله﴾ وهي في التأويل مثل التي قبلها.

﴿فأني تسحرون﴾ أي: فكيف تسحرون عقولكم؟ فشيبههم بقوم مسحورين.

قال محمد: وقيل: المعنى: كيف تُخدعون وتُضرفون عن هذا؟!

﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيِّهِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُوعَدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) أَدْفَعْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ السَّيِّئِينَ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴿

﴿بل أتيناكم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ وهي تقرأ: (بل

(١) في «ر»: الكلبي.

(٢) الرب في اللغة: المالك، ولا يقال في غير الله - تعالى - إلا بالإضافة، وأطلق الرب في الجاهلية على الملك. لسان العرب (رب).

أَتَيْتَهُمْ^(١) يقول للنبي ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ يقول: لطلب بعضهم ملك بعض حتى يَغْلُو عليه؛ كما يفعل ملوك الدنيا .

﴿عالم^(٢) الغيب والشهادة﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا: ما لم [يَحِجْ] من غيب الآخرة، والشهادة: ما أعلم به العباد. قل يا محمد: ﴿فتعالى عما يشركون﴾^(٣) [٢٢٩] ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ تفسيره: أي: [لا تهلكني]^(٤) معهم إن أَرَيْتَنِي ما يوعدون ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ تفسير السُّدِّي: يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم^(٥).

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وهو الجنون ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فأطيع الشيطان فأهلك؛ أمره الله أن يدعُو بهذا.

قال محمد: وقيل: (همزات الشياطين): نَحْسُهَا وطَغْنُهَا بالسوسة؛ حتى تشغل عن أمر الله. والقراءة (رَبِّ) بكسر الباء^(٦) [وحذف الياء]^(٣)؛ حذفت

(١) بفتح التاء الثانية، وهي قراء ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن خالويه في مختصره (٩٨) إلى أبي حية، وأبي البرهم، وابن قطيب. ينظر: البحر (٤١٨/٦)، الكشف (٤٠/٣).

(٢) بضم الميم وهي قرأ المدنيان وحزمة والكسائي وخلف وأبي بكر، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون ﴿عالم﴾ بكسر الميم. النشر (٣٢٩/٢)، إتحاف الفضلاء (٤٠٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من: «ر».

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من: «ر».

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (٦٧).

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها قراءات أخرى.

الياء للنداء؛ المعنى: أعوذ بك يا رب، وإثبات الياء جائز.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ﴾ (٩٩) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ (١٠٠) ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَلُونَ ۚ﴾ (١٠١) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ﴾ (١٠٢) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۚ﴾ (١٠٣) ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ﴾ (١٠٤)

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ قال الحسن: ليس أحد من خلق الله، ليس لله بولي إلا وهو يسأل الرجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلم به وإن كان أخرس لم يتكلم في الدنيا بحرف قط؛ وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار، سأل الرجعة ولا يسمعه من يليه ﴿لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾ يعني: فيما ضيعت. قال الله: لست برافع إلى الدنيا، ثم قال: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ يعني: هذه الكلمة: ﴿رب ارجعون لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾.

﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ قال السدي: البرزخ: ما بين النفختين.

قال محمد: وكل شيء بين شيئين فهو برزخ^(١).

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قد مضى تفسيره^(٢) ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا

(١) وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. مختار الصحاح (برزخ).

(٢) الأنعام: ٧٣، الكهف: ٩٩، وطه: ١٠٢.

يتساءلون ﴿ تفسير الحسن: يقول: فلا أنساب بينهم يتعاطفون عليها؛ كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، ولا يتساءلون عليها أن يحمل بعضهم عن بعض؛ كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم؛ كقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم.

﴿تفلح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾.

يحيى: عن صاحب له، عن يحيى بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «شفته السفلى ساقطة على صدره، والعليا قالصة» (١) قد غطت وجهه» (٢).

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَابَتِي تُنَلِّ عَلَيَّكَ فَكُنْتُ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ (١٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَؤْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ

(١) أي: مرتفعة، وقيل: شفة قالصة؛ أي: ناقصة. لسان العرب (قلص). وفي «ر»: قائمة.
(٢) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى ابن المبارك في الزهد (٨٤ رقم ٢٩٢) عن سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمع، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فنقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته حتى تضرب سرتة». ورواه الإمام أحمد (٨٨/٣) والترمذي (٦١٠/٤) رقم ٢٥٨٧، ٣٠٧/٥ رقم ٣١٧٦ وأبو يعلى (٥١٦/٢ رقم ١٣٦٧) والحاكم (٢٤٦/٢، ٣٩٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨٢) والبخاري في تفسيره (٥/٤٣٠) وفي شرح السنة (١٥/١٥١ - ١٥٢ رقم ٤٤١٦) وغيرهم من طريق ابن المبارك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح من إسناده المصريين، ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: تفرد به أبو شجاع عن أبي السمع.

وقال البخاري: هذا حديث حسن غريب.

خَيْرَ الرَّاجِينَ ﴿١١٦﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٧﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٨﴾ قُلْ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدُ سِينِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَتَنَالُوا الْعَادِينَ ﴿١٢٠﴾ قُلْ إِن لَّيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَا أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ التي كُتبت علينا ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عُدنا فإننا ظالمون﴾ فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يَرُدُّ عليهم ﴿اخشثوا فيها ولا تكلمون﴾ أي: اضغروا؛ في تفسير الحسن. قال: فوالله ما تكلم القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال محمد: معنى ﴿اخشثوا﴾ في اللغة: تباعدوا، ويقال: خَسَّاتِ الكلب أخسَّوه؛ إذا زجرته ليتباعد^(١).

﴿وأنت خير الراحمين﴾ يعني: أفضل من رحم، وقد يجعل الله الرحمة في قلب من يشاء؛ وذلك من رحمة الله.

﴿فاتخذتموهم سخريًّا﴾ كانوا يسخرون بأصحاب الأنبياء، ويضحكون منهم.

قال محمد: الأجود في قراءة (اتخذتموهم) إذغام الذال في التاء^(٢)؛ لقرب المخرجين في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت. وتقرأ: (سخريًّا) بالضم

(١) خَسَّاتِ الكلب: طرده، من باب قطع، وخسأ هو بنفسه من باب خضع. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (خسأ).

(٢) قراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصا. ينظر النشر (١٥/٢ - ١٦)، إتحاف الفضلاء (٣٢٠).

والكسر في معنى الاستهزاء^(١)، وقد قال بغض أهل اللغة: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم^(٢).

﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ ليس يعني: أن أصحاب الأنبياء أنسوهم ذكر الله؛ فأمرهم ألا يذكره، ولكن جحودهم واستهزاؤهم، وضحكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر الله.

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ في الدنيا ﴿أنهم﴾ بأنهم ﴿هم الفائزون﴾ الناجون من النار، وتقرأ بالكسر ﴿إنهم﴾^(٣).

قال محمد: ومن كسر فالمعنى: أني جزيتهم بما صبروا، ثم أخبر فقال: إنهم هم الفائزون.

﴿قال كم لبثتم﴾ يقوله لهم في الآخرة ﴿في الأرض عدد سنين﴾ أي: كم عدت السنين التي لبثتم في الأرض [يريد بذلك أن يعلمهم قلة] ^(٤) (ل ٢٣٠) بقائهم في الدنيا [قتصاغت الدنيا] ^(٤) عندهم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ﴿فاسأل العادين﴾ قال قتادة: يعني: الحُساب الذين كانوا يحسبون آجالنا. مثل قوله: ﴿إنما نعد لهم عدداً﴾ ^(٥) وهي آجالهم ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي: أن لبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لاثنون في

(١) قرأ بالضم: نافع، وحزمة، والكسائي، وقرأ بالكسر الباقون. ينظر البحر (٤٢٣/٦)، السبعة (٤٤٨)، النشر (٣٢٩/٢ - ٣٣٠).

(٢) ينظر لسان العرب (سخر).

(٣) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع. ينظر: البحر (٤٢٣/٦) السبعة (٤٤٩)، النشر (٢/٣٣٠ - ٣٢٩).

(٤) طمس في الأصل والمثبت من: «ر».

(٥) مريم: ٨٤.

النار كان قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يقول: لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار.

قال محمد: (عدد) منصوب بكنم^(١)، وقوله: ﴿إن لبئس﴾ معناه: ما لبئس.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ أي: لغير بعث ولا حساب ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وهو على الاستفهام؛ أي: قد حسبتم ذلك؛ ولم تخلقكم عبثاً، إنما خلقناكم للبعث والحساب ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ على الله. وبعضهم يقرؤها بالرفع^(٢) يقول: الله الكريم. ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ أي: لا حجة له بذلك ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ يعني: فإنما جزاؤه عند ربه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ وهي تقرأ: (إنه) بالكسر^(٣) على معنى: فإنما حسابه عند ربه أن يدخله النار، ثم قال: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

(١) ينظر: البحر (٤٢٤/٦)، مجمع البيان (١٣٠/٤)، إعراب القرآن (٤٣٠/٢).

(٢) رُويت عن ابن كثير من السبعة. ينظر إتحاف الفضلاء (٣٢١)، البحر (٤٢٤/٦)، جامع القرطبي (١٥٧/١٢).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإملاء (٨٣/٢)، الكشف (٤٥/٣)، البحر (٤٢٥/٦)، المحتسب (٩٨/٢).

قال محمد: ومن قراها بالفتح^(١)، فالمعنى: بأنه.
﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يعني: وأنت أفضل من
يرحم؛ أمر الله النبي ﷺ بهذا الدعاء.

(١) ورويت هذه القراءة عن الحسن وقتادة. ينظر المراجع السابقة.

تفسير سُورَةِ النُّورِ وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةُ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿سورة أنزلناها﴾ (أي: هذه سورة أنزلناها) (١) ﴿وفرضناها﴾ يعني: ما فرض في هذه السورة، وخذ فيها من حدوده، وتقرأ: (فرضناها) بالثقل (٢)؛ يعني: بيئناها ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ يبينات لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكروا ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ هذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين؛ فإن كانا محصنين رُجما.

قال محمد: من قرأ (الزانية) بالرفع فتأويله الابتداء (٣). قال الحسن: والرجم في مصحف أبي بن كعب، وهو في مصحفنا أيضًا في سورة المائدة في قوله: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٥٢) النشر (٢/٣٣٠) التيسير (١٦١).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وغيرهما بالنصب. ينظر: البحر (٦/٤٢٧)، المحتسب (٢/١٠٠)، الإملاء (٢/٨٣).

للذين هادوا والربانيون والأحبار^(١) حيث رجم رسول الله اليهوديين حين ارتفعوا إليه^(٢).

يحيى: عن المعلى، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: «قال لي أبي بن كعب: يا زُرُّ، كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط؟ قلت: قط. قال: فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة، وإن فيها لآية الرُّجم. قلت: وما آية الرجم يا أبا المنذر؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألَبَتَ نَكَالاً من الله والله عزيز حكيم»^(٣).

(١) المائدة: (٤٤).

(٢) رواه البخاري (٢٣٧/٣) رقم (١٣٢٩) ومسلم (١٣٢٦/٣)، ١٣٢٧ رقم (١٦٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه مسلم (١٣٢٧/٣) رقم (١٧٠٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

ورواه مسلم (١٣٢٨/٣) رقم (١٧٠١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وفي الباب عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه الطيالسي (٧٣) رقم (٥٤٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٥) رقم (٥٩٩٠)، ٣٢٩-٣٣٠ رقم (١٣٣٦٣) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧) رقم (٢/٥٧٩٢) - وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/١٣٢) والنسائي في الكبرى (٤/٢٧١-٢٧٢) رقم (٧١٥٠) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٢-٨٧٤) رقم (١٢٢٦-١٢٣١) وابن حبان (١١/٢٧٤-٢٧٣) رقم (٤٤٢٨، ٤٤٢٩) والحاكم (٢/٤١٥، ٣٥٩) والبيهقي في السنن (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٤-٢٣٥) والفضاء في المختارة (٣/٣٧١-٣٧٠) رقم (١٦٦٤-١٦٦٦) وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/٣٠٣ - ٣٠٤) من طرق عن عاصم ابن أبي النجود به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حزم: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمض فيه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٨١): وهذا إسناد حسن.

وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن.

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة. فقال عمر: لما أنزلت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أكتبنيها - فكانه =

المسعودي: عن القاسم بن عبد الرحمن «أن عمر بن الخطاب حمد الله ثم

= كره ذلك قال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا لم يُحصن جُلْد، وأن الشاب إذا زنى وقد أحسن رُجْم؟
رواه الإمام أحمد (١٨٣/٥) والطيالسي - كما في إتحاف الخيرة (٢٥٧/٦) رقم ٥٧٩٣ -
والنسائي في الكبرى (٢٧٠/٤) رقم ٧١٤٥ والدارمي (٢٣٤/٢) رقم ٢٣٢٣ والطبري في
تهذيب الآثار (٨٧٠/٢) رقم ٣٧ والحاكم (٣٦٠/٤) والبيهقي في الكبرى (٢١١/٨) وابن
حزم في المحلى (٢٣٥/١١) وغيرهم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حزم: هذا إسناد جيد.

وقال الطبري: هذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه توهمه ولا سبب يضعفه؛ لعدالة من
بيننا وبين رسول الله ﷺ من نقلته، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير
صحيح، لعل:

إحداهما: أن هذا الحديث لا يعرف له مخرج عن عمر عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، إلا
من هذا الوجه.

والثانية: أن قتادة من أهل التدليس، ولا يحتج عندهم من حديث المدلس في الدين إلا بما
قال فيه «سمعت» أو «حدثنا» وما أشبه ذلك، وليس ذلك كذلك في هذا الخبر.

والثالثة: أن فيه مما أنزل من القرآن الذي كان يُقرأ، ولو كان ذلك كذلك لكان موجودًا في
مصحف المسلمين، وفي عدم ذلك في مصاحفهم الدليل الواضح على وهائه. اهـ

وقد أفاض الطبري في بيان ما تضمنته هذا الحديث من الأحكام في تهذيب الآثار (٨٧٥/٢) -
٨٨٠) وكان فيما قال رحمه الله: أما خبر زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في أمره برجم الشيخ
والشيخة «فارجموهما ألبتة إذا زنيا» فإن معناه: فارجموهما ألبتة إذا كانا قد أحصنا. فإن قالوا:

وما البرهان على أن ذلك كذلك، وليس ذلك موجودًا في الخبر؟ قيل: البرهان على أن ذلك
كذلك إجماع الجميع من أهل العلم - قديمهم وحديثهم - على أن حكم الشيخ والشيخة إذا زنيا
قبل الإحصان الجلد دون الرجم، وفي إجماع جميعهم على ذلك أوضح البيان على أن معنى ما
ذكرنا عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في الشيخ هو ما قلناه دون غيره.

وأما قول عمر: «لما أنزلت آتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها - وكأنه كره ذلك» ففيه بيان
واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المتزل كسائر أي القرآن؛ لأنه لو كان من القرآن لم
يُمتنع ﷺ من كتابته عمر ذلك، كما لم يمتنع من إكتابه من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد
تعليمه، وفي إخبار عمر عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك؛
الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله - تعالى ذكره - فإنه من غير القرآن
الذي يُتلى ويصطر في المصاحف. اهـ

قال: أما بعد؛ فإن هذا القرآن نزل على رسول الله فكنا نقرأ: « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ، وآية الرجم، وإنني قد خفت أن يقرأ القرآن قومٌ يقولون: لا رجم! وإن رسول الله قد رجم ورجمنا؛ والله لولا أن يقول الناس: إن عمر زاد في كتاب الله لأبثتها، ولقد نزلت وكتبناها»^(١).

«ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» في حكم الله، قال قتادة: يعني: أن يجعله الجلد الشديد.

يحيى: عن الخضر بن مرة، عن يحيى بن أبي كثير «أن رسول الله ﷺ أتاه رجلٌ فقال: أصبت حدًا؛ فأقمه عليّ! فدعا بسوط، فأتي بسوط شديد. فقال: سوط دون هذا. فأتي بسوط منكسر العجز، فقال: فوق هذا. فأتي

= وروى الإمام مالك في الموطأ (٢/٦٢٨-٦٢٩ رقم ١٠) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال: «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قاتل: لا نحد حدين في كتاب الله! فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله - تعالى - لكتبها: «الشيخ والشيخة فارجموها ألبتة» فإنا قد قرأناها».

قال مالك: قوله الشيخ والشيخة يعني: الثيب والثيبة.
قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٩٣): هذا حديث مسند صحيح.
وذهب إلى أن هذا الحديث يستند من وجوه صحاح ثابتة من حديث ابن عباس عن عمر. وقال نحوه في الاستذكار (٢٤/٦٨) وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن صحيح. وروى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٣٥٠ رقم ٨٦٧) والحاكم (٤/٣٥٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٤٠٣) عن العجماء رضيها قالت: «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.
وجوّد إسناده ابن كثير في تحفة الطالب (٣٨٤) وحسنه ابن حجر في الموافقة (٢/٣٠٤).
(١) رواه البخاري (١٢/١٤٠ رقم ٦٨٢٩) ومسلم (٣/١٣١٧ رقم ١٦٩١) من طريق عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب بنحوه.

بسوط بين السوطين فأمر به فجلد [جلدًا بين الجلدين]»^(١).

﴿وليشهد عذابهما﴾ أي: جلدهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ يقال: (٢٣١) الطائفة رجل فصاعدًا.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية...﴾ الآية، تفسير بعضهم يقول: نزلت في كل زانٍ وزانية، ثم نُسخَت.

يحيى: عن نصر بن طريف قال: قال سعيد بن المسيب: «نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾»^(٢)، (٣).

﴿وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ يريد لا يحل للمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا، ولا عبدة الأصنام، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركًا من عبدة الأصنام، ولا مشهورًا بالزنا»^(٤).

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأُولَئِكَ مَتَّاعُهُمْ لَمَلِئَ جَلَدَهُ وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٩/٧) رقم ١٣٥١٥ ومن طريقه ابن حزم في المحلى (١٧١/١١) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير به. وما بين المعكوفين مطموس في الأصل و«ر».

(٢) النور (٣٢).

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٢١) رقم ٧١٢ وعبد الرزاق في تفسيره (٥١/٢) والطبري في تفسيره (١٥-١٤/١٨) والبيهقي في السنن (١٥٤/٧) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٦٩ - ٤٧٠) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب.

ورواه ابن أبي حاتم (٢٥٨١/٨) رقم ١٤٤٤٤ من طريق أبي جعفر الرازي عن قتادة عن سعيد ابن المسيب.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢/٥) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيدة وابن المنذر.

(٤) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْدَهُمْ أَنْيَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ
الْصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ
تَشْهَدَ أَنْيَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ
الْصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿والذين يرمون﴾ أي: يقدفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعني: الحرائر
المسلمات ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يجيئون جميعاً يشهدون عليها بالزنا
﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ يجلد بالسوط ضرباً بين ضربين، وكذلك من
قدف حراً مسلماً. ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾
العاصون، وليس بفسق الشرك؛ وهي من الكبائر ﴿إلا الذين تابوا من بعد
ذلك...﴾ الآية، تفسير الحسن وسعيد بن المسيب قالا: توبته فيما بينه وبين
الله ولا شهادة له.

﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ إلى قوله: ﴿والخامسة أن غضب الله﴾^(١)
عليها إن كان من الصادقين ﴿قال يحيى:﴾ هذا إذا ارتفعوا إلى الإمام، وثبت على
قذفها؛ قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله إنني لصادق، ثم يقول في
الخامسة: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين، وتقول هي أربع مرات: أشهد
بالله إنه لكاذب - تعني زوجها - ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليّ إن
كان من الصادقين.

(١) قرأ نافع بإسكان النون مخففة، وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده، وقرأ
باقي السبعة بتشديد النون ونصب ﴿غضب﴾ مضافاً إلى لفظ الجلالة. النشر (٢/ ٣٣٠ -
٣٣١) وإتحاف الفضلاء (٤٠٩).

قال محمد: من قرأ (أربع) بالنصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات^(١) وهي تقرأ بالرفع على خبر الابتداء^(٢)؛ المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع شهادات.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ تفسير السدي: يقول: لولا فضل^(٣) الله عليكم ونعمته لأهلك الكاذب من المتلاعنين ﴿وأن الله تواب حكيم﴾ تواب على من تاب من ذنبه، حكيم في أمره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم بَلْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَادُّعُوا لِلْكِفِّ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَسُكْرُ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسَنَةِ وَقَالُوا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة﴾ جماعة ﴿منكم﴾ تفسير قتادة: قال: هذا كان في شأن عائشة، وما أذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأخذ الناس في الرحيل، وانقطعت فلادة لها؛ فطلبتها في المنزل ومضى الناس، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك، ثم أقبل

(١) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم. ينظر السبعة (٤٥٢)، البحر (٤٣٤/٦)، النشر (٢/٢٣٠).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٣) في «ر»: لولا ما من.

فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره، وإذا هو بعائشة فجاء يبيعه وألأها ظهره حتى ركبته، ثم قادها فجاء وقد نزل الناس، فتكلم في ذلك قوم فأتهموها^(١).

قال يحيى: «بلغني أن عبد الله بن أبي ابن سلول وحسان بن ثابت ومسطحاً وحمنة بنت جحش هم الذين تكلموا في ذلك، ثم شاع ذلك في الناس؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحدٍ منها الحد»^(٢).

﴿لا تحسبوه﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿شراً لكم﴾ يعني: ما قيل فيهما ﴿بل هو خير لكم لكل امرئٍ منهم﴾ يعني: الذين قالوا ما قالوا ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما أشاع ﴿والذي تولى كبره﴾ يعني: بدأ به منهم ﴿له عذاب عظيم﴾ قال بعضهم: هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ﴿له عذاب عظيم﴾ جهنم.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾^(١١)
يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٣٧)، ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها مطولاً.

(٢) روى الإمام أحمد (٣٥/٦) وأبو داود (١١٨/٥) رقم (٤٤٦٩) والترمذي (٣١٤/٥) رقم (٣١٨١) والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٤) رقم (٧٣٥١) وابن ماجه (٨٥٧/٢) رقم (٢٥٦٧) وغيرهم عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربهم حدهم». وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

ورواه أبو داود (١١٨/٥) رقم (٤٤٧٠) عن عمرة مرسلاً، فسمي حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة، وقال النفيلى: ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش.

حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ ذَرِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي: بإخوانهم ﴿خبراً وقالوا هذا إفك﴾ كذب ﴿مبين﴾ بين ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ [في الدنيا والآخرة] ^(١) لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴿فيها تقديم؛ يقول: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، والإفاضة فيه كان إذا لقي الرجل الرجل، فيقول: أما بلغك ما قيل من أمر عائشة وصفوان﴾ إذ تلقونه بالستكم ﴿يعني: يرويه بعضهم عن بعض.

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي: كذب.

(٢٣٢ل) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ يعني: أن تنتشر ^(٢) ﴿في﴾ الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴿وهم المنافقون؛ كانوا يحبون ذلك، ليعيبوا به النبي ﷺ ويغيظوه، وعذاب الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة وما ينفقون في الغزو كرها﴾ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي: لأهلككم؛ فاستأصلكم؛ يعني: الذين قالوا ما قالوا، وليس يعني بالفضل وبالرحمة: عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم، وقد ذكر بعد هذه الآية أنه في النار. قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ ذَرِيمٌ﴾ بالمؤمنين.

(١) سقط من الأصل.

(٢) في «ر»: أن يظهر الزنا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ فإن الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَتْهُنَّ وَأَيْدِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ لَخَبِئْتُ لِلْخَائِثِينَ وَالْخَائِثُونَ لِلْخَائِثَاتِ وَالْخَائِثَاتُ لِلْخَائِثِينَ وَالْخَائِثُونَ لِلْخَائِثَاتِ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ أي: ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني: الغني ﴿أن يؤتوا أولي القربى...﴾ الآية، تفسير قتادة: قال: «أنزلت في أبي بكر الصديق ومسطح، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة، وكان يتيمًا في حجره، وكان ممن أذاع على عائشة ما أذيع؛ فلما أنزل الله براءتها وعذرها تألى^(١) أبو بكر ألا يوليه خيرًا أبدًا، فأنزل الله هذه الآية، وذكر لنا أن نبي الله دعا أبا بكر فتلاها عليه، ثم قال: ألا تحب أن يعفو الله عنك؟ قال: بلى. قال: فاعف

(١) أي: حلف، ومثله: أتلى، وآلى بمعنى حلف، مأخوذ من الآية، وهو اليمين. لسان العرب (الو).

وتجاوز. فقال أبو بكر: لا جرم، والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه إياه قبل اليوم»^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني: العفاف ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ يعني: أنهن لم يفعلن ما قذفن به ﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال يحيى: بلغني أنه يعني بذلك: عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ تفسير السدي: يعني: حسابهم العدل. ﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [تفسير قتادة: الخبيثات من القول والعمل للخبثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبثيات من القول والعمل]^(٢) ﴿وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ مثل ذلك؛ وهذا في قصة عائشة ﴿أُولَئِكَ مِرَّةٌ يَوْمَ يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرَزَقَ كَرِيمٌ﴾ الجنة.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

قوله: ﴿تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ حتى تستأذنوا؛ في تفسير قتادة. وفيها تقديم وتأخير: حتى تسلموا [وتستأنسوا]^(٣).

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/١٥٠ رقم ٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٩): وإسناده جيد.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: وتستأذنوا.

قال محمد: الاستئناس في اللغة معناه: الاستعلام؛ تقول: استأنستُ فما رأيت أحداً؛ أي: استعلمت وتعرفت^(١). قال النابغة:

كَأَن رَخَلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَى
بَذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحْدٍ^(٢)
يعني: ثوراً أبصر شيئاً فخافه فهو فزع^(٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سئل جابر بن عبد الله أيستأذن الرجل على والدته وإن كانت عجوزاً، أو على أخته؟! قال: نعم».

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب؛ أن علياً قال: «يستأذن الرجل على كل امرأة إلا على امرأته».

﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ تَرْتَجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يعني: البيوت المسكونة ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ قال قتادة: لا تقف على باب قوم قد ردوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجات ولهم أشغال ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ يعني: الفنادق ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ قال السدي: يعني: منافع لكم من الحر والبرد؛ فليس عليه (أن) يستأذن^(٤) فيها؛ لأنه ليس لها أهل يسكنونها.

(١) ويقال فيه: استأنس وتأنس. لسان العرب (أنس)

(٢) البيت من بحر البسيط، ينظر ديوان النابغة (١٧)، الخصائص (٢/٢٦٦)، شرح المفصل لابن يعيش (١٦/٦).

(٣) انظر خزائن الأدب (٣/١٨٧ - ١٨٨).

(٤) في «ر»: إذن.

﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٠) وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُجُوِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ
إِخْوَانَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ
غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ (٢١)

﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يعني: يغضون أبصارهم عن جميع
المعاصي، (مِنْ) ها هنا صلة زائدة^(١).

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن أبي زرعة بن عمرو
ابن جرير البجلي، عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن النظر فجاءه،
فقال: اصرف بصرك»^(٢).

(١) وفيه أوجه نحوية أخرى، تنظر من الدر المصون (٢١٦/٥).

(٢) هكذا وقع هذا الإسناد في الأصل و«ر»: «عن يونس بن عبيد عن أبي زرعة» والحديث
معروف برواية «يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة»، وقوله هنا: «عن أبيه»
يعني جده جريزاً جعله أباً تجاوزاً، والله أعلم.

والحديث رواه الطيالسي في مسنده (٩٣ رقم ٦٧٢) - ومن طريقه الخطيب في الموضح (٢/٣٢١-٣٢٢) -
عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن سعيد الأصبغ عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير.

قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ، إنما هو يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير عن النبي ﷺ. علل ابن أبي حاتم (٢/٣٤٤-٣٤٥ رقم ٢٥٥٨). =

قوله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل لهم .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن من النظر
﴿ويحفظن فروجهن﴾ مما لا يحل لهن وهذا في الأحرار والمماليك (ل) (٢٣٣)
﴿ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهذا في الحرائر. تفسير ابن عباس
وقتادة: ما ظهر منها: هو الكحل والخاتم. وتفسير ابن مسعود والحسن: هي
الثياب.

قال يحيى: وهذه في الحرائر، وأما الإمام فقد حدّثنا سعيد وعثمان، عن

= ورواه الإمام أحمد (٣٥٨، ٣٦١) ومسلم (٣/١٦٩٩ رقم ٢١٥٩) ووكيع في الزهد
(٤٨١) وهناد في الزهد (١٤١٧) وابن أبي شيبة (٤/٣٢٤) وأبو داود (٣/٤٩ رقم ٢١٤١)
والترمذي (٥/٩٣-٩٤ رقم ٢٧٧٦) والنسائي في الكبرى (٥/٣٩٠ رقم ٩٢٣٣) وأبو عوانة
في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤/٦٧) - والطحاوي في شرح المعاني (٣/١٥) وفي
شرح المشكل (٥/١٢٤-١٢٦ رقم ١٨٦٨-١٨٧١) وابن حبان (١٢/٣٨٣ رقم ٥٥٧١)
والطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٤-٢٤٠٦، ٢٤٠٨) والحاكم (٢/٣٩٦)
والبيهقي في السنن (٧/٨٩-٩٠) وغيرهم من طرق عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن
سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير به .

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقد أخرجه مسلم .

وقال الدارقطني بعد أن ذكر اختلافًا في هذا الحديث في علله (٤/ق ١٠٤-أ): والصحيح
حديث الثوري ومن تابعه عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير . اهـ
ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٧) عن المقدم بن داود عن أسد بن موسى عن
حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن
أبيه «أن جريرًا سأله... فزاد في إسناده» عن أبيه .

ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٣) وتتمام في الفوائد (٧٣٩) من طريق أشعث بن
سوار عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن جرير .

ورواه مصعب بن المقدام عن الثوري عن يونس عن الحسن عن جرير . خرجه الدارقطني في
العلل (٤/ق ١٠٤-ب) وخطأه .

قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطاب رأى أمةً عليها قناعٌ، فضربها بالدرّة - في حديث سعيد. وقال عثمان: فتناولها بالدرّة - وقال: اكشفي عن رأسك. وقال سعيد: ولا تشبهي بالحرائر»^(١).

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ تسدل الخمار على جيبيها تستر به نحرها ﴿ولا يبدین زینتهن﴾ وهذه الزينة الباطنة ﴿إلا لبعولتهن﴾ يعني: أزواجهن إلى قوله: ﴿أو نسائهن﴾ يعني: المسلمات يرين منها ما يرى ذو المحرم، ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة﴾ يعني: الحاجة إلى النساء، تفسير قتادة: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهي المرأة، ولا يغار عليه الرجل.

قال محمد: من قرأ (غير) بالخفض^(٢)، فعلى أنه صفة للتابعين^(٣)؛

(١) رواه عبد الرزاق (١٣٦/٣) رقم ٥٠٦٤ عن معمر عن قتادة.

ورواه ابن أبي شيبة (٢٣٠-٢٣١/٢) من طريق شعبة عن قتادة.

ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق الزهري عن أنس.

ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق المختار بن فلفل عن أنس بنحوه.

ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) عن أبي قلابة قال: «كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته

أمة تقنع. قال: قال عمر: إنما القناع للحرائر؛ لكيلا يؤذین».

ورواه عبد الرزاق (١٣٦/٣) رقم ٥٠٦٢ والبيهقي (٢٣٦-٢٣٧/٢) من طريق صفية بنت أبي

عبيد عن عمر مطولا.

وقال البيهقي: والآثار عن عمر بن الخطاب عليه السلام في ذلك صحيحة، وإنها تدل على أن

رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المهنة ليس بعورة.

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وعاصم. ينظر البحر (٤٤٩/٦)، السبعة (٤٥٥)، النشر (٢/

٣٣٢).

(٣) أو على البذل. ينظر البحر (٤٤٩/٦)، إعراب القرآن (٤٣٩/٢) معاني القرآن للفراء (٢/

٢٥٠).

المعنى: لكل تابع غير أولي الإربة، ومن نصب (غير)^(١) فعلى الحال^(٢)؛
المعنى: أو التابعين لا مريدين النساء في هذه الحال.

قال يحيى: فهذه ثلاثُ حُرْمٍ بعضها أعظم من بعض، منهن الزوج الذي يحل له كل شيء [منها]^(٣) فهذه حرمةٌ لغيره.

ومنهن الأب، والابن، والأخ، والعم، والخال، وابن الأخ، وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب؛ فلا يحل لهؤلاء -في تفسير الحسن- أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساق وأشباه ذلك. وقال ابن عباس: ينظرون إلى موضع القُرْطَيْنِ والقِلَادَةِ والسوارين والخلخالين.

وحرمةٌ ثلاثة فيهم أبو الزوج، وابن الزوج، والتابع غير أولي الإربة ومملوك المرأة؛ لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق وخمار صفيق بغير جلباب.

قوله: ﴿أَوَالْطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ قال قتادة: يعني: من لم يبلغ الحلم ولا النكاح.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجليها إذا مرّت بالمجلس لئسمع قعقة الخلخالين، فنهين عن ذلك.
﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ من ذنوبكم ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم كما تقدم.

(٢) أو الاستثناء. ينظر البحر (٤٤٩/٦)، إعراب القرآن (٤٣٩/٢).

(٣) من «أ».

فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلِاسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَابِتُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاثُهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ نَحْصًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ يعني: كل امرأة ليس لها زوج.

قال محمد: يقال: امرأة أيم، ورجل أيم^(١)، ورجل أرمل، وامرأة أرملة^(٢).

﴿والصالحين من عبادكم﴾ يعني: المملوكين المسلمين ﴿ولأيمانكم﴾ المسلمات، وهذه رخصة وليس على الرجل بواجب أن يزوجه أمته وعبدته ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾.

(يحيى: عن عبد العزيز بن أبي رواد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا الغنى في هذه الآية: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾»^(٣) ^(٤)).

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن عمر بن الخطاب كان يقول: «ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة، والله يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم

(١) الأيم: الذي لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج، وامرأة أيم بكراً كانت أو ثيباً. مختار الصحاح (أيم).

(٢) لسان العرب (رمل).

(٣) لم أتف عليه من هذا الطريق المعضل، وله طرق أخرى بنحوه، انظر تخريج الكشاف (٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٤) سقط من «ر».

الله من فضله»^(١).

«والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاთبهم إن علمتم فيهم خيراً» تفسير الحسن: إن علمتم عندهم مالاً. وقال قتادة: إن علمتم عندهم صدقاً ووفاء وأمانة.

قوله: «وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» قال قتادة: أن يترك لهم طائفة من مكسبته «ولا تكرهو فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً» [البغاء: الزنا]^(٢) «تحصناً» أي: عفة وإسلاماً.

وبلغنا عن الزهري قال: نزلت في أمة كانت لعبد الله بن أبي ابن سلول كان يكرها على رجل من قريش يريد لها لنفسه رجاء أن تلد منه، فيفدي ولده، فذلك (ل٢٣٤) الغرض الذي كان ابن أبي سلول يبتغي «ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم» وكذلك هي في حرف ابن مسعود «ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات» يعني: القرآن «ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم» يعني: أخبار الأمم السابقة.

«اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْكُوفٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾» في يُونُسَ أَوَّنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣/٦) رقم (١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة به.

ورواه أيضاً (١٧٠/٦-١٧١) رقم (١٠٣٨٥) عن هشام بن حسان عن الحسن عن عمر.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

فِيهَا يَأْتِ الدُّرُورُ وَالْأَصَابِلُ ﴿٣٦﴾

﴿الله نور السموات والأرض﴾ يعني: بنوره يهتدي من في السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿كمشكاة﴾ تفسير ابن عمر قال: المشكاة: الكوة^(١) في البيت التي ليست بنافذة ﴿فيها مصباح﴾ يعني: السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني: القنديل ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ أي: منير ضخم.

قال محمد: من قرأ (دُرِّي) بلا همز، فهو منسوب إلى الدر^(٢)، ومن قرأ (دِرِّي) بالهمز وكسر الدال^(٣)؛ فهو من النجوم الدراري^(٤).

قوله: ﴿يُوقَدُ﴾ يعني: المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ قال قتادة: يعني: لا يفيء عليها ظلٌ شرق ولا غرب هي ضاحية للشمس، وهي أصفى الزيت وأعذبها قال بعضهم: هي في سفح جبل ﴿يكاد زيتها﴾ يعني: الزجاجة ﴿يضيء ولو لم تمسه ناز﴾ وهذا مثل قلب المؤمن، يكاد يعرف الحق من قبل أن يتبين له فيما يذهب إليه من موافقة الحق فيما أمر به، وفيما يذهب إليه من كراهيته ما يُنهى عنه ﴿نور على نور﴾ قال مجاهد: نور الزجاجة ونور الزيت ونور المصباح؛ فكَذلك قلب المؤمن إذا تبين له الحق صار نوراً على نور.

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ تفسير مجاهد: أن تُبْنَى؛ يعني: المساجد.

(١) في حاشية الأصل: الفتحة. وفي لسان العرب: الكوة: ثقب البيت، وهي بفتح الكاف وضمها، والجمع كَوَاءً بالمد والقصر. لسان العرب (كوى).

(٢) واحدها: دُرَّة؛ وهي اللؤلؤة، وتجمع أيضاً على دُرَّات، ودُرر. لسان العرب (در).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، والكسائي. ينظر السبعة (٤٥٦) البحر (٤٥٦/٦)، النشر (٣٣٢/٢).

(٤) وواحدها: (دُرِّي)؛ وهو الثاقب المضيء. لسان العرب (در).

يحيى: عن مندل بن علي، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «من بنى مسجدًا لله ولو مثل مفحص قطاة بُني له بيت في الجنة»^(١).

(١) تابع مندل بن علي عليه جماعة:

منهم: قطبة بن عبد العزيز، عند ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١/١٧٢ رقم ٥/٣٦٢) - وأبي يعلى - كما في المطالب العالية (١/١٧٢ رقم ٨/٣٦٢) - والطبراني في الصغير (٢/١٣٨) وابن حبان في صحيحه (٤/٤٩٠ رقم ١٦١٠) وأبي نعيم في الحلية (٤/٢١٧) والبيهقي في السنن (٢/٤٣٧).

ومنهم: أبو بكر بن عياش، عند البزار (٩/٤١٢ رقم ٤٠١٧) وأبي يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٢/١٢ رقم ٧/٩٣٨) والطحاوي في المشكل (٤/٢١٠ رقم ١٥٥٠) والرويانى - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣/٣٦٢) - والبيهقي (٢/٤٣٧) والقضاعي في مسند الشهاب (١/٢٩١ رقم ٤٧٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش.

وقال أحمد بن يونس: ما رفعه أحد من أصحاب الأعمش غير أبي بكر. قال أحمد: فقل لأبي بكر: إنه لم يرفعه غيرك! قال: سمعته من الأعمش وهو شاب.

ومنهم: يعلى بن عبيد، من رواية أخيه محمد بن عبيد عنه، عند ابن حبان (٤/٤٩١ رقم ١٦١١) والطحاوي في المشكل (٤/٢١١ رقم ١٥٥٢).

قال الدارقطني في الأفراد: غريب من حديث الأعمش مرفوعاً إلى النبي ﷺ وغريب من حديث يعلى بن عبيد عنه، تفرد به أخوه محمد، وعنه محمد بن حرب. أطراف الغرائب (٥/٥٤).

ومنهم: سفيان الثوري، من رواية سلم بن جنادة عن وكيع عنه، عند البزار (٩/٤١٢ رقم ٤٠١٦).

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن سفيان مرفوعاً إلا سلم بن جنادة عن وكيع، ولا نعلم أن سلم بن جنادة توبع على هذا الحديث، وإنما يعرف هذا الحديث مرفوعاً من حديث أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش، ورواه يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز. وقال الدارقطني: غريب من حديث الثوري عن الأعمش عنه مرفوعاً، وغريب من حديث وكيع عنه، تفرد به أبو السائب سلم بن جنادة. أطراف الغرائب (٥/٥٤).

ورواه مؤمل عن سفيان الثوري عن الأعمش مرفوعاً، عند الطحاوي في المشكل (٤/٢٠٩ رقم ١٥٤٩).

ومنهم: شريك من رواية علي بن حكيم عنه، عند الطحاوي في المشكل (٤/٢١٠ رقم ١٥٥١).

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ الغدو: صلاة الصبح، والآصال: العشي: الظهر والعصر، وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء، وجميع الصلوات الخمس .

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

= قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: هكذا رواة عدة من أصحاب شريك فلم يرفعه، والصحيح عن أبي ذر من حديث شريك موقوف. قال أبو حاتم: ورواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش ورفعه، ونفس الحديث موقوف، وهو أصح. قال ابن أبي حاتم: وحدثني أبي قال: حدثنا حماد بن زاذان قال: سمعت ابن مهدي قال: حديث الأعمش «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة» ليس من صحيح حديث الأعمش. علل ابن أبي حاتم (٩٧/١) رقم (٢٦١).

ومنهم: سفيان بن عيينة من رواية مؤمل بن إسماعيل عنه، عند الطبراني في المعجم الصغير (١٢٠/٢).

وقال الطبراني: لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل.

وخالفهم جماعة كثيرة فأوقفوه، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٩-٣١٠) عن أبي معاوية، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب - (١٧١/١) رقم (٣٦٢) - عن عيسى بن يونس وجريز وأبي معاوية، ورواه الطيالسي في مسنده (٦٢) رقم (٤٦١) عن قيس ابن الربيع، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢١٧/٤) من طريق الفريابي وأبي حذيفة النهدي عن الثوري، ورواه البيهقي (٤٣٧/٢) من طريق يعلى بن عبيد، كلهم عن الأعمش به موقوفًا.

ورواه الحكم بن عتيبة عن يزيد بن شريك عن أبي ذر رضي الله عنه موقوفًا، خرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب (١٧١/١) رقم (٣٦٢) - والطحاوي في المشكل (٢١٢/٤).

ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١٧٣/١) رقم (٣٦٢) - عن المعتمر بن سليمان، عن حجاج عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي مرسلاً.

وبسط الدارقطني في العلل (٢٧٤-٢٧٦) رقم (١١٣٤) الاختلاف فيه، ثم قال: والموقوف أشبههما بالصواب. اهـ.

قلت: وهذا المتن متواتر؛ قال ابن حجر في المطالب (١٧٢/١): وقد جمعت طرقه في جزؤ كبير، كتبت فيه عن نيف وثلاثين صحابيًا.

تَنَقَّلُبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرًا يُقَعِّرُ بَحْبَهُ
الظَّلْمَانِ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَحَابُّ
ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن
نُّورٍ ﴿٣٠﴾

﴿رَجُلًا لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا﴾ التجارة: الجالب [للمتاع] ^(١) والبيع: الذي يبيع على يديه ﴿عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر الله في هذا الموضع: الأذان؛ كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة ﴿وإِقام الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وإِيتَاء الزَّكَاةِ﴾ يعني: المفروضة ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ يعني: قلوب الكفار وأبصارهم، وتقلب القلوب: أن القلوب انتزعت من أماكنها، فغصت بها الحناجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج، وأما تقلب الأبصار فالزرق بعد الكحل، والعمى بعد البصر ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ (ثواب ما عملوا) ^(٢) يجزيهم به الجنة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ فأهل الجنة أبداً في مزيد ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تفسير بعضهم: يقول: لا يحاسبهم أبداً بما أعطاهم الله .
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرًا يُقَعِّرُ بَحْبَهُ﴾ قال مجاهد: وهو القاع القرقرة ^(٣)

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: المنخفض اللين، وقيل: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. لسان العرب (قرقر).

﴿يحسبه الظمآن﴾ العطشان ﴿ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ والعطشان مثل الكافر، والسراب (مثل عمله؛ يحسب أنه يُغني عنه شيئاً حتى يأتيه الموت؛ فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً)^(١) إلا كما ينفع السراب العطشان.

قال محمد: القية والقاع عند أهل اللغة: ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبات^(٢) - وهو الذي أراد مجاهد - فالذي [يسير]^(٣) فيه نصف النهار يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب.

قوله: ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ يعني: ثواب عمله، وهو النار يوم القيامة ﴿والله سريع الحساب﴾ أي: قد جاء الحساب ﴿أو كظلماتٍ في بحر لحي﴾ أي: عميق^(٤) (٢٣٥ل) ﴿يغشاها موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب ظلماتٍ بعضها فوق بعض﴾ يعني: ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، هذا مثل الكافر؛ يقول: قلبه مظلم في صدرٍ مظلم في جسدٍ مظلم ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدة الظلمة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَنَ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتَهُمْ وَيَسْبِخُهُمُ اللَّهُ عِلْمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ

(١) سقط من «ر».

(٢) ويجمع على: أفوع، وأقواع، وقيعان. وقيل: القية مثل القاع، وبعضهم يقول: هو جمع (قاعة). مختار الصحاح (قوع).

(٣) في الأصل (بصير) وهو تحريف عن الصواب.

(٤) يقال: غمره الماء؛ أي: علاه، والغمر: الكثير منه، وأغمر: الشدائد. لسان العرب (غمر) وفي «ر»: أي: عميق.

السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

﴿الم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾
 بأجنحتها ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ تفسير مجاهد: الصلاة للمؤمنين،
 والتسبيح [لما سوى ذلك] ^(١) من الخلق ﴿الم تر أن الله يُزجي﴾ أي: ينشيئ
 ﴿سحاباً ثم يؤلف بينه﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ بعضه
 على بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال
 السحاب ﴿ويتزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ ينزل من تلك الجبال التي
 هي من برد ^(٢) ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهلك الزرع ﴿وَيَصْرِفُهُ عَمَنْ يَشَاءُ﴾ .
 يصرف ذلك البرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: ضوء برقه.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا
 يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ الْخُصْ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ
 يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْفُتُورُ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) طمس في الأصل والمثبت من «و».

(٢) البرد: حب الغمام، ويقال: سحاب برد؛ أي: صار ذا برد، وسحابة بردة أيضاً. لسان العرب (برد).

إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾
يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
لَنْ أَمْرْتَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلٌ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾
﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ كقوله: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل﴾^(١) هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه .

﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ يعني: النطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾
الحية ﴿ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما
يشاء﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك .

﴿ويقولون آمنا بالله...﴾ إلى قوله: ﴿معرضون﴾ يعني: المنافقين
يظهرون الإيمان، ويسرون الشرك ﴿وإن يكن لهم الحق...﴾ الآية، تفسير
الحسن قال: كان الرجل يكون له على الرجل الحق على عهد النبي؛ فإذا قال
له: انطلق معي إلى النبي، فإن عرف أن الحق له ذهب معه، وإن عرف أنه
يطلب باطلاً أبى أن يأتي النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وإذا دعوا إلى الله...﴾
إلى قوله: ﴿مذعنين﴾ أي: سراعاً ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ وهو الشرك ﴿أم
ارتابوا﴾ شكوا في الله وفي رسوله؛ قاله على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك
﴿أم يخافون أن يحيف الله﴾ أي: يجرور الله ﴿عليهم ورسوله﴾ أي: قد خافوا
ذلك ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿وبتقته﴾ فيما
بقي ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أي: الناجون .

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: المنافقين ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾

(١) الحج: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، والحديد: ٦ .

إلى الجهاد، قال الله: ﴿قُلْ لَا تَقْسَمُوا﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: طاعة معروفة خير مما تسرون من النفاق، وهذا من الإضمار.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٩) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْزَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزَاتُ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ إِلَّا النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يعني: المنافقين، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعني: فإن أعرضتم عنهما ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعني: الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من البلاغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (١) تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أي: سينصرهم بالإسلام؛ حتى يظهرهم على الدين كله؛

فيكونوا الحكام على أهل الأديان^(١).

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن [سليم]^(٢) بن عامر الكلاعي قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر^(٣) ولا وبر^(٤)، إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل؛ إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم^(٥) فيدينون لها»^(٦).

(١) في «ر»: الأوثان.

(٢) تشبه أن تكون في الأصل «ر»: سليمان. والمثبت هو الصواب. سليم بن عامر الكلاعي هو أبو يحيى الحمصي، ترجمته في تهذيب الكمال (١١/٣٤٤-٣٤٦) والحديث حديثه وسيأتي من رواه من طريقه، والاختلاف عليه فيه، وسيأتي على الصواب في تفسير سورة الصف، الآية: ٩.

(٣) واحدها: مدرّة؛ وهي القرية المبنية بالطين واللين. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام. ينظر لسان العرب (مدر).

(٤) وأهل الوبر: هم أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر، وهو الصوف. لسان العرب (وبر).

(٥) في «ر»: يضلهم.

(٦) رواه الإمام أحمد (٤/٦) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥١) والطبراني في الكبير (٢٠٠/٢٥٤-٢٥٥ رقم ٦٠١) وفي مستند الشاميين (١/٣٢٤-٣٢٥ رقم ٥٧٢) وابن حبان في صحيحه (١٥/٩١-٩٢ رقم ٦٦٩٩) والحاكم في المستدرک (٤/٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨١-٩٨٢ رقم ١٠٨٤) والبيهقي في السنن (٩/١٨١) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/٢١٩ رقم ٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر عن المقداد به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وخالف صفوان بن عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ فرواه عن سليم بن عامر عن تميم الداري.

خرجه الإمام أحمد (٤/١٠٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥٠) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/٣٣١) والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٤٥٨-٤٥٩ رقم ٦١٥٥) والطبراني في مستند الشاميين (٢/٧٩ - ٨٠ رقم ٩٥١) والحاكم (٤/٤٣٠-٤٣١) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨٢ رقم ١٠٨٥) والبيهقي (٩/١٨١).

من حديث يحيى بن محمد.

﴿وليدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت] ^(١) يعني: فسق الشرك (لـ ٢٣٦) ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ أي: لا تحسبنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فيحاسبهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَرْزِقُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يُلَافُوا لَهُمْ مِنْكُمْ تِلْكَ

= وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وتابع معاوية بن صالح صفوان عليه.

خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨/٢) رقم (١٢٨٠).

وله شاهد يرويه أبو فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني. خرجه الحاكم (٤٨٩-٤٨٨/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٠/٢، ٣٠/٦-١٢٣-١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث رواه مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد بن سنان.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة تفرد به أبو فروة.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣٧/٤٠) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن أبي فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة الخشني.

قال البخاري في تاريخه الكبير (٤٣٦/٦) عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة، روى عنه عروة بن رويم الشامي، في صحة خبره نظر. اهـ

وقال ابن عساكر: روى إبراهيم بن سعيد الجوهري هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأموي عن أبي فروة عن عقبة بن يريم الدمشقي. اهـ

قلت: رواه الحاكم (١٥٥/٣) من طريق البغوي عن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، ثنا عقبة بن رويم، قال سمعت أبا ثعلبة الخشني به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي فقال: قلت: يزيد ابن سنان هو الرهاوي، ضعفه وقال أحمد وغيره، وعقبة نكرة، لا يعرف. اهـ

وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة، وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير.

(١) طمس في حاشية الأصل، والمثبت من «ر».

مَرَّتْ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ هم المملوكون من الرجال [والنساء] ^(١) الذين يخدمون الرجل في بيته ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني: الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً ﴿ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهو نصف النهار عند القائلة ^(٢) ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين يحسنون الوصف أن يدخلوا إلا بإذن، إلا ألا يكون للرجل إلى أهله حاجة، ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله الحاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد؛ فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ من بعد هذه الثلاث ساعات، أن تدخلوا بغير إذن ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي: يطوف بعضكم على بعض؛ أي: يدخلون بغير إذن.

قال محمد: (طوافون) مرفوع بمعنى: هم طوافون عليكم بعضكم على بعض؛ أي: يطوف بعضكم على بعض ^(٣).

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١) في الأصل: والإماء. والمثبت من «ر».

(٢) القائلة: الظهيرة، والقيلولة: النوم الظهيرة، ويقال: قيلولة، ومَقِيل. لسان العرب (قيل).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٤٥٣/٢)، مجمع البيان (١٩٩/٢)، البحر (٤٧٢/٦).

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: من احتلم ﴿كذلك﴾ أي: هكذا ﴿يبيِّن الله لكم آياته والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي: قد كبرن عن ذلك ولا يردنه ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ يعني: غير متزينة ولا متشوفة^(١).

قال قتادة: رخص للتي لا تحيض، ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها، وأما التي قد قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحد فلا ﴿وأن يستعففن﴾ يعني: اللاتي لا يرجون نكاحاً عن ترك الجلباب ﴿خير لهن﴾.

قال محمد: القواعد واحدها: قاعد بلا هاء؛ ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكبير^(٢)، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل جيل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها^(٣).

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

(١) أي: متزينة، ومُتَطَلِّعة. لسان العرب (شوف).

(٢) أي: القعود عن الولد والحيض. أما القعود الذي هو من القيام؛ فالمفرد: قاعدة، والجمع: قاعدات. لسان العرب (قعد).

(٣) ينظر لسان العرب (حمل).

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۖ وَلَا تَسْلُبُوا أَنْفُسَكُمْ أَنْ تَكُونُوا تَارِكِينَ ۚ
 أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾
 ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ تفسير قتادة قال: منعت البيوت زمانًا كان
 الرجل لا يتصيّف أحدًا ولا يأكل في بيت غيره تأثمًا من ذلك.

قال يحيى: بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا
 تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾^(١) قال قتادة: فكان أول من رخص الله له
 الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص الله للعامة المؤمنين ﴿ولا على أنفسكم
 أن تأكلوا من بيوتكم...﴾ إلى قوله: ﴿أو صديقكم﴾ فقوله: ﴿أو ما ملكتم
 مفاتيحه﴾ قال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت مواليتهم.
 وقوله: ﴿صديقكم﴾ قيل للحسن: الرجل يدخل على الرجل -يعني:
 صديقه- فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت؛
 فيأكل منه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك.

قال يحيى: لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن، فرأيت أن النبي ﷺ
 إنما قال: «أنت ومالك لأبيك»^(٢) من هذه الآية.

(١) النساء: ٢٩.

(٢) روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعمر
 ابن الخطاب وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.
 أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فرواه الإمام أحمد (١٧٩/٢، ٢٠٤، ٢١٤) وأبو داود
 (١٩١/٤ رقم ٣٥٢٤) وابن ماجه (٧٦٩/٢ رقم ٢٢٩٢) وابن الجارود في المتقى (٩٩٥)
 والطحاوي في شرح المعاني (١٥٨/٤) والبيهقي في السنن (٤٨٠/٧) من طريق عمرو بن =

قال محمدٌ: وقيل في قوله: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾: أنه أراد من أموال نسائكم ومن ضيعة^(١) منازلكم والله أعلم.

﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ تفسير قتادة: قال: كان بنو كنانة يرى أحدهم أن محرماً عليه أن يأكل [وحده]^(٢) في [الجاهلية]^(٣) حتى إن كان الرجل ليسوق [الذود الحفل]^(٤) وهو جائع حتى يجد من (ل) (٢٣٧) يؤاكله ويشاربه، وكان الرجل يتخذ الخيال إلى جنبه إذا لم يجد من يؤاكل ويشارب، فأنزل الله هذه الآية.

﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ أي: يسلم بعضكم على بعض، وإذا دخل الرجل بيته سلم عليهم، وإذا دخل بيتاً لا أحد فيه فليقل: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قال قتادة: حُذِّثْنَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ سَلَّمَ وَإِنْ مَرَّ بِهِمْ أَوْ لَقِيَهُمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ رَجُلًا وَاحِدًا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي؛ وَافْتَحْ لِي بَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِنْ كَانَ مَسْجِدًا كَثِيرَ الْأَهْلِ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا أَسْمَعُهُمُ التَّسْلِيمَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ

= شعيب عن أبيه عن جده.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فرواه ابن حبان في صحيحه (١٤٢/٢ رقم ٤١٠) قال ابن الملقن في البدر المنير (٥/٢٨٢-ب) هذا الحديث مروي من طرق أصحها طريق عائشة. قلت: باقي أحاديث الباب الكلام عليها مستفيض، انظر البدر المنير (٥/٢٨٢-٢٨٤) ونصب الراية (٣/٣٣٧-٣٣٩) وغيرهما.

(١) وفي مختار الصحاح (ضيع): قال الأزهرى: الضيعة عند الحاضرة: النخل والكرم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة.

(٢) ما بين الأقواس مطموس في الأصل، وأثبتته من (٥).

قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربنا.

يحيى: عن الخليل بن مرة، أن ابن مسعود قال: «إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض؛ فأفشوه بينكم، فإن المرء المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه (كانت له عليهم فضيلة درجة؛ فإنه ذكرهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه)^(١) من هو خير منهم وأطيب: الملائكة»^(٢).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِيُخْبِرَ

(١) سقط من «ه».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٤ رقم ١٠٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٨/٨ رقم ٥٧٩٦) وابن عبد البر في التمهيد (٢٩٢-٢٩٣/٥) والخطيب في الموضح (٤٠٩-٤١٠) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٧٩) من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

ورواه البزار (١٧٤-١٧٥/٥ رقم ١٧٧٠) والطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩٢) وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٧٤) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٠) من طريق ورقاء بن عمر البشكري عن الأعمش به مرفوعاً. وضعفه البيهقي من هذا الوجه.

ورواه البزار (١٧٤-١٧٥/٥ رقم ١٧٧١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٢) من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن الأعمش به مرفوعاً. ورواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢-٤٣٣/٦ رقم ٨٧٨٣، ٨٧٨٤) من طريق أيوب بن جابر عن الأعمش به مرفوعاً. وضعفه البيهقي من هذا الوجه أيضاً.

وقال البزار: وهذا الحديث قد رواه غير واحد موقوفاً، وأسنده ورقاء وشريك وأيوب بن جابر.

وقال الدارقطني في العلل (٧٦/٥): والموقوف أصح.

وقال ابن حجر في الفتح (١١/١٥): أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً، وطريق الموقوف أقوى.

شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾
 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ ﴿يَسْتَأْذِنُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَي: مخلصين غير منافقين ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ وذكر قتادة: أنها نسخت الآية في براءة ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمَ أَذْنْتُ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ ^(١) وهي عنده في الجهاد؛ فرخص الله للمؤمنين أن يستأذنوا إذا كان لهم عذر .

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ إِلَهًا مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَنَوْمَ رِيحَتِكُمْ إِلَيْهِ فَيَنْتَقِظُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٩﴾

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ قال مجاهد: أمرهم أن يدعوه: يا رسول الله؛ في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾ يعني: المنافقين؛ يلوذ بعضهم ببعض استأذًا من النبي حتى يذهبوا.

قال محمد: اللواذ مصدر: لاوذت (فعل اثنين) ^(٢) ولو كان مصدرًا للذت لكان ليأذا ^(٣).

(١) التوبة: ٤٣، وينظر الناسخ والمنسوخ ص ٥٢ .

(٢) في «ر»: على اثنين.

(٣) يقال: لاذ يلوذ لؤذاً وليأذاً. ولاوذ: مُلاوذة، ولواذاً. لسان العرب (لوذ).

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ عن أمر الله، يعني: المنافقين ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بليّة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أن يستخرج الله ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهره شركاً؛ فيصيبهم بذلك القتل ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ يعني: المنافقين ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يرجع إليه المنافقون يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من النفاق والكفر ﴿والله بكل شيء عليم﴾.



تفسير سورة الفرقان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ عَنْهُ الْأَلْهَاءُ لَا يَلْبِثُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ سَبْرًا وَلَا تَفْعَا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا سُورًا (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٣) وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَى اكْتَبَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَنْهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) ﴿قوله: ﴿تبارك﴾ [هو من] (١) البركة.

قال محمد: ومعنى البركة عند أهل اللغة: الكثرة في كل ذي خير (٢).
﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن، وفرقانه: حلاله وحرامه.
قال محمد: وقيل: سمي فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، وهو معنى قول يحيى.

﴿على عبده﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ يعني: الإنس والجن ﴿نذيراً﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿واتخذوا

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (برك).

من دونه ﴿من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي: يصنعونها بأيديهم كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾^(١) ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضراً ولا نفعاً...﴾ الآية .

﴿إن هذا﴾ يعنون: القرآن ﴿إلا أفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ اختلقه؛ يعنون: محمداً ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال الكلبي: يعنون عبد ابن الحضرمي وعداساً غلام عتبة. قال: ﴿فقد جاءوا ظلماً﴾ أي: شركاً ﴿وزوراً﴾ كذباً.

(٢٣٨J) قال محمد: نصب (ظلماً وزوراً) على معنى: فقد جاءوا بظلم وبزور، فلما سقطت الباء عُذِيَ الفعل فنصب^(٢).

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: أحاديث الأولين ﴿اكتسبها﴾ محمد من عبد ابن الحضرمي وعداس ﴿فهي تملأ عليه بكرة وأصيلاً﴾.

قال محمد: (أساطير) خبر ابتداء محذوف؛ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين^(٣)، وواحد الأساطير: أسطورة^(٤).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَعِلُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ﴾ (٧) ﴿أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَافٌ أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٨) ﴿أَنْتَظِرُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ (٩) ﴿بَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾ (١٥) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَذْابُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٦)

(١) الصافات: ٩٥ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٢٤٢/٥)، البحر المحيط (٤٨١/٦)

(٣) ينظر: البحر (٤٨٢/٦)، مجمع البيان (١٦١/٤).

(٤) الأساطير: الأباطيل. الواحدة: أسطورة، وإسطارة. لسان العرب (سطر).

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ فيما يدعي ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاً ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ يصدقه بمقالته ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ فإنه فقير ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾.

قال محمد: تأويل هذا الاستفهام ^(١) ونُصِبَ (فيكون) على الجواب بالفاء ^(٢)، ولا يجوز النصب في ﴿تكون له﴾ لأنه عطف على الاستفهام ^(٣)؛ المعنى: لولا أنزل إليه ملك أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني: قولهم: إن هذا إلا إفك افتراه، وقولهم: ﴿أساطير الأولين﴾ وقولهم: ﴿مال هذا الرسول...﴾ إلى قوله: ﴿مسحوراً﴾.

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ يعني: مخرجاً من الأمثال التي ضربوا لك؛ في تفسير مجاهد.

﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وإنما قالوا: هي جنة واحدة ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ مشيدة في الدنيا، وهذا على مقراً من لم يرفعها، ومن قرأها بالرفع؛ فالمعنى: وسيجعل لك قصوراً في الآخرة ^(٤).

(١) أي: أن تأويل هذه الآية يكون على الاستفهام.

(٢) أي: نصب بعد فاء السببية.

(٣) أي: أنه مرفوع؛ لأنه ليس معطوفاً على (فيكون) المنصوب. ينظر: إعراب القرآن (٢/٤٥٨، البحر (٦/٤٨٣).

(٤) قرأ بالرفع ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وقرأ الباقون بالعزم. ينظر السبعة (٤٦٢)، التيسير (١٦٣)، النشر (٢/٣٣٣).

قال محمد: من قرأ بالجزء، فهو على جواب الجزاء؛ المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات، ويجعل لك قصورًا في الآخرة^(١).

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ؕ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْثُورًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ﴾ مسيرة خمسمائة سنة^(٢) ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ عليهم ﴿وزفيرًا﴾ صوتًا ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ مقررين ﴿تفسير قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقُولُ: «إِنْ جَهَنَّمَ لَتَضَيِّقَ عَلَى الْكَافِرِ؛ كَضِيقِ الرِّجِّ» عَلَى الرَّمْحِ. وَمَعْنَى (مَقْرَّنَيْنِ): يَقْرَنُ هُوَ وَشَيْطَانُهُ الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الضَّلَالَةِ فِي سُلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ، يَلْعَنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَيَتَبَرَّأُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ يَعْنِي: وَيَلَا وَهَلَاكًا.

قال محمد: (ثُبُورًا) نصب على المصدر؛ كأنهم قالوا: تُبْرِزْنَا ثُبُورًا^(٤).

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

قال محمد: (ثُبُورًا) للقليل والكثير على لفظ الواحد؛ لأنه مصدر^(٥).

(١) ينظر تفصيل ذلك نحوياً من إعراب القرآن (٢/٤٥٩)، البحر (٦/٤٨٤)، مجمع البيان (٤/١٥٩-١٦٠).

(٢) في «ر»: مائة سنة.

(٣) الرِّج: الحديدية التي في أسفل الرمح والجمع: رِجَجَة، وَرِجَاج. لسان العرب (زجاج).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/٢٤٦).

(٥) لسان العرب (ثبر).

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ قاله على الاستفهام؛ أي: أن جنة الخلد خير من ذلك.

﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْنُولًا﴾ سأل المؤمنون الله الجنة؛ فأعطاهم إياها. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (٨) فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (٩) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَسْتَخُونُ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (١٠)

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ على الاستفهام، وقد علم أنهم لم يضلّوهم. قال مجاهد: يقول لعيسى وعزير والملائكة ﴿أم هم ضلّوا السبيل قالوا سبحانك﴾ ينزهون الله عن ذلك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي: لم تكن نوابيهم على عبادتهم إيانا ﴿ولكن متّعتهم وآباءهم﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذاب ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى تركوا الذكر لما جاءهم في الدنيا ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ أي: هلكاً.

قال محمد: يقال: رجل بور، وقوم بور؛ لا يجمع ولا يثنى. هذا الاختيار فيه (١)، وأصل البائر: الفاسد؛ يقال: أرض باثرة؛ أي: متروكة من أن يزرع

(١) وقيل: (بور) جمع (بائر) مثل حائل وحول. وقيل: إنه لغة لا جمع لبائر، كما يقال: أنت بشر، وأنتم بشر. لسان العرب (بور).

فيها شيء، وبارت الأيم: إذا لم يُرْعَب فيها^(١).

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أنهم آلهة ﴿فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً﴾ لا تستطيع لهم آلهتهم صرفاً للعذاب ولا نصراً.

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ وهذا جواب للمشركين (٢٣٩) حين قالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ تفسير بعضهم: يعني: الأنبياء وقومهم ﴿أتصبرون﴾ يعني: الرسل على ما يقول لهم قومهم.

قال محمد: في هذا إضمار: أتصبرون اصبروا؛ كذلك قال ابن عباس.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يَنزِلُ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ﴿٢٥﴾ أَلَمَلِكٌ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يعني: لا يخشون البعث ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فيشهدوا أنك رسول الله ﴿أو نرى ربنا﴾ معانية؛ فيخبرنا أنك رسول الله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم...﴾ الآية .
﴿يوم يرون الملائكة﴾ وهذا عند الموت ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ للمشركين بالجنة ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ تفسير قتادة: حراماً محرماً على الكافرين البشرى يومئذ بالجنة.

(١) ينظر لسان العرب (بور).

قال محمد: (يوم يرون) منصوب على معنى: يقولون يوم يرون الملائكة^(١)، ثم أخبر فقال: ﴿لَا بَشَرَى...﴾ الآية، وإنما قيل للحرام: حجر^(٢)؛ لأنه حجر عليه بالتحريم، ثم يقال: حجرت حجراً، واسم ما حجرت عليه حجر.

﴿وقدمنا﴾ أي: عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ أي: حسن ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾ في الآخرة. تفسير مجاهد: هو الشعاع الذي يخرج من الكوة. قال محمد: واحد الهباء: هباءة، والهباء: المنبث ما سطع من سنابك الخيل، وهو من الهبوة والهبوة: الغبار^(٣).

﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ من مستقر المشركين ﴿وأحسن مقيلاً﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ هذا بعد البعث فتراها واهية متشققة كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾^(٤) ويكون الغمام ستره بين السماء والأرض ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ مع الرحمن ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يقول: تخضع الملائكة يومئذ لملك الله، والجبابرة لجبروت الله.

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٥) يَوَلَّيْتُ لِبَنِي إِدْرَءَ فُلَانًا خَلِيلاً^(٦) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً^(٧) وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكَ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا^(٨) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا^(٩) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٤٦٢-٤٦٣)، البحر (٦/٤٩٢).

(٢) الحجر - بكسر الحاء وضمها وفتحها - الحرام. والكسر أفتح. لسان العرب (حجر).

(٣) وقيل: الهباء: دقاق التراب، والهبة: الغبرة. لسان العرب (هبو).

(٤) النبأ: ١٩.

نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٢﴾
 ﴿ويوم يعرض الظالم﴾ يعني: أبي بن خلف ﴿على يديه﴾ أي: يأكلها
 ندامة.

قال مجاهد: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن
 أبي معيط عن ذلك، فهو قول أبي بن خلف في الآخرة.
 ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾ يعني: محمدًا ﴿سبيلًا﴾ إلى الله باتباعه
 ﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا﴾ يعني: عقبة بن أبي معيط ﴿لقد أضلني
 عن الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ قال الله: ﴿وكان الشيطان للإنسان
 خذولًا﴾ يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة ﴿وقال الرسول يا رب إن
 قومي﴾ يعني: من لم يؤمن به ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾ تفسير مجاهد:
 يقول: يهجرون بالقول فيه.

قال محمد: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهُجْر، والهُجْر: الهذيان
 وما لا ينتفع به من القول؛ يقال: فلان يهْجُر في منامه؛ أي: يهذي^(١).
 ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين﴾ يعني: المشركين يعزِّي نبيه
 ﴿وكفى بربك هاديًا﴾ إلى دينه ﴿ونصيرًا﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿وقال
 الذين كفروا لولا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي: كما نزل على
 موسى وعلى عيسى، قال الله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا﴾
 يعني: وبيئناه تبيينًا.

(١) والهجر بفتح الهاء وضمها: الهذيان. ويضم الهاء: الاسم من الإهمار، وهو الخنى
 والإفحاش في المنطق. لسان العرب، القاموس المحيط (هجر).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٩﴾

قال قتادة: نزل في ثلاث وعشرين سنة ﴿ولا يأتوك بمثل﴾ يعني: المشركين فيما كانوا يحاجونه به ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ تبيينًا ﴿أولئك شرٌّ مكانًا﴾ من أهل الجنة ﴿وأضل سبيلًا﴾ طريقًا في الدنيا؛ لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرًا﴾ أي: عونًا وعضدًا وشريكًا في الرسالة .

﴿فدمرناهم﴾ أي: فكذبوهم ﴿فدمرناهم تدميرًا﴾ أهلكتناهم إهلاكًا ﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿لما كذبوا الرسل﴾ يعني: نوحًا ﴿وعادًا وثمودًا﴾ (١) أي: وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وأصحاب الرِّسِّ﴾ قال مجاهد: الرِّسُّ بشر كان عليها ناسٌ (٢) .

قال يحيى: وبلغني أن الذي أرسل إليهم شعيب [وأنه] (٣) أرسل إلى أهل مدين، وإلى [أهل] (٣) الرِّس جميعًا .

(١) قرأ حفص وحزمة ويعقوب ﴿ثمودًا﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقر ﴿ثمودًا﴾ بالتنوين. النشر (٢) / ٢٨٩ - ٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٤١٧) .

(٢) والرس في اللغة: هو البثر المطوية بالحجارة. لسان العرب (رسم) .

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من (٢) .

﴿وقرونا بين ذلك كثيراً﴾ أي: وأهلكنا قروناً يعني: أمماً. قال قتادة: القرن: سبعون سنة^(١) ﴿وكلّا﴾ يعني: من ذكر ممن مضى (لـ ٢٤٠) ﴿ضربنا به الأمثال﴾ أي: خوفناهم العذاب ﴿وكلّا تبرنا﴾ أهلكنا ﴿تتبيراً﴾ إهلاكاً بتكذيبهم رسلهم .

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتِ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوا بِرَبِّكَ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (٤١) ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُوكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَيْسَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهَ رَسُولًا﴾ (٤٢) ﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٣) ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ أَفَأَنَّتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٤)

﴿ولقد أنزلنا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: قرية قوم لوط، ومطر السوء: الحجارة التي رُمي بها من السماء من كان خارجاً من المدينة، وأهل السفر منهم قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم؛ أي: بلى قد أنزل عليها ورأوها. ﴿بل كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿نشوراً﴾ بعثاً ولا حساباً.

﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ على عبادتها، قال الله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ إذ يرون العذاب في الآخرة ﴿من أضل سبيلاً﴾ أي: من كان أضل سبيلاً في الدنيا؛ أي: سيعلمون أنهم كانوا أضل سبيلاً من محمد ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

(١) وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: غير ذلك. مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

قال محمد: يقول: يتبع هواه ويدع الحق؛ فهو له كالإله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلًا﴾ حفيظًا تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به؛ أي: أنك لست برب، إنما أنت نذير.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٤٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا وَنُخْرِجَ مِنْهَا حُلُقَمًا وَأَنْزَلْنَا كَثِيرًا﴾ (٤٩)

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ فيما يعبدونه ﴿بل هم أضل سبيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقًا ﴿الم تر إلى ربك كيف مد الظل مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس﴾ ولو شاء لجعله ساكنًا ﴿أي: دائمًا لا يزول﴾ ثم جعلنا الشمس عليه ﴿أي: على الظل﴾ ﴿دليلًا﴾ أي: تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه [كله] (١) ﴿ثم قبضناه﴾ يعني: الظل ﴿إلينا قبضًا يسيرًا﴾ أي: يسيرًا علينا ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا﴾ يعني: سكنًا يسكن فيه الخلق ﴿والنوم سباتًا﴾ يسبب النائم حتى لا يعقل. قال محمد: أصل السَّبَتِ: الراحة (٢).

﴿وجعل النهار نشورًا﴾ ينشر فيه الخلق لمعايشهم وحوائجهم ﴿وهو الذي

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من (ر).

(٢) وكذلك السبات، ويجمع السبَت على سُبُوت، وأسبَت. لسان العرب (سبت).

أرسل الرياح نُشْرًا^(١) بين يدي رحمته ﴿ يعني: المطر.

قال محمد: (نُشْرًا) بالضم جمع: نُشور؛ مثل: رُسول ورُسُل^(٢).

﴿ وأنزلنا من السماء ماء ﴾ يعني: المطر ﴿ طهورًا ﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة ﴿ لنحيي به بلدة ميتًا ﴾ يعني: اليابس التي لا نبات فيها.

قال محمد: (ميتًا) ولفظ (البلدة) مؤنث؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد^(٣).

﴿ ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا ﴾

قال محمد: (أناسي) جمع إنسي؛ مثل: كرسي وكراسي^(٤).

﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآيَةً أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَغُفُورًا ٥٦ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي

كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ٥٧ ﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَنِّهْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ٥٨ ﴾ وَهُوَ الَّذِي

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ٥٩ ﴾ وَهُوَ

الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُمْ سَبَآً وَصِهْرًا ٦٠ ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ٦١ ﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ٦٢ ﴾ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ٦٣ ﴾

﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ أي: قسمناه؛ يعني: المطر؛ مرة لهذه البلدة، ومرة

لبلدة أخرى ﴿ ليذكروا ﴾ بهذا المطر؛ فيعلموا أن الذي أنزل من المطر الذي

(١) هكذا في الأصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، ويؤيد هذه القراءة (نُشْرًا) بضم النون والشين ما ورد بعدها من قول محمد. ويحتمل أن تكون القراءة (نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين؛ لأن رسول يجمع على رسل ورُسُل؛ بضم السين وإسكانها، وهذه قراءة ابن عامر. وكذلك القول في آية الأعراف: ٥٧.

(٢) ومفرد (نُشْر): نُشْر ونَاشِر؛ مثل شاهد وشهد وشهود. ينظر لسان العرب (نُشْر).

(٣) الدر المصون (٢٥٧/٥) وقد تقدم مثل هذا.

(٤) والإنسي نسبة إلى الإنس، وهو أيضًا واحد الإنس. لسان العرب (أنس).

يعيش به الخلق، وينبت به النبات في الأرض اليابسة - قادر على أن يحيي الموتى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ قال سفيان الثوري: يقولون: مُطِرْنَا بنوء كذا.

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ رسولاً ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ينهاونك عنه من طاعة الله ﴿وجاهدكم به﴾ بالقرآن، وهذا الجهاد باللسان من قبل أن يؤمر بقتالهم .

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي: أفاض أحدهما في الآخر ﴿هذا عذب فرات﴾ أي: حلوا ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي: مرٌّ ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي: حاجزاً لا يرى؛ لا يغلب المالح على العذب، ولا العذب على المالح. ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يغلب أحدهما على الآخر^(١).

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ خلق من النطفة إنساناً ﴿فجعل له نسباً وصهراً﴾ .

قال محمد: يعني: قرابة النسب وقرابة النكاح.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: عويئاً؛ يقول: يظهر الشيطان على ترك أمر ربه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا نَبِيّاً سَبِيلاً ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبيراً ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

(١) الحجر - بضم الحاء وفتحها وكسرهما - : الحرام، والكسر أفصح. لسان العرب (حجر).

عَلَى الْفَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ يقول: إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلاً بطاعته ﴿الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ أي: خبيراً [بالعباد] ^(١).

قال محمد: من قرأ (الرحمن) بالرفع ^(٢) فعلى الابتداء ^(٣) (والخبر) فاسأل به.

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾ أي: زادهم قولهم اسجدوا للرحمن ^(٤) (ل ٢٤١) نفوراً عن القرآن.

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ (أي: نجومًا؛ يعني: نفسه جل وعز) ^(٤) ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني: الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾ مضيئاً ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ تفسير الحسن: يقول: من عجز في الليل كان له في النهار مستعجب، ومن عجز في

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي بالجر. ينظر: البحر (٥٠٨/٦)، الكشف (٩٨/٣).

(٣) ينظر: البحر (٥٠٨/٦)، مجمع البيان (٢٠٧/٢)، الدر المصون (٢٦٠/٥).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

النهار كان له في الليل مستعتب.

قال محمد: قوله: ﴿خَلْفَهُ﴾ يعني: يخلف هذا هذا، ومثله قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشين خِلْفَهُ وَأَطْلَاؤُهَا يَنْتَهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَنْجَمٍ^(١)

الريم: ولد الطيبي، وجمعه: آرام^(٢)، يقول: إذا ذهب فوجٌ جاء فوجٌ.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(٦٦) وَالَّذِينَ

إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٦٧)

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ تفسير الحسن: مدح

الله المؤمنين وذم المشركين؛ فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على

الأرض هونًا﴾ أي: حلمًا، يعني: المؤمنين، وأنتم أيها المشركون لستم

بحُلماء، والهون في كلام العرب: اللين والسكينة^(٣).

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ تفسير مجاهد قالوا: سدادًا

﴿والذين يبيتون لربهم سجدةً وقيامًا﴾ يعني: يصلون، وأنتم أيها المشركون لا

تصلون.

قال يحيى: بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين، فهو من الذين يبيتون

لربهم سجدةً وقيامًا.

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان زهير (١٠٣).

(٢) وأيضًا آرام. لسان العرب (رام).

(٣) لسان العرب (هون).

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لزامًا.

قال محمد: الغرام في اللغة: أشد العذاب، ومنه قولهم: فلان مغرم بالنساء؛ أي: مهلك بهن^(١).

﴿إنها ساءت مستقرًا ومقامًا﴾ أي: بش المستقر هي والمنزل.

قال محمد: (مستقرًا ومقامًا) منصوبان على التمييز؛ المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام^(٢).

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ تفسير قتادة: الإسراف: النفقة في معصية الله، والإقتار: الإمساك عن حق الله.

﴿وكان بين ذلك قوامًا﴾ وهذه نفقة الرجل على أهله.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٧٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَعْيَانِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٨١﴾﴾

﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع الله إلها آخر﴾ قال الحسن: خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية؛ فأتوا رسول الله وذكروا الفواحش، وقالوا: قد قتلنا وفعلنا؛ فأنزل الله ﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ يعني:

(١) لسان العرب (غرم).

(٢) ينظر: الدر المصون (٢٦٣/٥)، البحر (٥١٤/٦).

بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون﴾ يعني: بعد إسلامهم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ قال قتادة: يعني: نكالاً ﴿يضاعف له العذاب﴾.

قال محمد: تأويل الأثام في اللغة: المجازاة على الشيء، يقال: قد لقي أثام ذلك؛ أي جزاء ذلك، ومن قرأ ﴿يضاعف له العذاب﴾ بالجزم فلان مضاعفة العذاب لقي الأثام. ومن قرأ: ﴿يضاعف﴾^(١) بالرفع فعلى معنى التفسير؛ كأن قائله قال: ما لقي الأثام، فقليل: يضاعف للأثم العذاب . . . ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ قال قتادة: ﴿إلا من تاب﴾ أي: رجع من ذنبه ﴿وآمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحاً﴾ فيما بينه وبين الله ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ فأما التبديل في الدنيا: فطاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه ﴿ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ أي: يقبل توبته إذا تاب قبل الموت .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۚ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۚ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ رَّبِّهِمْ وَسَلَامًا ۚ وَحَالِكِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۚ﴾

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الشرك ﴿وإذا مروا باللغو﴾ الباطل وهو ما فيه المشركون ﴿مروا كراماً﴾ أي: ليسوا من أهله ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يعني: القرآن ﴿لم يخرؤا عليها صمًّا وعمياناً﴾ أي: لم يصمؤا عنها،

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء، وقرأ الباقون بجزمها. النشر (٢/ ٣٣٤)، وإتحاف الفضلاء (٤١٨ - ٤١٩).

ولم يعمّوا عنها .

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي: يرونهم مطيعين لله ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ يؤتم بنا في الخير . ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ كقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾^(١) . ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلاماً﴾ التحية: السلام .

﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ ما يفعل بكم ﴿ربي لولا دعاؤكم﴾ لولا توحيدكم ﴿فقد كذبت﴾ يعني: المشركين ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي: أخذًا بالعذاب يعدهم يوم بدر؛ فالزمهم الله يوم بدر عقوبة كفرهم وتكذيبهم فعذبهم بالسيف .



(٢٤٢) تفسير سورة طسم الشعراء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسم﴾ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْبَيِّنِ ٢ لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسَكَ ٣ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ إِنْ
نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٥ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٦ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ أَوَلَمْ
يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٨ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩

قوله: ﴿طسم﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسيرها، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون فيها: أسماء السور وفواتحها ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؛ أي: فلا تفعل ﴿إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾ يعني: فصارت أعناقهم ﴿لها خاضعين﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية، فهذا جواب لقولهم.

قال محمد: (فظلت) معناه: فتظل أعناقهم؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل؛ تقول: إن تأتني أكرمك؛ معناه: أكرمك^(١).
﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ يعني: القرآن ﴿من الرحمن محدث إلا كانوا عنه

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٦-٢٧٧)، البحر (٧/٥-٦) مجمع البيان (٤/١٨٤).

معرضين ﴿يقول: كلما نزل من القرآن شيء جحدوا به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ في الآخرة ﴿أنباء﴾ أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ في الدنيا؛ يقول: فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يعني: من كل صنف حسن؛ فالواحد منه زوج ﴿إن في ذلك لآية﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج في الأرض قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ يعني: من مضى من الأمم ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الرحيم﴾ بخلقه، فأما المؤمن فتم عليه الرحمة في الآخرة، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا، فليس له إلا رحمة الدنيا؛ فهي زائلة عنه .

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ أَفْئَتَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْفُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ۖ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَقُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَادْهَبَا بِإِهْنَتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري﴾ ولا ينشرح بتبليغ الرسالة فشجعني؛ حتى أبلغها. ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي كانت فيه. يقرأ بالرفع: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني)، وبالنصب: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني)^(١) أي: إني أخاف أن يكذبون، وأخاف أن يضيق صدري

(١) قرأ العامة بالرفع، وقرأ بالنصب يعقوب والأعرج وطلحة وغيرهم. ينظر البحر (٧/٧)، النشر (٢/٣٣٥)، الإملاء (٢/٩٠).

ولا ينطلق لساني.

قال محمد: ومن قرأهما بالرفع فعلى الابتداء^(١).

﴿فأرسل إلى هارون﴾ [كقوله]^(٢) ﴿وأشركه في أمري﴾ ﴿ولهم عليّ ذنب﴾ أي: ولهم عندي؛ يعني: القبطي الذي قتله خطأ حيث وكزه، قال الله: ﴿كلا﴾ أي: ليسوا بالذين يصلون إلى قتلك؛ حتى تبلغ عني الرسالة؛ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿فأذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ يقوله لموسى وهارون، وهي كلمة من كلام العرب، يقول الرجل للرجل: من كان رسولك إلى فلان؟ فيقول: فلان، وفلان، وفلان.

قال محمد: الرسول قد يكون بمعنى الجميع؛ وإلى هذا ذهب يحيى، وقد يكون أيضًا بمعنى الرسالة^(٣)؛ ومنه قول الشاعر:

لقد كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا فَهَّتْ عَنْدهم بسوء ولا أرسلتهم برَسُولٍ^(٤)

أي: برسالة؛ فمن تأول: (إنا رسول) على معنى: رسالة، يقول: المعنى: إنا دَوَا رسالة رب العالمين.

﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فلا تمنعهم من الإيمان، ولا تأخذ منهم الجزية ﴿قال ألم نربك فينا وليدًا﴾ أي: عندنا صغيرًا.

(١) البحر (٧/٧-٨)، مجمع البيان (٤/١٨٦)، القرطبي (١٣/٩٢).

(٢) من «و»، والآية من سورة طه، رقم: ٣٢.

(٣) ينظر لسان العرب (رسل).

(٤) البيت من بحر الطويل، وهو لكثير عزة. ويروى... (ما بُنِيت)... إلخ. بدل (ما فهت). ويروى (بسر) بدل (بسوء). ينظر ديوانه (١١٠)، واللسان (رسل) وروى فيه (بليلى) بدل (بسر)، وفي الديوان (برسيل) مكان (برسول).

قال ابن عباس: لما دخل موسى على فرعون عرفه عدو الله، فقال: ألم نربك فينا وليداً ولبث فينا من عمرك سنين لم تدع هذه النبوة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: وقتلت النفس التي قتلت.

قال محمد: الأجود في القراءة والأكثر: (وفعلت فعلتك) بفتح الفاء^(١)؛ لأنه يريد: قتلت النفس قتلتك؛ على مذهب المرأة الواحدة^(٢).

﴿وأنت من الكافرين﴾ يعني: لنعمتنا، أي: إنا ربيناك صغيراً، وأحسناً إليك ﴿قال فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ (٢٤٣) تفسير قتادة: يعني: من الجاهلين، وكذلك هي في بعض القراءة^(٣) ﴿فوهب لي ربك حكماً﴾ يعني: النبوة ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ موسى يقوله لفرعون، أراد: ألا يسوغ عدو الله ما امتن به عليه؛ يقول: أتمنئ علي بأن اتخذت قومي عبيداً وكانوا أحراراً، وأخذت أموالهم فأنفقت علي منها وربيتني بها، فأنا أحق بأموال قومي منك.

قال محمد: قوله: ﴿عبدت﴾ يقال منه: عبدت معبداً ومُسْتَعْبِداً، وعبدت

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ الشعبي بكسر الفاء. ينظر: البحر (١٠/٧)، المحاسب (١٢٧/٢)، الجامع للقرطبي (٩٤/١٣).

(٢) أي: اسم المرأة. ينظر الدر المصون (٢٧٠/٥).

(٣) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. ينظر البحر (١١/٧) معاني القرآن للفراء (٢٧٩/٢)، جامع القرطبي (٩٥/١٣).

الغلام وأعبده؛ أي: اتخذته عبداً^(١). وقال حاتم^(٢):

إِذَا كَانَ بَغْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدٌ^(٣)

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَجُلٌ مِّنْ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْا حِشَّتَكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأَبَىٰ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُخْرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَعَاهُ وَاتَّبِعْ فِي الدَّلَالِينَ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُؤَلُّوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيَقْتَتِ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَمَلْنَا نَبْعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَىٰ

(١) لسان العرب (عبد).

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني أبو عدي شاعر جاهلي، فارسي جواد، يضرب به المثل في الجود، توفي حوالي (٤٦ق هـ) ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٥١/٢)

(٣) ينظر: ديوانه (ص ١٤)، والأغاني (١٧/٣٨٧).

السَّحَرَةُ سُلَاجِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ
يَقُلْ أَنْ مَادَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِنْ رَبَّنَا مُنْقِلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾ فيما يدعي ﴿لمجنون﴾.

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين...﴾ إلى قوله: ﴿ولأصلبكم أجمعين﴾ قد مضى تفسير قصتهم في سورة الأعراف^(١) ﴿قالوا لا ضير لنا﴾ رينا منقلبون.

قال محمد: ﴿لا ضَيْرٌ﴾ وهو من: ضاره يضوره ويضيره؛ بمعنى: ضره؛ أي: لا ضرر علينا فيما يتلانا في الدنيا^(٢).

﴿إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ بأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ من السحرة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ فَتُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ هَذِهِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَئِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا تَرَاكَ الْغَمَامَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّ لِمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

(١) الأعراف: ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) لسان العرب (ضور).

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أُخْرِجْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَرْزَلْنَا نَمُومَ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَمْحَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه ﴿إن هؤلاء لشرزمة قليلون﴾ أي: هم قليل في كثير.

قال محمد: معنى ﴿شرزمة﴾: طائفة، وأصل الكلمة: القلة^(١).

قال قتادة: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع موسى بهم البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل.

قال الحسن: سوى الحشم. وكان مقدمة فرعون ألف ألف حصان، ومائتي ألف حصان ﴿وإنهم لنا لغائظون وإننا لجميع خذرون﴾^(٢) ﴿وتقرأ: ﴿حاذرون﴾. قال محمد: والحاذر عند أهل اللغة: المستعِدُّ، والخذِرُ: المتيقظ^(٣).

﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز﴾ أي: أموال ﴿ومقام كريم﴾ منزل حسن ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ رجعوا إلى مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه؛ في تفسير الحسن ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ يعني: حين أشرقت الشمس؛ رجع إلى أول القصة.

(١) أي الجماعة القليلة، والجمع: شرادم. لسان العرب (شرذم).

(٢) وهي قراءة ابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وابن كثير. وقرأ الباقون (حاذرون).

ينظر: السبعة (٤٧١)، النشر (٢٣٥/٢)، التيسير (١٦٥).

(٣) ويقال أيضاً: رجل خذر وحاذرة؛ أي: متيقظ. لسان العرب (حذر).

قال محمد: معنى ﴿أتبعوهم﴾: لحقوهم^(١)، ويقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في الشروق؛ كما يقال: أمسينا وأصبحنا: دخلنا في المساء والصباح، ويقال: شَرَقَت الشمس إذا طلعت، وأشرقَت إذا أضاءت وصَفَّت^(٢).

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال﴾ موسى ﴿كلًا إن معي ربي سيهدين﴾ إلى الطريق ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ جاء جبريل على فرس، فأمره أن يضرب البحر بعصاه؛ فضربه ﴿فانفلق﴾ البحر ﴿فكان كل فريق كالطود العظيم﴾ والطُود: الجبل^(٣).

قال قتادة: صار اثني عشر طريقًا لكل سببط طريق، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطير ينظر بعضهم إلى بعض ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ قال قتادة: يقول: أذنبنا فرعون وجنوده إلى البحر. قال قتادة^(٤): يقال: أزلفني كذا؛ أي: أدناني منه^(٥) ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة لمن اعتبر وحذر أن ينزل به ما نزل بهم.

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ نَارًا إِتْرِهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنزِلُهَا عَنَكُم مِّن سَمْعِنَا ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ

(١) لسان العرب (تبع).

(٢) ينظر ذلك كله من لسان العرب (شرق).

(٣) أي: الجبل العظيم الذاهب صُعْدًا في الجو، ويشبه به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ، والجمع: أطواد، وطَوْدَة. لسان العرب (طود).

(٤) في «ر»: محمد.

(٥) ينظر لسان العرب (زلف).

الْأَقْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطَوِّعُنِي وَيُسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْسِنُ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿ فنظّل لها عاكفين ﴾ أي: نصير مقيمين على عبادتها.

﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ أي: أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿ فإنهم عدوٌ لي إلا رب العالمين ﴾ أي: إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأولين؛ فإنه ليس لي بعدو؛ هذا تفسير الحسن ﴿ الذي خلّقي فهو يهدين ﴾ يعني: الذي خلّقي وهداني ﴿ والذي أطمع ﴾ وهذا طمع يقين ﴿ أن يغفر لي خطيئتي ﴾ يعني: قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ ^(١) وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ^(٢) وقوله لسارة: إن سألوك فقولي أنك أختي ﴿ يوم الدين ﴾ يريد: يدين الله الناس فيه بأعمالهم (٢٤٤) أي: يجازيهم ﴿ رب هب لي حكماً ﴾ أي: ثبتي على النبوة ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ يعني أهل الجنة.

﴿ وَاجْعَلْ لِي إِسَاءَةَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ وَأَغْفِرْ لِإِيَّتِي إِنَّكَ كَانَ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿ وَأَنْزَلْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ وَبَرَزْتُ الْجَحِيمَ لِلْقَاوِينَ ﴾ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ ﴿ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ ﴾

(١) الصافات: ٨٩.

(٢) الأنبياء: ٦٣.

وَجُودٌ إِلَّا يَرْحَمُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾
إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّيَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا
صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ لَوْ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين﴾ فليس من أهل دينٍ إلا وهم يتولَّونه
ويحبُّونه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وهو اسمٌ من أسماء الجنة.

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال هذا في حياة أبيه، وكان في طمع
من أن يؤمن، فلما تبَيَّن له أنه من أهل النار لم يدعُ له ﴿إلا من أتى الله بقلب
سليم﴾ من الشرك.

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: أدنيت ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾
للمشركين.

﴿(وقيل لهم)^(١) أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ يعني: الشياطين الذين
دعوهم إلى عبادة من عبدوا من دون الله ﴿هل ينصرونكم﴾ يعني: هل
يمنعونكم من عذاب الله؟ ﴿أو يتصرون﴾ يمتنعون.

﴿فَكَبِكُوا فِيهَا﴾ أي: قذفوا فيها؛ يعني: المشركين ﴿هم والغاؤون﴾
يعني: الشياطين.

قال محمد: ﴿فَكَبِكُوا﴾ أصله: كَبَّيُوا؛ من قولك: كَبَّيْتُ الإِنَاءَ، فأبدل من
الباء الـوُسْطَى كافاً؛ استقْلاً لاجتماع ثلاث باءات^(٢).

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المنصون (٥/ ٢٨٠).

﴿قَالُوا﴾ قال المشركون للشياطين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ وخصومتهم تبرؤ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا﴾ في الدنيا. أي: لقد كنا في الدنيا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ بَيِّن.

﴿إِذْ نَسُوكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تتخذكم آلهة ﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ يعني: الشياطين ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ يشفعون لنا اليوم عند الله ﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ قريب القرابة، فيحمل عنا؛ كما كان يحمل الحميم عن حميمه في الدنيا؛ قالوا هذا حين شُفِعَ للمذنبين من المؤمنين؛ فأخرجوا منها ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَلَذَّاءُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَنَزَّاهُ عَنْهُ لَمَّا كُنَّا مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَدْ كَذَّبْتُكَ ﴿١١٧﴾ فَأَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَعَا وَبَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِنْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْهُودِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهم مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَئِنْ رَأَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نوح المرسلين﴾ يعني: نوحاً ﴿إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما جئتكم به من الهدى ﴿أَجْراً﴾.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأزدلون﴾ يعني: السفلة ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي: بما يعملون، إنما نقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علم.

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ قال قتادة: يعني: بالحجارة فلنقتلك بها ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاء؛ وهذا حين أُمِرَ بالدعاء عليهم، فاستجيب له فأهلكهم الله .

﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِيينَ ﴿١٢٥﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٦﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٢٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِيينَ ﴿١٢٩﴾ وَحَنَنْتُ وَيْئُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣١﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٣﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٦﴾﴾
أي: علمنا ﴿تعبثون﴾ أي: تلعبون.

قال محمد: الريع: الارتفاع من الأرض^(١).

قال الشماخ^(٢):

(١) وقيل: المرتفع من الأرض. والجمع: رُيُوع وأزاياع، ورياع. ينظر: لسان العرب (ريع).

(٢) هو الشماخ بن ضرار الذبياني من طبقة النابغة، كان من أرجز الناس على البديهة (ق ٢٢هـ).

تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٣/ ١٧٥).

سقى دار سُغْدَى حيث شطَّ بها النوى فأنعم منها كل ربيع وفدَّد^(١)
 قوله: ﴿وتتخذون مصانع﴾ يعني: القصور؛ ويقال: مصانع (للماء)^(٢)
 ﴿لعلكم تخلدون﴾ في الدنيا؛ أي: لا تخلدون فيها، وفي بعض القراءة
 (كانكم خالدون)^(٣).

﴿وإذا بطشتم﴾ بالمؤمنين ﴿بطشتم جبارين﴾ يعني: قتالين بغير حق .
 ﴿إن هذا إلا خُلِقَ الأولين﴾ يقول: خُلِقَهم الكذب، وتقرأ: إن هذا إلا
 (خُلِقَ الأولين)^(٤) أي: هكذا كان الخلق قبلنا ونحن مثلهم، عاشوا ما عاشوا،
 ثم ماتوا ولا بعث عليهم ولا حساب .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٤١ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ۖ أَلا تَتَّقُونَ﴾ ١٤٢ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ﴾ ١٤٣ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٤٤ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنِ اجْتَبَىٰ إِلَا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ١٤٥﴾ ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينٍ﴾ ١٤٦ ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٤٧ ﴿وَرِزْقٍ وَنَحْلٍ طَلَعُوا
 هُضِيمٌ﴾ ١٤٨ ﴿وَتَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَاقِدِهِمْ﴾ ١٤٩ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٥٠ ﴿وَلَا تُطِيعُوا
 أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٥١ ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ١٥٢ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
 ١٥٣﴾ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ۖ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ١٥٤ ﴿قَالَ هَلْ مِنْكُمْ شَيْءٌ
 يَتَّبِعُ وَلَكُنَّ بِيَوْمِ ذَرْبِهِ مَعْلُومٌ﴾ ١٥٥ ﴿وَلَا تَسْأَلُوهَا سِوَاهُ فَتَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٥٦

(١) لم أجده في ديوان الشماخ، والبيت من بحر الطويل .

(٢) في «ر»: مصانع لها .

(٣) هي ليست منسوبة إلى قارئ فيما وقفت عليه من مصادر، ينظر: البحر (٣٢/٧)، جامع
 القرطبي (١٢٤/١٣) .

(٤) بفتح الخاء وإسكان اللام من (خُلِقَ)، وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر:
 السبعة (٤٧٢)، التيسير (١٦٦)، النشر (٣٣٥/٢) .

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿أتركون فيما ها هنا آمنين﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تتركون فيه ﴿ونخل طلعا هضيم﴾ هسيم؛ أي: إذا مُسَّ تهشم للينه^(١)؛ هذا تفسير مجاهد ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ قال مجاهد: يعني: شرهين وهو من شَرِه الثَّغْس ﴿إنما أنت من المسخرين﴾ تفسير الحسن ومجاهد: يعني: من المسحورين.

قال محمد: كأنه فُعل ذلك به مرة بعد مرة، ولذلك شُدُّد^(٢).

﴿ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ قالوا له: إن كنت صادقا فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة، وكانت صخرة يحلبون عليها اللبن في ستهم؛ فدعا الله فتصدعت الصخرة (٢٤٥ل) فخرجت منها ناقة عُشراء فتتجت فصيلا.

قال محمد: (عُشراء) يعني: حاملا قريبة الولادة^(٣).

﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم﴾ كانت تشرب الماء يوما ويشربونه يوما؛ حتى إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم، وكان سبب عقربهم إياها: كانت تضر بمواشيهم كانت المواشي إذا رأتها هربت منها؛ فإذا كان الصَّيْف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه، وهبطت مواشيهم إلى بطن الوادي في جذبه

(١) لسان العرب (هضم).

(٢) يقال: سَخَّرَ فلانا: أي: سحره مرة بعد مرة حتى تخَلَّ عقله. لسان العرب (سحر).

(٣) وقيل: العُشراء: ما مضى على حملها عشرة أشهر. والجمع: عُشراء. لسان العرب (عشر).

وحزّه، وإذا كان الشتاء شتت الناقة في بطن الوادي في دفنه وخصبه، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جذبه وبزده؛ حتى أضرب ذلك بمواشيهم للأمر الذي أراد الله، فبينما قوم منهم يوماً يشربون الخمر، ففني الماء الذي يمزجون به، فبعثوا رجلاً؛ ليأتيهم بالماء، وكان يوم شرب الناقة فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء! ثم بعثوا آخر؛ فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؛ فقد أضربت بنا ومواشينا؟! فانبعث أشقاها فقتلها، وتصايحوا وقالوا: عليكم الفصل^(١). وصعد الفصيل الجبل فقال لهم صالح: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾^(٢).

قال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع^(٣) والأكسية وأطلوا^(٤)، وقال لهم: آية ذلك أن تصفر وجوهكم في اليوم الأول، وتحمر في الثاني، وتسود في اليوم الثالث. فلما كان في اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة، فقال: يا رب، أمي! يا رب، أمي! يا رب، أمي! فأرسل الله عليهم العذاب عند ذلك.

﴿كَذَّبَ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١١٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُ ^(١١٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(١١٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١١٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١٢٠) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ^(١٢١) وَقَدَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

(١) المراد: ولد الناقة. لسان العرب (فصل).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) واحدها: نطع - بفتح النون وكسرها، وبإسكان الطاء وفتحها وكسرها؛ لغات فيه - وهو بساط من الجلد، وهو أيضاً نوع من الأكسية ويجمع على: أنطاع ونطوع وأنطع. لسان العرب (نطع).

(٤) أي: ادهنوا. لسان العرب (طلى).

عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمَّا تَنَزَّ بِلُوطٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّجِيمُ ﴿١٧٥﴾

قوله: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: أقبال^(١) النساء ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي: مجاوزون لأمر الله ﴿قالوا لمن تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا؛ أي: نقتلك ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ يعني: المبغضين ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب الله .

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرَاسِيِّنَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْنَطُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿كذب أصحاب لكة المرسلين﴾ والأيكة: الغنضة^(٢).

قال محمد: قراءة أهل المدينة في هذه السورة، وفي سورة «ص»^(٣) بغير ألف، وقد ذكرت ما قاله أبو عبيد^(٤) في الفرق، بين لكة والأيكة في

(١) أي: فزوجهن، الواحد: قُبِل. لسان العرب (قبل).

(٢) وهي الشجر الكثير الملتف، والجمع: أَيْك. لسان العرب (أيك).

(٣) ص: ١٣ .

(٤) كذا في الأصل وفيما تقدم في تفسير سورة الحجر، وفي «ر» هنا: أبو عبيدة .

سورة الحجر (١).

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يعني: المتقصرين لحقوق الناس
 ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ يعني: العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾
 أي: لا تنقصوهم الذي لهم، وكانوا أصحاب نقصان في الميزان ﴿ولا تعثوا
 في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسيره (٢).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾ (١٨٤) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥) ﴿وَمَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ﴾ (١٨٦) ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧) ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨٨) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩١)

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ يعني: الخليقة ﴿فأسقط علينا
 كسفا من السماء﴾ أي: قطعاً ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ قال قتادة: كانوا
 أهل غيضة وشجر، وكان أكثر شجرهم الدوم (٣)، فسلط الله عليهم الحر سبعة
 أيام، فكان لا يكتهم (٤) ظل، ولا ينفعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة

(١) عند تفسير الآية ٧٨ وقد ذكر الآلوسي (١١٧/١٩) أن أبا عبيدة قال: وجدنا في بعض كتب
 التفسير أن (ليكة) اسم للقرية، و(الأيكة) البلاد كلها كمكة وبكة. وقد قرأ نافع وابن كثير
 وابن عامر: (ليكة)، وقرأ الباقون: (الأيكة). ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٣٣٦/٢) وقد
 سبق التعليق على هذه القراءة.

(٢) البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥.

(٣) وهو شجر عظام من الفصيلة النخيلية، ويعرف بالملّ والأبلم، وثمرته في غلظ التفاحة ذات
 قشر صلب أحمر. المعجم الوسيط (دوم).

(٤) لا يسترهم ولا يحفظهم. المعجم الوسيط (كتن).

فلجنوا تحتها يلتمسون الزّوج؛ فجعلها الله عليهم عذاباً، جعل تلك السحابة نازاً، فاضطربت عليهم، فأهلكهم بذلك.

﴿وَلَنُزِيلُ لِّلنَّبِيِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٨﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٩﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٠٠﴾ وَلَنُفِئَنَّ لَكَ زُبُرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠١﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهْمَ آيَةٍ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠٢﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٣﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٧﴾ فَيَقُولُوا هَذَا نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفَعَدَدْنَا لِمَن يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿وانه لتنزّل رب العالمين﴾ يعني: القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ يعني: جبريل ﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿وانه لفى زبر الأولين﴾ كتب الأولين؛ يقول: نعت محمد وأمه في كتبهم؛ يعني: التوراة والإنجيل ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ يعني: من آمن منهم؛ أي: قد كان لهم في إيمانهم به آية.

(يكن) تقرأ بالتاء والياء^(١). فمن قرأها بالتاء، قال: (آية) بالرفع؛ أي: قد كانت لهم آية، ومن جعلها عملاً في باب كان^(٢). قال محمد: من قرأ: (آية) بالنصب، جعلها عملاً لكان، والاسم (أن)

(١) قرأ بالتاء ورفع (آية): ابن عامر، وقرأ الباقون بالياء ونصب (آية)، وعليها التلاوة في المصحف. ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٣٣٦/٢)، التيسير (١٦٦)، البحر (٤١/٧).

(٢) ينظر التفصيل النحوي لذلك من إعراب القرآن (٥٠١/٢)، البحر (٤١/٧)، مجمع البيان (٢٠٣/٤).

يعلمه) (٢٤٦) ومن قرأ ﴿آيَةً﴾ بالرفع جعلها اسمًا لكان و (أن يعلمه) خبرها وعملها، وهذا الذي أراد يحيى.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول: لو أنزلناه بلسان أعجمي إذا لم يفقهوه.

قال محمد: الأعجمين جمع أعجم، والأثنى عجماء؛ يقال: رجل أعجم؛ إذا كانت في لسانه عجمة، وإن كان عربي اللسان^(١)، ورجل أعجمي إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان^(٢).

﴿كذلك سلكناه﴾ أي: سلكننا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ المشركين ﴿لا يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿حتى يَوزُوا العذاب الأليم﴾ يعني: قيام الساعة ﴿فيقولوا﴾ عند ذلك: ﴿هل نحن منظرون﴾ أي: مردودون إلى الدنيا فنؤمن ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي: قد استعجلوا به.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥٠﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٥١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٥٢﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا بُدْءٌ ثُمَّ نَذَرْنَا ﴿٢٥٣﴾ ذِكْرًا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٥٤﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢٥٥﴾ وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٥٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢٥٧﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٥٨﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٥٩﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَبْعَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦٠﴾ فَإِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٦١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِي يَرِنَاكَ مِنْ تَحْتِ الْقَوْمِ ﴿٢٦٣﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٦٤﴾ إِنَّهُ هُوَ

(١) في «ر»: عربي النسب.

(٢) ينظر لسان العرب (عجم)، وكشف المشكلات (٢/٩٩٨).

الَسَّيْعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٥﴾ ﴿

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني: العذاب
﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ أي: إلا من بعد الحجة والرسل
والإغذار ﴿ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة
والحجة.

قال محمد: ﴿ذَكَرَى﴾ قد تكون نَضْبًا وتكون رَفْعًا، فَالنَّضْبُ عَلَى الْمَضْدَرِ
عَلَى مَعْنَى: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾؛ أي: مذكرون ذِكْرًا، والرفع على معنى: إنذارنا
ذَكَرَى؛ أي: تَذَكُّرٌ^(١)؛ يُقَالُ: ذَكَرْتُهُ ذِكْرًا بِأَلْفِ التَّائِيثِ، وَذِكْرًا وَتَذَكِيرًا
وَتَذَكُّرًا^(٢).

﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ﴾ يعني: القرآن ﴿الشَّيَاطِينَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به؛
أي: لا يستطيعون ذلك.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ وكانوا من قبل أن يبعث النبي يستمعون
أخبارًا من [أخبار]^(٣) السماء، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن
يسمعه؛ فلما بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنْعَوْا مِنْ تِلْكَ الْمَقَاعِدِ الَّتِي كَانُوا يَسْتَمْعُونَ
فِيهَا، إِلَّا مَا يَسْتَرْقِ أَحَدُهُمْ فَيُرْمَى بِالشَّهَابِ ﴿وَأَنْذَرْتُكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ تفسير
الكلبي: «أن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصفا وقرئ في

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٤٤/٧ - ٤٥)، الدر المصون (٢٩١/٥).

(٢) إنما يقال: ذَكَرْتُهُ ذِكْرًا وَذِكْرًا وَتَذَكَّرَا. ويقال: ذَكَرْتُهُ تَذَكِيرًا وَتَذَكُّرًا. لسان العرب،
القاموس المحيط (ذكر).

(٣) من «ر».

المسجد، ثم نادى: يا صباحاه^(١)! ففزع الناس فخرجوا، فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟! فقال: يا آل غالب. قالوا: هذه غالبٌ عندك. ثم نادى يا آل لؤي. ثم نادى يا آل مُرَّة. ثم نادى يا آل كعب. ثم نادى يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين انظروا ماذا يريد، فقال له أبو لهب: هؤلاء عشيرتك قد حضروا فما تريد؟ فقال رسول الله: أرايتم لو أنذرتكم أن جيشاً يصبحونكم أضدقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله. فقال أبو لهب: تباً لك^(٢)! فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ قَرِيشٌ وَقَالُوا: مَجْنُونٌ يَهْذِي مِنْ أَمِّ رَأْسِهِ﴾^(٣).

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ كقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾^(٤).

قال محمد: من كلام العرب: اخفض جناحك؛ يعني: أَلن جناحك^(٥).
﴿فإن عصوك﴾ يعني: المشركين ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾.

(١) هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح؛ فكان القاتل: يا صباحاه يقول: قد غشنا العدو. وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال؛ فإذا عاد النهار عاودوه، فكانه يريد بقوله: يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح، فتأهبوا للقتال. ينظر لسان العرب (صبح)، النهاية في غريب الحديث (٧/٣).

(٢) أي: خُسْرَانًا وَهْلَاكًا. لسان العرب (تب).

(٣) روى البخاري (٨/٣٦٠ رقم ٤٧٧٠) ومسلم (١/٢٠٢ رقم ٢٠٨) عن ابن عباس نحوه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، انظر الدر المنثور (٥/١٠٤ - ١٠٦).

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) وتواضع لهم. لسان العرب (خفض).

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ في الصلاة وَخَذَكَ ﴿وتَقْلَبُكَ في الساجدين﴾
يعني: في صلاة الجماعة؛ في تفسير بعضهم .

﴿هَلْ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَآكُثْرَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾
﴿هل أتيناكم﴾ ألا أتيناكم ﴿على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفَّاكٍ
أثيم﴾ يعني: الكهنة ﴿يلقون السمع﴾ كانت الشياطين تصعد إلى السماء
تستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما تنزلت به الشياطين،
وتخلط به الكهنة كذبًا كثيرًا، فيحدثون به الناس، وأما ما كان من سمع
السماء، فيكون حقًا، و [أما]^(١) ما [كان]^(٢) خلطوا به من الكذب يكون كذبًا
﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يعني: جماعتهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ يعني:
الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل وادٍ﴾ أي: من أودية الكذب ﴿يهيمون﴾.
قال محمد: يعني: يذهبون.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال قتادة: (٢٤٧) يعني: يمدح قومًا
بباطل، ويذم قومًا بباطل، ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات﴾ .

قال قتادة: استثنى الله الشعراء من المؤمنين؛ منهم: حسان بن ثابت^(٢)،

(١) من «أما».

(٢) هو شاعر الرسول ﷺ، أسلم بعد الهجرة، وعمر بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي نحو سنة ٥٤ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥١٢/٢) طبقات فحول الشعراء (٣١٥).

وعبد الله بن رواحة^(١) وكعب بن مالك^(٢) «وانتصروا من بعد ما ظلموا» أي: انتصروا بالكلام؛ يعني: [هَجَّوْا]^(٣) عن نبي الله من بعد ما ظلمهم المشركون «وسيعلم الذين ظلموا» أشركوا من الشعراء وغيرهم «أي منقلب ينقلبون» من بين يدي الله يوم القيامة؛ أي: أنهم سينقلبون من بين يديه إلى النار.

قال محمد: «أي» بالنصب؛ لأنها من أسماء الاستفهام، لا يعمل فيها ما قبلها^(٤).



(١) هو أبو محمد عبد الله بن رواحة، الصحابي الفارس الشاعر أنصاري خزرجي، من المسلمين الأوائل. استشهد سنة ٨ هـ. ينظر الجرح والتعديل (٥٠/٥) حلية الأولياء (١١٨/١)، العبر للذهبي (٩/١) تهذيب التهذيب (٢١٢/٥).

(٢) وهو الأنصاري الخزرجي، أحد شعراء الرسول ﷺ ومن السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، ومن الثلاثة المخلفين في تبوك الذين تاب الله عليهم وشهد مع رسول الله أكثر الوقائع. ينظر: شذرات الذهب (٥٦/١)، العبر (٥٦/١)، تهذيب التهذيب (٤٤٠/٨).

(٣) في الأصل (هاجوا)، وهو تحريف عن الصواب.

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٥٠٦/٢)، البحر (٤٩/٧ - ٥٠)، مجمع البيان (٢٠٧/٤)، البيان (٢١٧/٢).

تفسير سورة النمل وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٌ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ بين ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ يهتدون به، ويبشرون بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ويؤتون الزكاة المفروضة﴾ وإنك لتلقى القرآن، أي: لتأخذه ﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه؛ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنست نارا منايكز منها يحبر أو آتاكم يشاب قيس لعلكم تصطلون ﴿٧﴾ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين ﴿٨﴾ يمشي إنهم أنا الله العزيز الحكيم ﴿٩﴾ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مديرا ولم يعقب يمشي لا يخف إني لا يخاف لدى المرسلون ﴿١٠﴾ إلا من ظلم فربك حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم ﴿١١﴾ وأدخلك في جنك يخرج بيضاء من غير سوء في تسع مآكن إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴿١٢﴾ فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴿١٣﴾﴾

﴿إذ قال موسى لأهله﴾.

قال محمد: قيل: المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله.

﴿إني آنست نارا﴾ أي: أبصرت ﴿سأتیکم منها بخبر﴾ الطريق وكان على غير طريق ﴿أو آتیکم بشهاب قیس لعکم تصطلون﴾ لكي تصطلوا.

قال محمد: كلُّ ذي نور فهو شهاب في اللغة^(١)، والقبس: النار تُقبس؛ تقول: قَبَسْتُ النار قَبْسًا، واسم ما قَبَسْتُ: قَبْسٌ^(٢).

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾ بأن بورك ﴿من في النار﴾ يعني: نفسه، ولم تكن نارا، وإنما كان ضوء نور رب العالمين وكان موسى يرى أنها نارٌ ﴿ومن حولها﴾ يعني: الملائكة، وهي في مصحف أبي بن كعب: «نودي أن بورك النار ومن حولها»^(٣).

﴿فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولَّى مدبراً﴾ من الفرق ﴿ولم يعقب﴾ يعني: ولم يرجع.

قال محمد: قال ها هنا ﴿كأنها جان﴾ والجان: الصغير من الحيات^(٤). وقال في موضع آخر: ﴿فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾^(٥) والثعبان: الكبير من الحيات. قيل: فالمعنى - والله أعلم - أن خَلَقَهَا خلق الثعبان العظيم

(١) ويجمع على: شُهَب، وشُهَبَان، وأشُهَب. لسان العرب (شهب).

(٢) أي: أن القَبَس هو المصدر، والقَبْس هو الاسم. لسان العرب (قبس).

(٣) وهي قراءة أبي، وابن عباس، ومجاهد. ينظر: جامع القرطبي (١٣/١٥٨)، الإعراب للنحاس (٢/٥٠٩)، الكشاف (٣/١٣٧).

(٤) وهذا النوع من الحيات أكحل العينين، يضرب إلى الصُفْرة، لا يؤذى والجمع: جِثَان، وجِثَوَان. المعجم الوسيط (جنن).

(٥) الأعراف: ١٠٧، و الشعراء: ٣٢.

واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجأ؛ وهذا من عظيم القدرة.

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ أي: عندي ﴿إلا من ظلم ثم بَدَل حسناً بعد سوء﴾ تفسير الحسن: لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة وفي الدنيا ﴿إلا من ظلم ثم بَدَل حسناً بعد سوء فإني غفورٌ رحيم﴾ أي: فإنه لا يخاف عندي. وكان موسى مَمَّن ظلم، ثم بَدَل حسناً بعد سوء، فغفر الله له؛ وهو قتل ذلك القبطي لم يتعمد قتله، ولكن تعمَّد وكزه.

قال محمد: قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ قيل: هو استثناء ليس من الأول^(١)؛ المعنى - والله أعلم -: لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم، ثم تاب.

﴿وأدخل يدك﴾ أي: في جيبك؛ أي: في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قال الحسن: أخرجها - والله - كأنها مصباح ﴿في تسع آيات﴾ يعني: يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال محمد: وقوله: ﴿في تسع﴾ أي: من تسع ﴿في﴾ بمعنى (من)^(٢). ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أي: بيّنة.

﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَّا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أنها من عند الله، قال قتادة: والجحْد لا يكون إلا من بعد المعرفة ﴿ظُلُمًا﴾ لأنفسهم ﴿وعُلُوًّا﴾. قال محمد: يعني: ترفعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى.

(١) ينظر: البحر المحيط (٥٧/٧)، الدر المصون (٢٩٨/٥).

(٢) ينظر تفصيل ذلك من إعراب القرآن (٥١١/٢)، مجمع البيان (٢١٢/٤)، البحر (٥٨/٧).

﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَخَيْرَ إِسْلَمَيْنَ جُودُهُ مِنَ الْإِنِّسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلَ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا النَّاسُ آتَمَلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطُونَ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَنَبَّسَهُ صَبَاحًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَادِيكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّ لِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴿

(٢٤٨ل) ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ على كثير من أهل زمانهما من المؤمنين ﴿وورث سليمان داود﴾ قال قتادة: يعني: ورث نبوته وملكه.

قال محمد: روي أنه كان لداود تسعة عشر ولداً، فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه.

﴿وأوتينا من كل شيء﴾ يعني: كل شيء أوتي منه ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يُذَفُّونَ أَلَا يَتَقَدَّمُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ، قَالَ قَتَادَةُ: عَلَى كُلِّ صَنْفٍ مِنْهُمْ وَرَعَةٌ^(١) تَرُدُّ أَوْلَاهُمْ عَلَىٰ أَخْرَاهُمْ ﴿حتى إذا أنزلا على وادي النمل﴾ قال قتادة: هو وادٍ بالشام.

(١) واحداً: وازع، وتجمع أيضاً على: وُزَاع. لسان العرب (وزع).

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾
 قَالَ اللَّهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ سُلَيْمَانُ يَقْتُلُهُمْ كَلَامُهُمْ.

قال محمد: لفظ النمل أُجْرِي ها هنا مُجْرَى لَفْظِ الْآدَمِيِّينَ حِينَ نَطَقَ؛ كما ينطق الْآدَمِيُّونَ.

﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سُلَيْمَانُ ﴿ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أَلْهِمْنِي.
 قال محمد: تأويل (أوزعني): كَفَّنِي عَنْ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ شُكْرِ نِعْمَتِكَ.
 ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٠) ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٢١) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ (٢٢)

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سُلَيْمَانَ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ مَفَازَةً فَدَعَا بِالْهَدْهَدِ لِيَعْلَمَ لَهُ مَسَافَةَ الْمَاءِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْبَصَرِ بِذَلِكَ مَا لَمْ يَغْطِهِ غَيْرُهُ مِنَ الطَّيْرِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ يَدُلُّهُ عَلَى الْمَاءِ إِذَا نَزَلَ النَّاسُ، فَيُخْبِرُهُ كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ مِنْ قَامَةٍ (١) ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ قال قتادة: وَعَذَابُهُ أَنْ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيَذَرُهُ فِي الْمَنْهَلِ (٢)؛ حَتَّى يَأْكُلَهُ الذُّرُّ (٣) وَالنَّمْلُ ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بِعَذْرِ بَيْنٍ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أَي: رَجَعَ مِنْ سَاعَتِهِ ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يَقُولُ: عَلِمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمْ ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ أَي: بِخَبَرٍ حَقٍّ. (وَسَبِيلًا) فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ

(١) وهي وحدة قياس طولها ست أقدام، تستخدم عادة في قياس أعماق البحر. والجمع: قامات. المعجم الوسيط (قوم).

(٢) هو المورد؛ أي: الموضع الذي فيه المشرب، وقيل: المفازة. لسان العرب (نهل).

(٣) هو صغار النمل. لسان العرب (ذُر).

وقتادة: أرض باليمن، وقال ابن عباس: «سُئِلَ رسول الله ﷺ عن سبأ، فقال: هو رجل»^(١).

قال محمد: ذكر أبو عبيد؛ أن الحسن كان يقرأ: ﴿من سبأ﴾ منصوبة غير مجرأة^(٢): قال: وتفسيرها: اسم مؤنث لامرأة أو قبيلة، والذي يُجْري يذهب إلى أنه اسم رجل^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٣٣٦/١) وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣) - وابن عدي في الكامل (٢٥١/٥) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبائي، عن أبي وعلة المصري، عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال ابن عدي: وهذا لا أعلمه يرويه غير ابن لهيعة بهذا الإسناد.

وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. ورواه الحاكم (٤٢٣/٢) من طريق عبد الله بن عياش القتباني، عن عبد الله بن هبيرة السبائي به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٠/١٢) رقم ١٢٩٩٢ من طريق ابن لهيعة، عن علقمة ابن وعلة، عن ابن عباس - وسقط من المطبوع: «عن ابن عباس» به. وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٧): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقي رجالهما ثقات.

ورواه أبو داود (٣٧٤/٤) رقم ٣٩٨٤ والترمذي (٣٣٦/٥) - ٣٣٧ رقم ٣٢٢٢ والبخاري في تاريخه (١٢٦/٧) والطبراني (١٨/٣٢٣ - ٣٢٦ رقم ٨٣٤ - ٨٣٦، ٨٣٨) والحاكم (٤٢٤/٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال ابن عبد البر في ترجمة فروة بن مسيك من الاستيعاب: حديثه في سبأ حديث حسن. وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٣): وهذا أيضاً إسناد حسن. وفي الباب عن عدة من الصحابة، منهم تميم الداري - وقيل: إنه تميم آخر - ويزيد بن حصين. انظر تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣ - ٥٤٨) والدر المنثور (٢٥١/٥)، والمجمع (٧/٩٤)، والإصابة (٤/٥).

(٢) غير مجرأة؛ أي: غير منونة؛ وهي قراءة أبي عمرو والبيزي، وروى قنبل بإسكان الهزمة، وقرأ الباقون بالجر والتونين. ينظر: السبعة (٤٨٠)، التيسير (١٦٧)، النشر (٣٣٧/٢)، البحر (٦٦/٧).

(٣) ينظر: البحر (٦٦/٧)، إعراب القرآن (٥١٦/٢ - ٥١٧)، البيان (٢٢١/٢).

قال محمدٌ ومن قال: هو اسمُ رجل، فالمعنى: أن القبيلة أو الأرض سميت باسم ذلك الرجل.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكُنْيَا هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي من كل شيء أوتيت منه ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي: سرير حسن. قال قتادة: كان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مستتراً بالديباج والحريز، وكانت عليه سبع مغاليق، وكانت دونه سبعة آيات مغلقة.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ قال الحسن: كانوا منجوساً ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿أي: فصدهم عن الطريق بتركهم السجود لله﴾ ﴿الذي يخرج الخبء﴾ يعني: الخبيثة^(١) ﴿في السموات والأرض﴾ أي: يعلم السر في السموات والأرض ﴿قال سنظُر أَصَدَقْتَ...﴾ إلى قوله: ﴿يرجعون﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن، كانت في بيت مملكة يقال لها: بلقيس ابنة

(١) هو في اللغة: المدخر والمخبوء، والمراد في الآية بالخبء الذي في الأرض: النبات، وبالخبء الذي في السماء: المطر. لسان العرب، المعجم الوسيط (خبأ).

شَرْخِيلَ، فهلك قومها فَمَلَكْتَ، وأنها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب، فلما غلقت الأبواب وَأَوْتِ إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل من كُوَّة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها؛ فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت: ﴿يا أيها المَلَأُ إِنِّي أُلقي إلي كتاب كريم...﴾ حسن؛ أي: حسن ما فيه، الآية.

﴿ألا تعلوا علي﴾ أي: لا تتخلفوا عني ﴿وأتوني مسلمين﴾ قال الكلبي: أي مُسْتَسْلِمِينَ؛ ليس يعني: الإسلام.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلقي إِلَيْكُمْ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)

﴿قالت يا أيها المَلَأُ...﴾ إلى قوله: ﴿ماذا تأمرين﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة (٢٤٩) وثلاثة عشر رجلاً أهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف.

قال محمد: القراءة في قوله: ﴿حتى تشهدون﴾ بكسر النون^(١)، وأصله: (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب، وحذفت الياء؛ لأنها آخر آية، والكسرة تدل عليها.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ يعقوب (تشهدوني) وصلًا ووقفًا. ينظر: الإتحاف (٣٦٦)، النشر (٢٤٠/٢).

اللَّهُ: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

﴿واني مرسله إليهم بهدية فناظره بم يرجع المرسلون﴾ تقول: إن قبل هديتنا فهو من الملوك، وليس من أهل النبوة؛ كما يتحل.

قال مجاهد: بعثت إليه بجوارٍ قد لبستهنَّ لبسة الغلمان، وبغلمان قد ألبستهم لبسة الجواري؛ فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها. قال محمد: قوله (بم) بحذف الألف؛ لأن حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) ليُفصل بين الخبر والاستفهام^(١).

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ فَرِحُونَ ﴿٣٦﴾ أَنْجِعْ إِلَيْنَا إِنَّا نَكْفُرُ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَبْنَائِيهَا الْمَلَكُ أَيْكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَآلِيكَ يَوْمَ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَنَأْتِيَنَّهُ بِشُكْرِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبِي عَنِّي كَبِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ارجع إليهم﴾ قال قتادة: يعني: الرسل ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة.

﴿قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها﴾ يعني: سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مُقرِّين بالطاعة؛ في تفسير الكلبي ﴿قال عفريت من الجن﴾ أي: مَارِد.

(١) ينظر: البحر (٧/٧٤)، القرطبي (١٣/١٩٧)، الطبري (٩٨/١٩) الدر المصون (٥/٣١٣).

قال محمد: يقال: عَفِرَ وعَفِرَتْ، وعَفِرِيَّةٌ وعَفَارِيَّةٌ؛ إذا كان شديدًا وثيقًا^(١).

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال قتادة: ومقامه: مَجْلِسُهُ الذي كان يقضي فيه، فأراد ما هو أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وكان رجلًا من بني إسرائيل؛ يقال له: آصَفُ، يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ وطرفه: أن يبعث رسولًا إلى منتهى طرفه، فلا يرجع إليه، حتى يؤتى به؛ فدعا الرجل باسم الله الأعظم ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان السرير ﴿مستقرًا عنده﴾ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر؟ أي: أشكر النعمة أم أكفرها؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾.

يحيى: عن المعلّى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به كان يُخَيِّسُ الاسمَ الأكبر، فدعا به وكان بينه وبينه مسيرة شهرين، وهي منه على فرسخ، فلما جاءه العرش كأن سليمان وجد في نفسه - مثل الحسد له - ثم فكر، فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مستخرًا لي؟! هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»^(٢).

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدَى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ

(١) وايضًا: العِفِرَ . لسان العرب (عفر).

(٢) لم أقف عليه، وأرى فيه نكارة، والله أعلم.

عَنْ سَافِيهَا قَالَ إِنَّهُمْ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال قتادة: وتنكيره: أن يزداد فيه، ويُقَصَّص منه ﴿ننظر أنهتدي﴾ أي: أنعرفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ أي: أم لا تعرفه ﴿فلما جاءت قيل أمكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ قال قتادة: شبهته به، وكانت قد تركته خلفها، فوجدته أمامها.

﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ سليمان يقوله؛ يعني: النبوة ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ صدها أن تهتدي للحق ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾. قال محمد: من قرأ ﴿إنها﴾ بكسر الألف^(١)، فهو على (الاستئناف)^(٢).

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ تفسير الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان، فقالوا: دَرْنَا فَلْتَبْنِ لَهَا صَرْحًا - أي: قصرًا - من قوارير فننظر كيف عقلها، وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أشياء كانت الجن تخفيها منه. قال يحيى: بلغني أن أحد أبويها كان جنياً، فلذلك تخوفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم فعمدوا إلى الماء ففجروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع^(٣)، ثم بَنَوْا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا^(٤) حوله صَرْحًا ممرَّدًا من قوارير، والممرَّد: الأملس، ثم أدخلوا [عرش سليمان

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عبة بفتح الهمزة (أنها) ينظر: البحر (٧/ ٧٩)، القرطبي (٢٠٨/ ١٣)، الإملاء (٢/ ٩٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٥)، البحر (٧/ ٧٩)، مجمع البيان (٤/ ٢٢٤)، الدر المصون (٥/ ٣١٦). وفي «ر»: الاستفهام.

(٣) في الأصل زيادة: فظنت أنه معذبها لتفرق.

(٤) زاد في «ر»: عليه.

وعرشها وكراسي عظماء الملوك، ثم دخل سليمان، ودخل معه عظماء جنوده^(١) ثم (ل ٢٥٠) قيل لها: ادخلي الصرح وفتح الباب؛ فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيثان والضفادع، فظنت أنه مُكْرَبُهَا لتغرق، ثم نظرت فإذا هي بسليمان على سريرته، والناس عنده على الكراسي؛ فظنت أنها بِمَخَاضَةٍ^(٢)، فكشفت عن ساقها وكان بها بَرَصٌ؛ فلما رآها سليمان كرهها، فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم من الناس، قالت لها الجن: لا تكشفني عن ساقك، ولا عن قدمك؛ فإنما هو صرْحٌ من قوارير. قال محمد: كلُّ بناءٍ مطولٍ: صرح^(٣)، والممزد يقال منه: مزدت الشيء إذا بلطته أو ملسته، ومن ذلك الأمر الذي لا شعر في وجهه^(٤).

﴿قالت رب إني ظلمت نفسي﴾ أي: نقصتها؛ يعني: ما كانت عليه من الكفر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئَكَيْنِ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٤٥)
 قَالَ يَنْفَوِي لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
 ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا بَكْ وَيَمَن مَعَكَ قَالَ طَاعُواكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَنُو إِسْمَاعِيلَ يُنَادُونَ فِي الْأَرْضِ لَا تَبْصِلْهُمْ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُمْ وَأَهْلَهُمْ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ مَكْرًا وَمَكْرًا

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وهي أيضًا المَخَاضُ: والمراد: الموضع القليل الماء الذي يغير فيه الناس النهر مُشَاةً وَرُكْبَانًا، والجمع: مخاوض. لسان العرب (صرح).

(٣) لسان العرب (خوض).

(٤) والجمع: مُزْد. لسان العرب (مرد).

مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ
وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِبَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْفُوتُونَ ﴿٥٣﴾

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال قتادة: يقول: إذا القوم بين مصدق
ومكذب؛ هذه كانت خصومتهم ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾
والسيئة: العذاب؛ لقولهم: ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾^(١)
والحسنة: الرحمة ﴿قالوا أطيرنا بك وبمن معك﴾ قال الحسن: كان قد أصابهم
جوع، فقالوا: بشؤمك، وبشؤم الذين معك أصابنا هذا ﴿قال طائرکم عند الله﴾
يعني: عملکم.

قال محمد: المعنى: ليس ذلك مني، وإنما هو من الله ﴿بل أنتم قوم
تفتنون﴾ قال الحسن: يعني: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به ﴿وكان
في المدينة تسعة رهط﴾ قال قتادة: كانوا من قوم صالح ﴿قالوا تقاسموا بالله﴾
أي: تحالفوا ﴿لنبيئته﴾ لنبيئ صالح وأهله؛ يعني: الذين على دينه ﴿ثم
لنقولن لوليه﴾ أي: لرهطه ﴿ما شهدنا مهلك﴾^(٢) أهله ومكروا مكرًا﴾ يعني:
الذي أرادوا بصالح ﴿ومكرونا مكرًا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه بينا هم معانين إلى
صالح ليفتكوأ به؛ إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم ﴿فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ بالصخرة ﴿وقومهم أجمعين﴾ بعد ذلك بالصيحة.

(١) الأعراف: ٧٧.

(٢) هكذا في الأصل بفتح اللام، وقد اختلف القراء فيها: فقرأ أبو بكر ﴿تهلك﴾ بفتح الميم
واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر:
النشر (٣١١/٢)، وإتحاف الفضلاء (٤٢٩).

قال محمد: من قرأ ﴿إنا﴾ بكسر الألف^(١)، فالمعنى: فانظر أي شيء كان عاقبة أمرهم، ثم فسر فقال: ﴿إنا دمّرناهم﴾^(٢).

﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ يقول: ليس فيها أحد، وكانوا بموضع يقال له: الحجر.

قال محمد: من قرأ ﴿خاوية﴾ بالنصب^(٣) فهو على الحال^(٤).

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٥٤ ﴿أَيُّكُمْ لَنَاؤُنَ الْإِجَالِ شَهْوَةٌ مِّنْ دُونِ الْإِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾ ٥٥ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأُجْبِنَتْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتُ قَدَرْنَاهَا مِنِ الْغَيْبِ﴾ ٥٧ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ٥٨ ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنها الفاحشة.

﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ إنهم أناس يتطهرون ﴿أي: يتنزّهون عن أعمال قوم لوط.

﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ يعني: الباقيين في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ قد مضى تفسيره^(٥).

(١) وهي قراءة ابن عامر، وأبي عمرو، وابن كثير، ونافع. ينظر: السبعة (٤٨٤)، النشر (٢/ ٣٣٨)، التيسير (١٦٨).

(٢) البحر (٨٦/٧)، إعراب القرآن (٥٢٧/٢ - ٥٢٨)، مجمع البيان (٢٢٦/٤).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى بن عمر، والجحدري بالرفع. ينظر: البحر (٨٦/٧)، الإملاء (٩٤/٢)، جامع القرطبي (٢١٨/١٣).

(٤) ينظر: الدر المصون (٣٢١/٥).

(٥) في تفسير سورة هود، الآيات: ٨١ - ٨٣، وسورة الحجر، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)

﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؕ الله خير مما يشركون﴾ (٥٩) الاستفهام ﴿أما تشركون﴾ (٦٠) أي: أن الله خير من أوثانهم التي يعبدون ﴿فأنبتنا به حبات ذات بهجة﴾ أي: حسنة. قال الحسن: والحدائق: النخل ﴿ما كان لكم أن تثبتوا شجرها﴾ أي: أن الله هو أنبتها ﴿إله مع الله﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس معه إله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ يقول: يعدلون الأوثان بالله، فيعبدونها.

﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ تفسير الكلبي: يعني: بحر فارس والروم، والحاجز: الخلق الذي بينهما فلا يبغي أحدهما على صاحبه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يعني: خلفاً من بعد خلف ﴿قليلاً ما

(١) قرأ البصريان وعاصم ﴿يشركون﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿تشركون﴾ بالخطاب. النشر (٢) / (٢٣٨) إتحاف الفضلاء (٤٣٠).

تذكرون» يقول: أقلهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن .

﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ يعني: في أهوال البر والبحر
﴿ومن يرسل الرياح نشرًا^(١) بين يدي رحمته﴾ يعني: المطر .

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاسِتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلَىٰ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا
عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَمَآبِئُنَا أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَمَآبِئُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾
﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني: البعث .

﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أمر الله النبي ﷺ أن يقول للمشركين: هاتوا
حُجَّتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن هذه الأوثان خلقت خلقًا أو صنعت شيئًا من
هذا، وهذا كله (٢٥١) تبع للكلام الأول ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: أن
الله يفعل هذا كله وهو خيرٌ من أوثانهم .

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ والغيب ها هنا:
القيامة؛ لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿وما يشعرون﴾ وما يشعر جميع الخلق ﴿أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ﴾ متى يبعثون ﴿بَلْ أَدْرَاكَ﴾ أي: تدارك ﴿علمهم في الآخرة﴾ (يقول:
علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم)^(٢)

(١) بالنون وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم الكلام عليها في سورة الأعراف.

(٢) سقط من «ر».

أي: إيمانهم ﴿بل هم في شك منها﴾ يعني: الآخرة ﴿بل هم منها عمون﴾ أي: عموا عنها لا يذكرون ما الحساب فيها وما العذاب .

﴿وقال الذين كفروا أنذا كنا تراباً وأبائنا﴾ على الاستفهام ﴿أنا لمخرجون﴾ لمبعوثون؛ أي: لا نبعث . وهذا استفهام منه على إنكار .

قال محمد: قراءة نافع (إذا كنا) بكسر الألف على الخبر، وفيها اختلاف بين القراء . ومن قرأ: (أنذا) اختلس الياء، ولم يخلص لفظها^(١) .

﴿لقد وعدنا هذا نحن وأبائنا من قبل﴾ هذا قول مشركي العرب، أي: قد وعدت آبائنا من قبل بالبعث كما وعدنا محمد، فلم نرها بُعثت؛ يعني: من كان من العرب على عهد موسى .

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المشركين كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يحذرهم أن ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بمن كان قبلهم من المشركين ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق عليك أمرك بما يمكرون بك وبدينك؛ فإن الله سينصرك عليهم ويدلهم لك .

قال محمد: أكثر القراءة: (في ضيق) بفتح الضاد^(٢) .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٧١ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ

(١) ينظر: السبعة (٤٨٥)، البحر (٩٤/٧) التيسير (١٦٩)، الجامع القرطبي (٢٢٨/١٣)، وروح المعاني للآلوسي (١٠٥/١٣) في تفسير الآية رقم (٥) من سورة الرعد .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ ﴿ضييق﴾ بكسر الضاد . ينظر: البحر (٩٤/٧)، السبعة (٤٨٥)، والنشر (٣٠٥/٢)، الإنحاف (٣٣٩)، التيسير (١٦٩) .

الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَئِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَئِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَئِنَّكُمْ لَفِي قُلُوبِكُمْ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨٢﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٣﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتُ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْيَنَ ﴿٨٤﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله إن كنت من الصادقين قال الله للنبي: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال قتادة: يعني: اقترب منكم.

قال محمد: (رَدِفَ لكم) اللام فيه زائدة عند أهل اللغة؛ المعنى: ردفكم؛ كما تقول: ركبكم، وجاء بعدكم^(١).

﴿بعض الذي تستعجلون﴾ قال الحسن: يعني: قيام الساعة الذي يهلك به آخر كفار هذه الأمة ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ بفضل الله يتقلب الكافر في الدنيا، ويأكل ويشرب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ يعني: المشركين من عداوة رسول الله ﴿وما يعلنون﴾ من الكفر.

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ بين: يعني: اللوح

(١) ينظر: البحر (٧/٩٥)، الدر المصون (٥/٣٢٦).

المحفوظ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الذين أدركوا النبي ﷺ ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يعني: ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿إِنْ رِبْكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ فیدخل المؤمنین الجنة، ویدخل الکافرین النار ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ يعني: الذین یلقون الله بکفرهم ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾ یقول: إِنَّ الْأَصْمَّ ^(١) لَا یسمع الدعاء إذا ولی مدبراً.

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله، فالکافر لا یسمع الهدى ولا یفهمه؛ كما لا یسمع الميت، ولا یسمع الأصم الدعاء إذا ولی مدبراً.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يعني: الذین یموتون على کفرهم ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يَوْمُنَ بَأْيَاتِنَا﴾ يعني: من أراد الله أن یؤمن؛ وهذا سمع القبول، فأما الکافر تسمع أذناه ولا یعقله ^(٢) قلبه.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا

يُوقِنُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وجب الغضب ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ وفي بعض القراءة: (تحدثهم) ^(٣) ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قال بعضهم: تقول: إن الناس كانوا بي لا یوقنون.

یحیی: عن سعید، عن قتادة؛ أن ابن عباس کان یقول: «هي دابة ذات

(١) في «ر»: الأصنام.

(٢) في «ر»: يسمع.

(٣) وهي قراءة يحيى بن سلام. ينظر: البحر (٩٧/٧)، تفسير الطبري (١١/٢٠).

زَغَبٌ^(١) وریش، ولها أربع قوائم، تخرج من بين أودية تهامة^(٢).
 سعيد (ل ٢٥٢) عن قتادة، عن العلاء بن (زياد)^(٣) أن عبد الله بن عمرو،
 قال: «لا تقوم الساعة؛ حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، فيعرفوا
 مؤمنهم من كافرهم. قالوا: كيف ذلك؟! قال: إن الدابة تخرج حين تخرج
 وهي دابة الأرض؛ فتسمح كل إنسان على مسجده^(٤)، فأما المؤمن فتكون
 نكتة بيضاء؛ فتفشو في وجهه حتى يبيض لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتة
 سوداء؛ فتفشو في وجهه حتى يسود لها وجهه؛ حتى إنهم ليتبايعون في
 أسواقهم يقول هذا: كيف تباع هذا يا مؤمن؟ ويقول هذا: كيف تباع هذا يا
 كافر؟ فما يرد بعضهم على بعض^(٥).

﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٢) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ
 قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا
 ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظْهَرُونَ ﴿٨٤﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِكُمْ فِيهِ وَلَنَنفَخَ مُبْصِرًا إِلَيْكَ فِي

- (١) هو صغار الريش والشعر، الواحدة: زَغَبَةٌ. لسان العرب (زغب).
- (٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١٢٥٧/٦ رقم ٧٠٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
- ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٨/٢) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (١٥/٢٠) - عن معمر عن قتادة به.
- (٣) في «ر»: زيد. والعلاء بن زياد هو أبو نصر العدوي البصري، ترجمته في التهذيب (٢٢/٤٩٧ - ٥٠٦).
- (٤) أي: على مكان سجوده.
- (٥) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١٢٥٤/٦ - ١٢٥٥ رقم ٦٩٧) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
- ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٨/٢) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (١٥/٢٠ - ١٦) - عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو مختصراً.

ذَلِكَ لِأَنْتَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يعني: كفار كل أمة ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: لهم وَزَعَةٌ تَزُدُّ أَوْلَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ ﴿حتى إذا جاءوا قال﴾ الله ﴿أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً﴾ أي: لم تحيطوا علماً بأن ما عبدتم من دوني خلقوا معي شيئاً، ولا رزقوا معي شيئاً، وإن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علم علمتموه، إنما ذلك كان منكم على الظن ﴿أمأذا كنتم تعملون﴾ يستفهمهم، وهو أعلم بذلك منهم؛ يحتج عليهم ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي: حقَّ الغضب ﴿بما ظلموا﴾ أشركوا.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ وَرَبَّى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنْهُمْ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وهذه النفخة الأولى.

يحيى: عن خالد، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عُمارة بن غَرَاب قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إلا من شاء الله﴾: الشهداء؛ يقولون: ما أحسن هذا الصوت»^(١).

﴿وكل أتوه داخرين﴾ أي: صاغرين؛ يعني: النفخة الآخرة.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين

(١) لم أفق عليه، وعُمارة بن غراب تابعي ليست له صحة، ترجمته في التهذيب (٢٥٨/٢١)، وأسد الغابة (١٤٢/٤)، والإصابة (٢٤/٨).

أربعون سنة؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيى الله بها كل ميت^(١).
 ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ ساكنة ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ تكون
 كالعهن المنفوش^(٢) وتكون كثيباً مهيلاً^(٣)، وتُسُّ بساً^(٤)؛ كما يُسُّ
 السويق^(٥). وتكون سرايباً^(٦)، ثم تكون هباءً منبثاً^(٧)؛ وذلك حين تذهب من
 أصولها، فلا يرى منها شيء؛ فتصير الأرض كلها مستوية ﴿صنع الله الذي
 أتقن كل شيء﴾.

قال محمد: القراءة (صُنِعَ الله) بالنصب^(٨)؛ على معنى: المصدر؛ كأنه
 قال: صَنَعَ الله ذلك صُنْعاً^(٩).

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٨٥ رقم ٧٢١) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

وعزه ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٧٧) لابن المبارك في الرقاق.
 وروى البخاري (٨/ ٤١٤ رقم ٤٨١٤) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ - ٢٢٧١ رقم ٢٩٥٥) عن أبي
 هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفتين أربعون - قالوا: يا أبا هريرة، أربعون
 يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت - ثم
 ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا
 عظماً واحداً، وهو عجب الذنب؛ ومنه يُركب الخلق يوم القيامة».

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ القراءة: ٥.

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ المزمّل: ١٤.

(٤) يريد قوله تعالى: ﴿وتُسُّ الجبال بساً﴾ الواقعة: ٥.

(٥) وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. والجمع:
 أسوقة. لسان العرب (سوق).

(٦) يريد قوله تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ النبأ: ٢٠.

(٧) يريد قوله تعالى: ﴿فكانت هباءً منبثاً﴾ الواقعة: ٦.

(٨) وهي قراءة العامة، وليس فيها إلا هذه القراءة. ينظر البحر (٧/ ١٠٠).

(٩) وهو قول سيويه والمبرد والنحاس وأبي علي. ينظر كشف المشكلات (٢/ ١٠١٧)، البحر

(٧/ ١٠٠)، إعراب القرآن (٢/ ٥٣٧)، مجمع البيان (٤/ ٢٣٧).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَايَتُونَ ۝٨٩ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا مَيَّتٌ لِنَفْسِي ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝٩٢ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ ب «لا إله إلا الله» مخلصاً ﴿فله خيرٌ منها﴾ فيها تقديم: فله منها خير؛ أي: حظ؛ يعني: الجنة ﴿ومن جاء بالسئنة﴾ يعني: الشرك ﴿فكُتِبَتْ وجوههم في النار﴾ أي: ألقوا فيها على وجوههم ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا؛ يقال لهم ذلك في الآخرة ﴿إنما أُمِرْتُ﴾ أي: قل: يا محمد: إنما أُمِرْتُ ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة ﴿الذي حرَّمها﴾.

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ في الآخرة على ما قال في الدنيا من وعده؛ في تفسير الحسن ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾.



تفسير سورة القصص وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿طسم تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب المبين﴾ ﴿نتلو عليك﴾ من نبأ موسى ﴿من خبر موسى﴾ وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴿يصدقون﴾ إن فرعون علًا في الأرض ﴿أي: بغي﴾ وجعل أهلها شيعًا ﴿أي: فرقة﴾ يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴿يعني: بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يدي فرعون، والطائفة التي كان يذبح: الأبناء، والطائفة التي كان يستحيي: النساء، وقد كان يفعل هذا فرعون.

﴿ونحن﴾ نريد أن نمُن على الذين استضعفوا في الأرض ﴿يعني: بني إسرائيل﴾ ونجعلهم أئمة ﴿قال قتادة: أي: ولاية (في الأرض)﴾ (١) (٢٥٣) ونجعلهم الوارثين ﴿أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه، ففعل الله ذلك بهم﴾ ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ﴿من بني إسرائيل﴾ ما كانوا

(١) في مرة: الأمر .

يحذرون ﴿ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن حازراً حزر^(١) له، فقال: إنه يُولَدُ في هذا العام غلامٌ يسلبك مُلكك، فتتبع أبناءهم يقتلهم حذراً ممّا قال له الحازر.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَنْ وَحَنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكْ لَا نَقُولُهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ قُودًا أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِئَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِيهِ فَصِيَّةُ بَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَوَدَدْنَاهُ لَئِكَ أُخْتُهُ كَيْ تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ أي: قذف في قلبها، وليس بوحي النبوة ﴿أن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾ الطلب ﴿فَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضيعة ﴿ولا تحزني﴾ أن يُقتل ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ قال قتادة: فجعلته في تابوت، ثم قذفه في البحر ﴿فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ قال يحيى: بلغني أن الغسلات على النيل التَّقَطْنَه ﴿ليكون لهم عدوا﴾ في دينهم ﴿وحزننا﴾ يحزنهم به.

قال محمد: قوله: ﴿ليكون لهم عدوا وحزننا﴾ أي: ليصير الأمر إلى ذلك؛

(١) أي: خفن. لسان العرب (حزر).

لا أنهم طلبوه وأخذوه لذلك، ومثله من الكلام قولهم للذي كسب مالاً؛ فأذاه ذلك إلى الهلاك: إنما كسب فلانٌ لِحَتْفِهِ، وهو لم يطلب المال لِحَتْفِهِ، ولكن صار الأمر إلى ذلك وهذه اللام يسميها بعض النحويين لام الصيرورة^(١).

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك﴾ تقوله لفرعون. قال قتادة: أَلْقِيَتْ عليه^(٢) رحمته حين أَبْصَرْتَهُ ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وهم لا يشعرون﴾ أن هلاكهم على يديه وفي زمانه ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ تفسير قتادة: أي: فارغاً من كل شيء، غير ذكر موسى لا تذكر غيره ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قال قتادة: لتبين أنه ابنها من شدة وجدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالإيمان.

قال محمد: الربط على القلب: إلهام الصبر وتشديده وتقويته^(٣).

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصيه﴾ أي: اتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جُنُبٍ﴾ أي: من بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته؛ جعلت تنظر إليه، وكأنها لا تريده ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ قال قتادة: جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها ﴿فقال هل أدلكم﴾ ألا أدلكم ﴿على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي: يضمونه فيرضعونه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ يعني: الذي قذف في قلبها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) وَدَخَلَ

(١) وتسمى هذه اللام العاقية. ينظر: إعراب القرآن (٥٤٣/٢)، البحر (١٠٥/٧)، مجمع البيان (٢٤٠/٤)، البيان (٢٢٩/٢).

(٢) في «رو»: عليها.

(٣) لسان العرب، المعجم الوسيط (ربط).

الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوِيٌّ تُمِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَبْتَلِيكَ كَمَا فَنَنْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴿ولما بلغ أشده﴾ تفسير مجاهد: بلغ عشرين سنة ﴿واستوى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكما وعلما﴾.

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ تفسير الحسن: يوم عيد لهم، وهم في لهوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ (قبطي)^(١) من قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ قال قتادة: أراد القبطي أن يُسَخَّرَ الإسرائيلي؛ ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون فأبى فقاتله، فوكزه موسى ولم يتعمد قتله، ولم يكن يحل قتل الكافر يومئذ. قال محمد: يقال: لكزه ووكزه (ولهزه)^(٢) بمعنى واحد: إذا دفعه^(٣).

(١) سقط من «ر».

(٢) ويقال: لكزه: ضربه بجُمُع كفه في صدره.

ولهزه: ضربه بجمع كفه في لهازمه ورقبه.

ووكزه: ضربه بجمع كفه في ذقنه.

ينظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط (لكز، لهز، وكز).

﴿قال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌ مضلٌ مبين﴾ بين العداوة
﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني ظلمت نفسي﴾ يعني: بقتل القبطي ﴿فلن أكون
ظهيرًا﴾ أي: عوينًا ﴿للمجرمين﴾.

قال قتادة: يقول: فلن أعين بعدها على فجرة ﴿فأصبح في المدينة خائفًا
يترقب﴾ من قتلته النفس، يترقب أن يؤخذ.

قال محمد: معنى (يترقب): ينتظر سوءًا يناله^(١).

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ أي: يستعينه ﴿قال له موسى﴾
للإسرائيلي ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي: بين الغواء [ثم أدركت موسى الرافة عليه]^(٢)
﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌ لهما﴾ (ل٢٥٤) بالقبطي خلى الإسرائيلي
عن القبطي ﴿وقال يا موسى﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا
بالأمس إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلا أن تكون جبارًا﴾ أي: قتالًا.

قال محمد: وقيل المعنى: فلما أن أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي
هو عدوٌ لهما، ولم يفعل موسى، وقال للمستصرخ: ﴿إنك لغوي مبين﴾ قال
له المستصرخ: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني...﴾ الآية، فالله أعلم.

وأصل الجبار في اللغة: المتعظم^(٣) الذي لا يتواضع لأمر الله - عز وجل -
[في الأرض]^(٤).

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتُومُونَ إِيَّكَ الْمَلَائِكَةُ يَأْتِيُونَكَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ

(١) لسان العرب (رغب).

(٢) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) وهو أيضًا المتكبر المشط. والجمع: جبابرة. لسان العرب (جبر).

(٤) سقط من الأصل. والمثبت من «ز».

إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٦﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ أي: يسرع ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتُمرون بك ليقتلوك﴾.

قال محمد: (يأتُمرون) هو يفتعلون من الأمر؛ المعنى: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك^(١).

قال قتادة: وذلك أن القبطي [الآخر]^(٢) لما سمع قول الإسرائيلي لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس - أفشى عليه، فاتمر الملأ من قوم فرعون ليقتلوه، فبلغ ذلك مؤمن آل فرعون وهو الذي جاء من أقصى المدينة، فأخبر موسى.

﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفًا يترقب﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الْإِثْلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولما توجه تلقاه مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني: الطريق إلى مدين، وكان خرج ولا يعرف الطريق إلى مدين.

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وفي بعض القراءة (تذودان الناس عن

(١) ينظر: الدر المصون (٥/٣٣٧).

(٢) في الأصل: الأخير.

شيانهما^(١) أي: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس ﴿قال﴾ لهما موسى ﴿ما خَطْبُكُما﴾ ما أَمْرُكُما ﴿قالتا لا نسقي حتى يُضْدِرَّ الرِّعاء﴾ أي: حتى يسقي الناس، ثم نَتَّبِعْ فَضَالَتَهُمْ؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ: (حتى يُضْدِرَّ) بضم الياء وكسر الدال^(٢)، فالمعنى: لا نُقْدِرُ أَنْ نَسْقِيَ حَتَّى يَرُدَّ الرِّعاءُ غَنَمَهُمْ وقد شرب^(٣)، والرِّعاء جمع: راع^(٤).

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ يعني: الطعام .

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٥٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَى اسْتِحْجَرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَبْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ^(٥٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِكَ بِأُحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(٥٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ^(٥٨)

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال الحسن: ويقولون: هو شُعَيْبٌ، وليس بشعيب، ولكنه كان سيد أهل الماء يومئذ. وقال ابن

(١) لم أجد هذه القراءة، وكل ما وجدته من قراءات لها هو قراءة «امراتين حابستين تذودان» بدون نسبة . ينظر جامع القرطبي (٢٦٨/١٣).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وأبا عمرو؛ فقد قرأ «يُضْدِرُّ» . ينظر السبعة (٤٩٢)، البحر (١١٣/٧)، التيسير (١٧١)، النشر (٣٤١/٢).

(٣) ينظر: البحر (١١٣/٧)، إعراب القرآن (٥٥٠/٢)، البيان (٢٣١/٢).

(٤) يقال فيه: رِعاء، ورِعاة ورِعيان. كل ذلك جمع (راع) ينظر لسان العرب (رعى).

عباس: اسْمُ خَتَنِ موسى: يَثْرَى ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينِ﴾ تفسير بعضهم في قوله: (القوي): أنه سألهما: هل ها هنا بئرٌ غير هذه؟ فقالتا: نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعُها إلا أربعون رجلاً، فرفعها موسى وحده. وتفسير الحسن: أن الأمانة التي رأت منه؛ أنها حين جاءته تدعوه. قال لها: كوني ورائي - وكره أن يستدبرها.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في الرفق بك ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت﴾ يعني: أي الأجلين قضيت، و(ما) زائدة^(١) ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل عليّ.

قال محمد: (عُدْوَان) منصوبٌ بـ (لا)^(٢) وأصل الكلمة من العداء؛ وهو الظلم^(٣)؛ كأنه قال: أي الأجلين قضيت فلا تعتد عليّ؛ بأن تلزمني أكثر منه. ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أي: شهيد.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِبْرَاهِيمَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباس: قضى أوفاهما وأبرهما: العشر.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٠٥)، البحر (٧/١١٥ - ١١٦)، إعراب القرآن (٢/٥٥١)، البيان (٢/٢٣١).

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) يقال: عَدَا عليه يَغْدُو غَدْوًا وَغَدُوًا وَغَدَاءً وَغَدَوَانًا وَغَدَوَانًا: ظلمه وتجاوز الحد. لسان العرب (عدو).

﴿وسار بأهله﴾ قال مجاهد: أقام بعد أن قضى الأجل عشر سنين ﴿أنس من جانب الطور نازاً﴾ قد مضى تفسيره ^(١) ﴿أو جذوة من النار﴾ يعني: أصل شرر ^(٢) ﴿لعلكم تصطلون﴾ وكان (شائناً) ^(٣) ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى﴾.

قال محمد: (أن) في موضع نصب؛ المعنى: نودي بأنه يا موسى، وكذلك ﴿وأن ألقى عصاك﴾ عطف عليها ^(٤).

﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمَّ يَعْقِبْ يَمْوُتُ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ مِ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ فَلَنَبِذَنَّهُ مِنْ رِجْلِكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا بَيْنَنَا أُنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كانها جان﴾ كانها حيّة ﴿ولّى مدبراً﴾ هارباً منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع؛ في تفسير مجاهد ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اسلك؛ أي: أدخلها في جيبك [أي: قميصك] ^(٥) ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

(١) مريم ٦٤، وطه: ٨٠.

(٢) في «ر»: أصل الشجرة.

(٣) في «ر»: شتاء.

(٤) ينظر الدر المصون (٣٤١/٥).

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمد: يقال: سَلَكْتُ (ل٢٥٥) يدي وأسَلَكْتُهَا^(١).

﴿واضمم إليك جناحك﴾ يعني: يدك ﴿من الرهب﴾ [أي: من الرعب]^(٢) يقول: اضممها إلى صدرك؛ فيذهب ما فيه من الرعب، وكان قد دخله فرع من آل فرعون ﴿فذاذك برهانان من ربك﴾ أي: بيانان؛ يعني: العصا واليد. ﴿فأرسله معي رذءاً﴾ أي: عوناً ﴿يصدقني﴾ أي: يكون معي في الرسالة ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

قال محمد: يقال: رَذَأْتُهُ على كذا؛ أي: أعتته^(٣)، ومن قرأ (يصدقني) بالجزم فهو على جواب المسألة^(٤): أرسله يُصَدِّقُنِي، ومن رفع (يصدقني) فالمعنى: رذءاً مُصَدِّقاً لي^(٥).

وذكر ابن مجاهد أن نافعا وحده قرأ (رذأ) منونةً بغير همز، وأن سائر القراء يقرءون: (ردءاً) بالهمز^(٦).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٧) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِيهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمِنَنَّ عَلَى الْغُلَيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى

(١) وسَلَكْتُهَا. بمعنى واحد. لسان العرب (سلك).

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٣) يقال: رَذَأْتُهُ أَزْدَوْهُ: أعتته وقوته. لسان العرب (ردأ).

(٤) أي: على جواب الأمر.

(٥) قرأ بالرفع عاصم وحزمة، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر: السبعة (٤٩٤)، التيسير (١٧١) النشر

(٢/٣٤١)، وينظر في التوجيه النحوي: إعراب القرآن (٢/٥٥٣)، البحر (٧/١١٨).

(٦) ينظر: السبعة (٤٩٤)، البحر (٧/١١٨)، التيسير (١٧١).

وإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: إني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة؛ يعني: الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ قال الحسن: تعمّد الكذب ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: فاطبخ لي أجراً^(١)؛ فكان أول من طبخ الآجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي: ابن لي قصرًا؛ فبنى له صرحاً عالياً، وقد علم فرعون أن موسى رسول الله، وهذا القول منه كذب.

﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَيُحْذِرُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾
 ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَحُثُوهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوَرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾
 ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لِنَفْسٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾
 ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ يوم القيامة ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿وجعلناهم آئمة يدعون إلى النار﴾ أي: يتبعهم من بعدهم من الكفار ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لنعنة﴾ يعني: الغرق الذي عذبهم به ﴿ويوم القيامة

(١) هو اللبن المحترق المعّد للبناء. وهو معرب. ويقال فيه: الآجر والآجر، والآجر والآجر (أجر). والمعجم الوسيط، القاموس المحيط (أجر).

هم من المقبوحين ﴿١٤﴾ يقول: أهل النار مشوهون سُودٌ زُرُقٌ ﴿١٥﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿١٦﴾ التوراة؛ وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام بصائر للناس .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ يعني: غربي الجبل ﴿إذ قضينا﴾ إلى موسى الأمر ﴿يعني: الرسالة﴾ ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: لم تشاهد ذلك ﴿ولكننا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر﴾ كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ أي: لم تكن يا محمد مقيمًا بمدين؛ فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قال بعضهم: نودي: يا أمة محمد، أجبتمكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا؛ في تفسير السدي ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا.

قال محمد: من قرأ (رحمةً) بالنصب^(١)، فالمعنى: فعلنا ذلك للرحمة؛ كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخير؛ أي: لابتغاء الخير^(٢).

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى وأبو حنيفة (رحمةً) بالرفع، ينظر: البحر (١٢٣/٧)، الكشف (١٨٢/٣).

(٢) أي: مفعول لأجله. ينظر الدر المصون (٣٤٦/٥).

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ لَيَقُولُنَّ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا يَمَّا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبُرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ يعني: العذاب ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بالذي هم عليه من الشرك ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا...﴾ الآية، يقول: ولو أنا عذبناهم لاحتجوا، فقالوا: ربنا لولا: هلا ﴿أرسلت إلينا رسولا فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ فقطع الله عذرهم بمحمد؛ فكذبوه. قال الله: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: القرآن ﴿قالوا لولا أوتي﴾ يعنون: النبي ﷺ ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي: هلا أنزل عليه القرآن جملة واحدة؛ كما أنزل التوراة على موسى جملة واحدة.

قال الله: ﴿أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حجة؛ في تفسير الحسن ﴿قالوا ساحران^(١) تظاهرا﴾ موسى ومحمد؛ في تفسير الحسن؛ وهذا قول مشركي العرب ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعني: بالتوراة والقرآن.

(١) قرأ الكوفيون ﴿يسخران﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها، وقرأ الباقر ﴿ساحران﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. النشر (٣٤١/٢ - ٣٤٢) وإتحاف الفضلاء (٤٣٦ - ٤٣٧).

قال الله: ﴿قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ليأتوا به، ولا يأتون به؛ ولكنها حجة عليهم ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (٢٥٦) يعني: المشركين الذين يؤثون على شركهم .

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١) الَّذِينَ آمَنَّا بِهِمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَنَّةَ (٥٥)﴾

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أخبرناهم بأننا أهلكتنا من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم فيؤمنوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به﴾ بالقرآن ﴿يؤمنون﴾ يعني: من كان مستمسكاً بأمر موسى وعيسى، ثم آمن بمحمد ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن به ﴿مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ على دينهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ تفسير السُّدي: يدفعون بالقول المعروف والعفو الأذى والأمر القبيح ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة الواجبة ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ يعني: الشتم والأذى من كفار قومهم ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: لم يردُّوا عليهم ﴿وقالوا﴾ للمشركين: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ

عليكم ﴿ كلمة حلمٍ عن المشركين، وتحية بين المؤمنين ﴾ ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي: لا نكون منهم.

قال محمد: وقيل: معنى ﴿سلام عليكم﴾ ها هنا؛ أي: بيننا وبينكم المسالمة، وكان هذا قبل أن (يؤمروا بقتالهم) ^(١).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئُوا إِلَيْهِ شَرًّا كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهُمْ فَنَلَاكَ مَسَكِنُهُمْ أَمْ تُسْكِنُ مِنْ بَدْرِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَيْنَتُنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في أبي طالب، حيث أراد النبي ﷺ على أن يقول: لا إله إلا الله؛ فأبى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: من قُدِّر له الهدى ﴿وقالوا إن تتبع الهدى معك﴾ يعني: التوحيد ﴿نتخطف من أرضنا﴾ لقلتنا في كثرة العرب، وإنما ينفي الحرب عتاً أننا على دينهم؛ فإن آمنّا بك واتبعناك خشينا أن يتخطفنا الناس؛ قال الله للنبي: ﴿أو لم نمكّن لهم حرمًا آمناً...﴾ الآية. يقول: قد كانوا في حرمي يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون، فيخافون إن آمنوا أن أسلط عليهم من يقتلهم ويسبيهم؟! ما كنت لأفعل ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿وكم أهلكنا من

(١) في «ر»: يؤمر بالقتال.

قرية بطرت معيشتها ﴿ هو كقوله: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾^(١).
قال محمد: قيل: إن معنى ﴿بطرت معيشتها﴾ أي: ^(٢) أشيرت في
معيشتها، ونصب (معيشتها) بإسقاط (في)^(٣).

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي: معذبهم؛ يعني: هذه الأمة ﴿حتى
يبعث في أمها﴾ يعني: مكة ﴿رسولاً﴾ والرسول: محمد ﴿إلا وأهلها
ظالمون﴾ مشركون ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله
للمشركين، ثم قال على الاستفهام:

﴿وَمَا أُوتِشِرَ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ
(٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ
الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)﴾

﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا﴾ يعني الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ كمن متعناه متاع
الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين^(٤) ﴿أي: أنهما لا يستويان.
يقال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام﴾ قال الذين حق عليهم
القول ﴿الغضب؛ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان: ﴿ربنا

(١) النحل: ١١٢.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٥٥ - ٦٥٦)، البيان (٢/ ٢٣٥)، البحر (٧/ ١٢٦)، مجمع البيان (٢٥٩/٤).

(٤) سقط من الأصل.

هؤلاء الذين أغويانا أغويناهم ﴿أضلّلناهم﴾ ﴿كما غوينا﴾ ضلّلنا ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي: بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوناهم بالوسوسة؛ كقول إبليس: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ (١).

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٤) وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَسَوْفَ أُنْزِلُ إِلَيْهِ الْوَحْيُ وَالَّذِي كَفَرَ بَعَثْنَا فِيهِ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ نَقُولُ لَهُ اعْبُدْ لِلَّهِ وَلِلَّهِ الْغَايَةُ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنَ الْمُنْتَضِينَ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِي كَفَرَ بَعَثْنَا فِيهِ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ نَقُولُ لَهُ اعْبُدْ لِلَّهِ وَلِلَّهِ الْغَايَةُ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنَ الْمُنْتَضِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِي كَفَرَ بَعَثْنَا فِيهِ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ نَقُولُ لَهُ اعْبُدْ لِلَّهِ وَلِلَّهِ الْغَايَةُ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنَ الْمُنْتَضِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةَ نَسَاجِدًا لِقَائِهِ أَفَلَا تُسْمِعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول ماذا أجبت المرسلين﴾ يستفهمهم؛ يحتج عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العباد عن أعمالهم إلا الله وحده ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الحجاج؛ في تفسير مجاهد ﴿يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبهم شيئاً؛ في تفسير الحسن.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من شِزْكَه ﴿وَأَمِنْ﴾ أي: أخلص الإيمان لله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في إيمانه ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ و(عسى) من الله واجبة ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ من خلقه للنبوة.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ يعني: أن يختاروا هم [الأنبياء (ل) ٢٥٧] فيتبعونهم^(١).

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ (ينزه نفسه)^(٢) ﴿وَتَعَالَى﴾ ارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ أي: دائمًا لا ينقطع، أمره يقوله للمشركين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ﴾ أفلا تسمعون^(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ﴾ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٨﴾ وَتَزَعَّنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٩﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ أي: دائمًا لا ينقطع، أمره أن يقوله للمشركين ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ﴾ تسكنون فيه ﴿أي: يسكن فيه الخلق﴾.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار؛ وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر؛ فأما المؤمن فتمم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي: أحضرنا رسولاً ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم التي كانوا يعبدونها.

﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَوْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يابلت لنا مثل ما أوفى قرونكم إنكم لذو حظٍ عظيم ﴿٧٩﴾﴾

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان ابن عمه؛ أخى أبيه ﴿فبغى عليهم﴾ كان عاملاً لفرعون؛ فتعدى عليهم وظلمهم ﴿وآتيناه من الكتوز﴾ أي: من الأموال؛ يعني: قارون ﴿ما إن مفاتحه﴾ يعني: مفاتيح خزائنه؛ في تفسير بعضهم ﴿لتنوء بالعصبة﴾ أي: لتثقل العصبة ﴿أولى القوة﴾ يعني: الشدة؛ وهم ها هنا أربعون رجلاً.

قال محمد: يقال: ثأث بالعصبة؛ أي: مالت بها، وثأثت الغصبة؛

أي: أمالتها^(١).

قوله: ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ يعني: البطرين؛ وهم المشركون الذين لا (يشكرون)^(٢) الله فيما أعطاهم.

قال محمد: من الفرح ما يكون معناه: الأشر والبطر. قال الشاعر:

ولست بمفرّج إذا الدهر سَرّني ولا جازع من صَرَفِهِ المتحوّل

يقول: لست بأشير ولا بطر؛ ليس هو من الفرح الذي معناه السرور.

﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من هذه النعم ﴿الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ يقول: اعمل في دنياك لآخرتك.

﴿وأحسن﴾ فيما افترض الله عليك ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته﴾ يعني: ما أعطي من الدنيا ﴿على علم عندي﴾ أي: بقوتي وعلمي.

قال محمد: قيل: إنه كان [أقرأ بني إسرائيل للتوراة]^(٣) ولذلك ادعى أن المال أعطيه لعلمه. قال الله: بل هي فتنة: بلية.

﴿أو لم يعلم﴾ يعني: قارون ﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ من الجنود والرجال؛ أي: بلى قد علم ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ المشركون لتعلم ذنوبهم من عندهم ﴿فخرج على قومه﴾ يعني: قارون ﴿في زينته﴾ تفسير الكلبي: أنه خرج وعليه ثياب حمراء على بغلة بيضاء، ومعه أربعمئة جارية عليهن ثياب حمراء على بغال بيض ﴿قال

(١) مأخوذ من الثأى؛ وهو البعد. ينظر لسان العرب (ثأى).

(٢) في «ر»: يشركون. وهو تحريف عن الصواب.

(٣) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير ابن كثير: أنه كان عالماً بالكيمياء. /٦/ (٢٦٤).

الذين يريدون الحياة الدنيا ﴿وهم المشركون﴾ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون... الآية.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ قُرْبُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْغَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ويلكم ثواب الله﴾ يعني: الجنة ﴿خير﴾ ﴿ولا يلقاها﴾ يعطاها؛ يعني: الجنة ﴿إلا الصابرون﴾ وهم المؤمنون.

﴿فخسفنا به﴾ بقارون ﴿وبداره﴾ يعني: مسكنه، فهو يخسف به كل يوم قامة إلى يوم القيامة؛ في تفسير قتادة ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله﴾ أي: أن الله ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾. ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: وإنه لا يفلح الكافرون.

قال محمد: قوله: ﴿ويكأن الله﴾ قال أبو عبيدة: سبيلها سبيل: (ألم تر) وقد رأيت بين النحويين وأصحاب اللغة في هذه اللفظة (ويكأنه) اختلافا كثيرا؛ فالله أعلم بما أراد^(١).

(١) قرأ الكسائي بالوقف على (وي)، وقرأ أبو عمرو بالوقف على (ويك)، وقرأ الأصمهاني، وورش بتسهيل الهمزة، ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٤٤)، التبيان (١٦٠/٨)، النشر (٢/١٥١).

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٧﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
 السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ
 قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لا يريدون علوا في الأرض﴾ يعني: شركا ﴿ولا فسادا﴾ قتل الأنبياء
 والمؤمنين ﴿من جاء بالحسنة﴾ لا إله إلا الله ﴿فله خير منها﴾ أي: فله منها
 خير.

﴿ومن جاء بالسئنة﴾ بالشرك ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا
 يعملون﴾ يقول: جزاؤهم النار خالدين فيها.

﴿إن الذي فرض﴾ يعني: أنزل ﴿عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾.

قال يحيى: بلغني «أن النبي ﷺ حين هاجر نزل عليه جبريل وهو بالجحفة
 موجه من مكة إلى المدينة، فقال: أشتقت يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها
 فقال: نعم. فقال: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى
 مولدك^(١) الذي خرجت منه، ظاهرا على أهله^(٢).

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ أي: محمد جاء بالهدى، فأمن به
 المؤمنون (٢٥٨/٢٥٨) ﴿ومن هو﴾ أي: أعلم بمن هو ﴿في ضلال مبين﴾.

(١) أي: مكان مولدك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٢٦/٩ رقم ١٧٢٠٥) عن الضحاك بنحوه، وعزاه السيوطي
 في الدر المنثور (١٥٢/٥) لابن مردويه عن علي بن الحسين بن واقد بنحوه أيضا.
 وروى البخاري (٣٦٩/٨ رقم ٤٧٧٣) عن ابن عباس «لرادك إلى معاد» قال: إلى مكة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْفُكْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وما كنت ترجو أن يلقي إليك﴾ يعني النبي ﷺ .

﴿أن يلقي إليك الكتاب﴾ يعني: أن ينزل عليك [وقوله: ﴿ترجو﴾] يقوله
للنبي ﷺ [١] ﴿إلا رحمة من ربك﴾ يقول: [ولكن] (٢) نزل عليك الكتاب
رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيرا﴾ عوينا ﴿للكافرين﴾ .
﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ يعني: إلا هو .

قال محمد: ﴿وجهه﴾ منصوب على الاستثناء، المعنى: إلا إياه (٣)؛ وهو
مذهب يحيى .

﴿له الحكم﴾ القضاء ﴿وإليه ترجعون﴾ .

(١) سقط من الأصل، والمثبت من (٢) .

(٢) طمس بالأصل، والمثبت من (٢) .

(٣) ينظر الدر المصون (٣٥٦/٥)، البحر المحيط (١٣٧/٧) .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية كلها إلا عشر آيات مدنية من أولها إلى قوله: ﴿وَلِيُغْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَاقٍ وَهُوَ السَّعِيبُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَعَيْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿الم﴾ قد مضى (القول فيه)^(١) في أول سورة البقرة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ يعني: يتلون بالجهاد في سبيل الله؛ هم قوم كانوا بمكة ممن أسلم كان قد وُضِعَ عنهم الجهاد والنبي ﷺ بالمدينة بعد ما افترض الجهاد، وقُبِلَ منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولا

(١) اختلف في عد ﴿الم﴾ آية، أو بعض آية، فمن عدّها آية، صارت هذه الآيات إحدى عشرة آية، والله أعلم.

(٢) في (ر): تفسيره.

يجاهدوا، ثم أُذِنَ لهم في القتال حين أخرجهم أهل مكة؛ فلما أمروا بالجهاد كرهوا القتال ﴿ولقد فتننا﴾ اختبرنا ﴿الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ بما أظهروا من الإيمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ يعني: الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر وهم المنافقون، وهذا علمُ الفعال.

قال محمدٌ: معنى علم الفعال: العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء، وقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يسبقونا﴾ حتى لا نُقدر عليهم فنعذبهم أي: قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا ﴿ساء ما﴾ أي: بس ما ﴿يحكمون﴾ أن يظنوا أن الله خلقهم، ثم لا يبعثهم فيجزئهم بأعمالهم، ثم قال: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ يقول: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن ﴿فإن أجل الله لآتٍ﴾ يعني: البعث ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ يقول: يُعطيه الله ثواب ذلك.

﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ أي: عن عبادتهم.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ يعني: جميع الناس بوالديه ﴿حسناً﴾ أي: برّاً ﴿وإن جاهدك لتشرك بي﴾ أي: أراداك على أن تشرك بي ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي: أنك لا تعلم أن معي شريكاً؛ يعني: المؤمنين ﴿فلا تطعهما﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا

سَيَلْنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾
وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (يعني: مع الصّالحين)^(١) وهم أهل الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ رجعت القصة إلى الكلام الأول ﴿الم أحسب الناس﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وليعلمن الكاذبين﴾^(٣) فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة، فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: إذا أُمِرَ بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه فيه أذى، رفض ما أُمِرَ به. وأقام عن الجهاد، وجعل ما يدخل عليه من البلية في القتال إذا كانت بلية كعذاب الله في الآخرة؛ لأن الله قد خوّفه عذاب الآخرة وهو لا يُقَرُّ به ﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني: نصرًا على المشركين ﴿ليقولون﴾ يعني: جماعتهم ﴿إنا كنا معكم﴾ يطلبون الغنيمة، قال الله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي: أنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله ورسوله وهم يظهرون الإيمان ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي: ما كان فيه من إثم فهو [علينا]^(٤) وهذا منهم إنكارٌ للبعث والحساب.

قال محمد: (ولنحمل) هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء^(٥)، المعنى: إن اتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم أي إن كان فيه إثم فنحن نحمله وإلى هذا

(١) سقط من «ر».

(٢) العنكبوت: ٢.

(٣) العنكبوت: ٣.

(٤) في الأصل: عليهم. والمثبت من «ر».

(٥) ينظر: البيان (٢/٢٤١)، الدرر المصون (٥/٣٦١).

(٢٥٩ل) ذهب يحيى .

﴿وما هم﴾ يعني: الكافرين ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ يعني: خطايا المؤمنين ﴿من شيء﴾ لو اتبعوهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾ .
 ﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني: آثام أنفسهم ﴿وأنقلاً مع أثقالهم﴾ يقول: يحملون من ذنوب من اتبعهم على الضلالة، ولا ينقص ذلك من ذنوب الذين اتبعوهم شيئاً .

يحيى: عن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هَدًى^(١) فَاتَّبَعَ عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ^(٢) شَيْءٌ، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُوزَارٍ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ^(٣)» .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١٤) فَأَجْبَنَهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ^(١٥)

(١) في «ر»: الهدى .

(٢) في «ر»: أجروهم .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٥٢ رقم ٧) من طريق سفيان بن حسين عن الحسن به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلًا .
 ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٩٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٠) رقم (٢٦٧٤) وأبو داود (٥/ ١٩٣ - ١٩٤) رقم (٤٦٠١) والترمذي (٥/ ٤٢) رقم (٢٦٧٤) وابن ماجه (١/ ٧٥ رقم ٢٠٦) وابن حبان (١/ ٣١٨ رقم ١١٢) وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١) وابن ماجه (١/ ٧٤ رقم ٢٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١١٦ رقم ٢٦٧٧) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

وَأَنذِرْهُمْ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثُونًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّكَ أَنتَ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا
 يَمْلِكُونَ لَكَ رِزْقًا فَأَبْتَقُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ قال كعب: لبث نوح في قومه
 ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم لبث بعد الطوفان ستمائة سنة ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ...﴾ إلى قوله: ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قد مضى تفسير هذه القصة في
 سورة هود^(١).

قال محمد: والطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا مهلكًا للجماعة؛ كالغرق
 المشتمل على جماعة والقتل الذريع والموت الجارف.
 ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثُونًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تقولون كذبًا ﴿وَإِن
 تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فأهلكهم الله، يحذرهم أن ينزل بهم
 ما نزل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس
 عليك أن تكره الناس على الإيمان.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ قُلْ
 سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنشَأَ
 بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَانَتِ اللَّهُ وَلَقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَبْشُرُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ بلى قد رأوا أن الله قد خلق العباد ﴿ثم يعيده﴾ يخبر أنه يبعث العباد ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ خلقهم وبعثهم ﴿ثم الله ينشئ﴾ يخلق ﴿النشأة الآخرة﴾ يعني: البعث ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة فتفوتونه هرباً؛ يقوله للمشركين .

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَقُولُوا أَوْ حَرَقُوهُ فَأَجْبَهُ اللَّهُ مِنْ أَلْتَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوْدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَا وَصَّيْتُ أَلْتَارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ (٢٥) فَمَنْ لَمْ يُلَظْ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَيَّانَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴿

﴿فما كان جواب قومه﴾ رجع إلى قصة إبراهيم ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي: فيما صنع الله لإبراهيم خليله وما نجاه من النار، وإنما يعتبر المؤمنون .

قال محمد: من قرأ (جواب) بالنصب^(١) جعل (أن قالوا) اسم كان^(٢) .

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ الحسن وعمر بن دينار (جواب) بالرفع . ينظر: البحر (١٤٨/٧)، جامع القرطبي (٣٣٨/١٣) .

(٢) ينظر: الدر المصون (٣٦٤/٥) .

﴿ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: يحب بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا.

قال محمد: (مودة) منصوبٌ بمعنى: اتخذتم هذا للمودة^(١).

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرأ بعضكم من بعض ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ إبراهيم يقوله؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ﴿وَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾ في الدنيا فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبونه.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿ولوطًا﴾ أي: وأرسلنا لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ يعني: إتيان الرجال في أدبارهم ﴿أنتمكم لتأتون الرجال﴾.

قال محمد: (أنتمكم) لَفْظُهُ لَفْظُ الاستفهام، والمعنى معني التقرير والتوبيخ. ﴿وتقطعون السبيل﴾ كانوا يتعرضون الطريق يأخذون الغرباء؛ فيأتونهم في أدبارهم، ولا يفعله بعضهم ببعض ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ في مجمعكم المنكر؛ يعني: فعلهم ذلك.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٦٨)، البحر (٧/١٤٨ - ١٤٩)، جمع البيان (٤/٢٧٨)، البيان (٢/٢٤٢ - ٢٤٣).

أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَسَجِسُكُمْ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانِمُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ يَوْمَ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنْكَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ولما أن جاءت رسلنا﴾ يعني: الملائكة ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ يعنون: قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ مشركين ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ لما تخوفه عليهم من فعل قومه، وهو يظن أنهم آذميون.

﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ الملائكة قالته للوط ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يشركون ﴿ولقد تركنا منها آية﴾ (ل ٢٦٠) بينة ﴿أي: [عبرة]﴾^(١) ﴿لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون، وقد مضى تفسير قصة قوم لوط^(٢).

﴿وإلى مدينتي أخاهم شعيباً فقال إنقوهم أعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر ولا تموتوا في الأرض مفسدين﴾ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في ديارهم جثيمين﴾ ﴿وعاداً وكموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبشرين﴾ ﴿٣٦﴾

(١) طمس في الأصل، والمثبت من (١).

(٢) ينظر الأعراف (٨٠ - ٨٤)، هود: (٧٧ - ٨٣)، الحجر: (٦١ - ٧٤)، الشعراء: (١٦٠ -

١٧٤)، النمل: (٥٤ - ٥٨).

﴿وإلى مدين﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي: صدقوا به ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فأصبحو في دراهم جائمين﴾ أي: هالكين.

﴿وعاداً وثموداً﴾^(١) أي: وأهلكنا عاداً وثموداً ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ يعني: ما رأوا من آثارهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ في الضلالة.

﴿وَفَرَعُونَ وَفِرْعَوْنُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَلَسْتُمْ كَارِهِا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقارون﴾ أي: وأهلكنا قارون ﴿وفرعون وهامان وما كانوا سابقين﴾ أي: يسبقوننا؛ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ يعني: من أهلك من الأمم السابقة ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ يعني: قوم لوط الذين رُجموا بالحجارة؛ من كان خارجاً من مدينتهم، وأهل السفر منهم.

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني: مدينة قوم لوط وقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكْرِينِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْفَكْرِينِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ

(١) بالتثنية وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم ذكر القراءات فيها في سورة الفرقان.

مِنْ دُونِهِ، مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٧﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٨﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْبِرَ الصَّلَاةَ إِبَتِ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: أوثانهم التي عبدوها من دون الله ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت﴾ أضعف البيوت ﴿لبيت العنكبوت﴾ أي: إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كما لا يكن بيت العنكبوت من حرٍّ ولا برد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: نضيفها ونبينها ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ يعني: المؤمنين ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة للمؤمنين، أي: أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة.

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ تفسير الكلبي: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فحشاً ولا منكراً ﴿ولذكر الله أكبر﴾ تفسير الحسن: قال الله: ﴿فادكروني أذكركم﴾^(١) فإذا ذكر الله العبد ذكره الله، فذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد إياه.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ

أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال بعضهم: يعني: من قاتلك منهم ولم يعطك الجزية فقاتله، وإنما أُمِرَ بقتالهم بالمدينة، وهذا مما نَزَلَ بمكة؛ ليعملوا به بالمدينة [نسختها آية القتال] ^(١).

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني: من آمن منهم ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب ﴿من يؤمن به﴾ يعني: القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تقرأ وتكتب، و(المبطلون) في تفسير بعضهم: من لم يؤمن من أهل الكتاب. قال محمد: المعنى على هذا التفسير: أي: أنهم يجدونك في كتبهم أمياً فلو كنت تكتب لارتابوا.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَتٌ بَيِّنَةٌ فِي صُورِ الذِّكْرِ أَوْفُوا أَلْعَلَّكُمْ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْفٰلٰسُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر». وانظر الناسخ والمنسوخ (٧٣).

﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني: (النبي)^(١) والمؤمنين ﴿وقالوا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه آيات من ربه﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات، قال الله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ إذا أراد الله أن ينزل آية أنزلها ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أي: تتلوه وأنت لا تقرأ ولا تكتب، فكفاهم ذلك لو عقلوا ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ أني رسوله وأن هذا الكتاب من عنده؛ وأنكم على الكفر ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ والباطل: إبليس.

﴿وَسَتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٢ سَتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلِئِنْ جِئْتَهُمْ لَمْحِطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٣ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٤ يَعْجَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ٥٥ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ لِيُنْزِلُنَّ يُرْجَعُونَ ٥٦ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ٥٧ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٨ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَافُّونَ ٥٩﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كان النبي ﷺ يخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا؛ فكانوا يستعجلون به استهزاء وتكديفاً. قال الله: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ (ل ٢٦١) النفخة [الأولى]^(٢) ﴿لجاءهم العذاب﴾ إن الله أخر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى؛ بها يكون هلاكهم ﴿يوم يغشاهم

(١) سقط من «و».

(٢) طمس في الأصل.

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿ كقوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾^(١).

﴿ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ أمرهم في هذه الآية بالهجرة إلى المدينة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي: في تلك الأرض التي أمركم أن تهجروا إليها؛ يعني: المدينة.

قال محمد: (فإياي) منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره؛ المعنى: فاعبدوا إياي: فاعبدون^(٢).

﴿لنبؤنهم﴾ أي: لنسكنهم ﴿من الجنة غرفا... نعم أجر العاملين﴾ نعم ثواب العاملين في الدنيا؛ يعني: الجنة ﴿وكأين﴾ أي: وكم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ يعني: تأكل بأفواهها، ولا تحمل شيئا لغدي.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَنَّى اللَّهُ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾^(١٢) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٣)

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...﴾ إلى قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ يقول: فكيف يصرفون بعد إقرارهم بأن الله خلق هذه الأشياء [﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يقتدر. ﴿إن الله بكل

(١) الأعراف: ٤١.

(٢) ينظر الدر المصون (٥/٣٦٨).

شيء عليهم.

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: أنهم قد أقروا بأن الله خالق هذه الأشياء^(١)، ثم عبدوا الأوثان من دونه!.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلَئِنِ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾ أي: إن أهل الدنيا أهل لهوٍ ولعب؛ يعني: المشركين هم أهل الدنيا لا يقرون بالآخرة ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ أي: يبقى فيها أهلها لا يموتون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني: المشركين لعلمو أن الآخرة خيرٌ من الدنيا ﴿دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ إذا خافوا الفرق ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ كقوله: ﴿بدّلوا نعمة الله كفرًا﴾^(٢).

﴿وليتمتموا﴾ في الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا صاروا إلى النار؛ وهذا وعيدٌ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمِنًا وَيَسْخَطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَمَا لَبِطُوا يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) لحق غير واضح بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) إبراهيم: ٢٨.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿أو لم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً﴾ أي: بلى قد رأوا ذلك ﴿ويتخطفُ الناس من حولهم﴾ يعني: أهل الحرم، يقول: إنهم آمنون، والعرب حولهم يقتل بعضهم بعضاً ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أفيابليس يصدقون؟! أي: بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان، وهي عبادته ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ يعني: ما جاء به النبي ﷺ من الهدى، وهذا على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿أو كذب بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزل ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها مثوى لهم ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ يعني: عملوا لنا. ﴿لنهديهم سبلنا﴾ يعني: سبل الهدى. ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ يعني: المؤمنين.



تفسير سورة الروم وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ مِائِينَ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ ﴿قوله: ﴿الم﴾ قد مضى القول فيه ﴿غلبت الروم﴾ غلبتهم فارس ﴿في أدنى الأرض﴾ أرض الروم بأذرعات من الشام؛ بها كانت الوقعة، فلما بلغ ذلك مشركي العرب شمتوا، وكان يعجبهم أن يظهر المجوس على أهل الكتاب، وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، قال الله: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ من قبل أن تهزم الروم، ومن بعد ما هزمت ﴿ويومئذ﴾ يوم يغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء...﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ فقال أبو بكر للمشركين: لم تسمتون؟ فوالله لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. وقال أبي بن خلف: أنا أبايك ألا تظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على حَظَرٍ^(١) بسبع من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: اذهب فبايعه

(١) الحَظَرُ: هو ما يُزَاهَن عليه. لسان العرب (خطر).

إلى سبع سنين، مُدٌّ في الأجل وزِدٌّ في الخَطَرِ [ولم يكن حرام ذلك يومئذ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - بعد^(١) غزوة الأحزاب، فرجع أبو بكر إليهم (ل ٢٦٢) قال: اجعلوا (الوعد)^(٢) إلى سبع سنين وأزيدكم في الخطر. ففعلوا فزادوا فيه ثلاثاً فصارت عشراً من الإبل، وصارت السنون سبعاً؛ فلما جاءت سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين، فظهرت الروم على فارس، والمؤمنون على المشركين في يوم واحد يوم بذر، وفرح المسلمون بذلك؛ وبأن الله صدق قوله وصدق رسوله^(٣).

قال محمد: (وَعَدَ اللَّهُ) منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكد؛ المعنى: وعد الله وعداً^(٤).

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ قال الحسن: يقول: يعلمون حين زرعهم، وحين حصادهم، وحين نتاجهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ لا يقرون بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا يَأْلُوهُمْ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِمَّنْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الوقت.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/٢١) عن ابن مسعود بنحوه، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (٣/٥٤ - ٥٥).

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٨١)، البحر (٧/١٦٢)، البيان (٢/٢٤٩).

أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَمَا تَنَّمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لو تفكروا في خلق السموات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة ﴿وإن كثيرا من الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بإلقاء ربهم لكافرون﴾.

﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: بطشا ﴿وأثأروا الأرض﴾ أي: حرثوها ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية فيعذبهم على غير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم؛ أي: قد [ساروا]^(١) في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأي﴾ يعني: جهنم ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ يعني: بأن كذبوا.

قال محمد: من قرأ: (عاقبة) بالرفع^(٢) جعل (السوأي) خبرا لكان^(٣)، وأصل الكلمة الفعل من السوء^(٤) قال الشاعر:

(١) في الأصل (صاروا).

(٢) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمر، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥٠٦)، النشر (٢/٣٤٤)، البحر (٧/١٦٤)، التيسير (١٧٤).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٨٢)، البحر (٧/١٦٤)، مجمع البيان (٤/٢٩٦)، البيان (٢/٢٤٩).

(٤) والسوأي مؤنث الأسوأ. ينظر لسان العرب (سوء).

أَمْ كَيْفَ يَجْزُونِي السَّوْأَى مِنَ الْحَسَنِ (١)

﴿اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني: البعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: ييأسُ المشركون من الجنة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ﴾ يعني: أوثانهم ﴿شُفَعَاءُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.

﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ يكرمون .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (١٦) فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ يُظَاهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ الصلوات الخمس كلها في هذه الآية؛ في تفسير الحسن .

(١) هذا عجز بيت للشاعر أفنون الثعلبي ، وصدده :

أني جزوا عامراً سوى يفعلهم

وهو من بحر البسيط . ينظر شرح شواهد المغني (٥٣) ، الخصائص (١٨٤/٢) ، (٣/ ١٠٧) ، وأمالى ابن الشجري (٣٧/١) ، الحجة لابن خالويه (١٢٨/٤) .

﴿فَسَبِّحْ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تَصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعِشَاءً﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ صلاة الظهر .
قال محمد: تقول: أظهرنا؛ أي: دخلنا في الظهيرة؛ وهو وقت الزوال^(١).

قال يحيى: «نزلت هذه الآية بعد ما أُسْرِيَ بالنبي ﷺ وفرضت عليه الصلوات الخمس، وكل صلاة ذكرت في المكي من القرآن قبل أن تفترض الصلوات الخمس فهي ركعتان غداة^(٢)، وركعتان عشيّة^(٣)».

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة.

﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ يعني: البعث؛ يرسل الله مطراً مئياً كَمَبِيَّ الرجال، فتنبت به جُسمانهم ولُحمانهم؛ كما تنبت الأرض الشرى.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْنِينَ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ

(١) وقيل: أظهرنا: سبّنا في الظهيرة. لسان العرب (ظهر).

(٢) ويقال فيها: الغداة، وهي الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (غدو).

(٣) وهي الوقت من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة. وصلاتنا العشي: صلاة الظهر وصلاة العصر. لسان العرب، المعجم الوسيط (عشي).

مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ نَبْرِكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَخِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ومن آياته﴾ تفسير السُّدي: يعني: ومن علامات الرب أنه واحد ﴿أن خلقكم من تراب﴾ يعني: الخلق الأول: خلق آدم ﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تتشرون﴾ تَبَسُّطُونَ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يعني: المرأة هي من الرجل ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: تستأنسوا بها ﴿وجعل بينكم مودةً﴾ محبة ﴿ورحمة﴾ يعني: الولد.

﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ تفسير الكلبي: اختلاف ألسنتكم للعرب كلامٌ، ولفارس كلامٌ، وللروم كلامٌ (سائرهم من الناس) ^(١) كلامٌ ﴿وألوانكم﴾ أبيض وأحمر وأسود.

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ (ل ٢٦٣) كقوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ ^(٢) من رزقه بالنهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل عليهم ﴿يريكُم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرفته، وطمعًا للمقيم في المطر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون عقلوا عن الله ما أنزل عليهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْرِكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَخِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

(١) في «ر»: ولسائرهم.

(٢) القصص: ٧٣.

أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴿

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾^(١).

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ يعني: النفخة الآخرة، وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون^(٢) ﴿كل له قانتون﴾ تفسير الكلبي: كل له مطيعون في الآخرة؛ فلا يقبل ذلك من الكفار. ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد الموت؛ يعني: البعث.

﴿وهو أهون عليه﴾ أي: وهو أسرع عليه بذه الخلق خلقًا بعد خلق، ثم يعيدهم بمرة^(٣) واحدة.

قال محمد: قال أبو عبيدة: المعنى: وهو هَيِّنٌ عليه^(٤)؛ كما قالوا: الله أكبر بمعنى الكبير، وكما قالوا: أجهل؛ بمعنى: جاهل، وأنشد:

وقد أغتیب ابن العم إن كان ظالمًا وأغفِرُ عنه الجهل إن كان أجهلاً^(٥)

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ

(١) فاطر: ٤١.

(٢) ينظر: مجمع البيان (٤/٣٠٠)، البحر (٧/١٦٨)، البيان (٢/٢٥٠).

(٣) أي: مرة، وهو تعبير لغوي فصيح.

(٤) أي: أن (أفعل) بمعنى (فعل)، وهو كثير في الكلام.

(٥) البيت من بحر الطويل، ويروى البيت: ولا أعتب... إن كان عاتبًا... إلخ. ينظر مجمع

الأمثال (١/٣٦٩).

رَزَقْنَكُمْ فَاسْتَمِعْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ مُنْصَرِّينَ ﴿٢٩﴾ ﴿

قوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي: ليس له ند ولا شبهة ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿هل لكم يعني: ألكم؟﴾ ﴿مما ملكت أيما نكم﴾ يعني: عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي: هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿تخافونهم﴾ تخافون لاثمتهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ يعني: كخيفة بعضكم بعضاً؛ أي: أنه ليس أحد منكم هكذا؛ فإنا أحق ألا يشرك بعبادتي غيري ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أتاها من الله بعبادة الأوثان ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: لا أحد يهديه. ﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِيعًا كُلُّ جَزٍٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأفم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدن حنيفاً﴾ أي: مخلصاً.

﴿فطرت الله التي فطر﴾ خلق ﴿الناس عليها﴾.

قال محمد: (فطرت الله) نصب بمعنى: اتبع فطرة الله^(١).

(١) إعراب القرآن (٢/٥٨٨)، البحر (٧/١٧١)، مجمع البيان (٤/٣٠٢).

قال يحيى: وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾^(١) الآية. إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال: اكتب. قال: رب ما أكتب! قال: ما هو كائن. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فأعمال العباد تُغَرَضُ كلَّ يوم اثنين وخميس عرضة (فيجدونها)^(٢) على ما في الكتاب. ثم مسح بعد ذلك على ظهر آدم فأخرج (منها)^(٣) كل نسمة هو خالقها، فأخرجهم مثل الذر. فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى شهدنا ﴿ثم أعادهم في صلب آدم، ثم يكتب العبد في بطن أمه: شقيًا أو سعيدًا، على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيًا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيدًا غمر حتى يجري عليه القلم [فيؤمن]^(٤) فيصير سعيدًا، ومن مات صغيرًا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم؛ فيكونون مع آبائهم في [الجنة من ملوك]^(٥) أهل الجنة، ومن كان من أولاد المشركين، فمات قبل أن يجري عليه القلم، فليس يكونون مع آبائهم في النار؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، ولم ينقضوا الميثاق.

قال يحيى: وقد حدثني الوليد بن (...)^(٥) عن الربيع بن صبيح، عن يزيد

(١) الأعراف: ١٧٢، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على الجمع، وهي قراءة: نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الكوفيون وابن كثير: ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالإنفراد. ينظر: النشر (٢/٢٧٣)، البحر (٤/٤١٨ - ٤١٩)، الدر المصون (٣/٣٦٩ - ٣٧٠).

(٢) في «ر»: فيجدونه.

(٣) أي: من المسححة التي مسحها على ظهر آدم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم استطع قراءتها من الأصل، وفي «ر»: «الوليد عن ابن بزع» ولم اهتم لضبط هذا الإسناد، والله أعلم.

الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: «سُئِلَ رسولُ الله عن أولاد المشركين؟ فقال: لم تكن لهم حسنات؛ فيجزوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات؛ فيُعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار؛ فهم خدم لأهل الجنة»^(١).

- (١) رواه الطيالسي (٢٨٢ رقم ٢١١١) عن الربيع بن صبيح به.
ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٨/٦) من طريق الثوري عن الربيع بن صبيح به.
وروى أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١ رقم ٤٠٩٠) وابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) وغيرهم من طريق الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال رسول الله ﷺ: «الأطفال خدم أهل الجنة».
ورواه البزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٥/٣) - والطبراني في الأوسط (٢٩٤/٥) رقم ٥٣٥٥ من طريق مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس مثله.
وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص ٥٨٤): يزيد الرقاشي وإوه.
وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناده أبي يعلى: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق. ووثقه ابن عدي، وبقي رجالهما رجال الصحيح.
وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣): حديث ضعيف، أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى. وروى البخاري في تاريخه (٤٠٧/٦ - ٤٠٨) والبزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٤/٣) - والطبراني في الكبير (٢٤٤/٧) رقم ٦٩٩٣ والرويان في مسنده (٦٤/٢) رقم ٨٣٨ وغيرهم من طريق عيسى بن شعيب، عن عباد بن منصور، عن أبي رجاء، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».
وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، وفيه عباد ابن منصور، وثقه يحيى القطان، وفيه ضعف، وبقي رجاله ثقات.
وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣): وإسناده ضعيف.
وقال ابن منده في المعرفة (٢٦١/٢ - ١) - كما في السلسلة الصحيحة (٤٥٢/٣) رقم ٤٦٨ - حدث إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال: «سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين، قال: هم خدم أهل الجنة».
قال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٠٧/٦) رقم ٦٩٨١: كذا قال عن أبي مالك؛ والمشهور عن يزيد عن سنان عن أنس بن مالك. قال ابن حجر في الإصابة (٦/١٢): وهو كذلك.

يحيى: (عن ابن أبي ذئب)^(١) عن الزهري [عن عطاء بن يزيد]^(٢) عن أبي هريرة قال: «سُئِلَ رسول الله عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم (ل) (٢٦٤) بما كانوا عاملين»^(٣).

قال يحيى: يعني: لو بلغوا.

قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يعني: لدين الله كقوله ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضِلَّهُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم المشركون.

﴿مَنْبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي مقبلين بالإخلاص.

قال محمد: قال الزجاج: (منبين إليه) نصبٌ على الحال^(٤) بفعل (فأقم وجهك) قال: وزعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم؛ لأن

(١) في «ر»: عن أبي دينار. وهو تحريف.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه الطيالسي (٣١٤ رقم ٢٣٨٢) عن ابن أبي ذئب به.

ورواه الإمام أحمد (٢٥٩/٢) ومسلم (٣٥٣/٤) رقم ٢٦٥٨ والبغوي في شرح السنة (١/ ١٥٣ رقم ٨٣) من طريق ابن أبي ذئب.

ورواه الإمام أحمد (٢٦٨/٢) والبخاري (٢٨٩/٣) رقم ١٣٨٤ ومسلم (٣٥٣/٤) رقم ٢٦٥٨ والنسائي (٥٨/٤) رقم ١٩٤٨ وابن حبان (٣٤٠/١) رقم ١٣١ والبغوي في شرح السنة (١٥٣/١) وغيرهم من طرق عن الزهري به. وقال البغوي: هذا حديث متفق على صحته.

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.

وانظر الكلام على أولاد المشركين مفصلاً في التمهيد لابن عبد البر (١١١/١٨ - ١٣٣) وطريق المهجرتين لابن القيم (٥٧٠ - ٥٩٥) وفتح الباري لابن حجر (٢٩٠/٣ - ٢٩١) وغيرها.

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي، حيث اختلف النحاة في عامل النصب في الحال. ينظر: إعراب القرآن (٥٨٩/٢)، مجمع البيان (٣٠٤/٤)، البحر (١٧١/٧).

مخاطبة النبي ﷺ تدخل فيها الأمة^(١).

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ فرقاً؛ يعني: أهل الكتاب ﴿كل حزب﴾ كل قوم ﴿بما لديهم﴾ أي: بما هم عليه ﴿فرحون﴾ أي: راضون .

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَاتِذَا الْقُرْآنُ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَإِنَّ السَّيْلَ ذَلِكَ حَبْرٌ لِلزَّيْتِ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: مخلصين في الدعاء ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ يعني: كشف عنهم ذلك ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: يكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا ﴿فتمتعوا﴾ إلى موتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيد ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ أي: حجة ﴿فهو يتكلم﴾ أي: فذلك السلطان يتكلم ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: لم تنزل عليهم حجة بذلك تأمرهم أن يشركوا ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ يعني: عافية وسعة ﴿فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة﴾ يعني: شدة عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ يياسون من أن يصيبهم رخاء بعد

(١) ينظر الكلام على ذلك من الدر المصون (٣٧٨/٥)، كشف المشكلات (٢/١٠٥٠).

تلك الشدة؛ يعني: المشركين ﴿فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾.

قال الحسن^(١): بعض هذه الآية تطوع، وبعضها مفروض؛ فأما قوله: ﴿فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فهو تطوع، وهو ما أمر الله به من صله القرابة، وأما قوله: ﴿وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ فيعني: الزكاة.

قال يحيى: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لم تكن شيئاً معلوماً. ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن ذِكْوَرٍ تُرِيدُونَ بِهِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ (٣٦) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا﴾^(٢) في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: قال: تلك الهدية تهديها ليهدي إليك خير منها ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، وبعضهم يقرؤها: ﴿لِّتَرْبُوا﴾ أي: ليربوا ذلك الربا ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ يعني: تريدون به الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ يعني: الذين يضاعف الله لهم الحسنات.

قال محمد: يقال: رجلٌ مُضْغِفٌ؛ أي: ذو أضعافٍ من الحسنات؛ كما يقال: رجلٌ مَوَسِّرٌ؛ أي: ذو يسارٍ^(٣).

(١) في «ر»: محمد. وأظنها الصواب، والله أعلم.

(٢) هكذا في الأصل و«ر»: ﴿لِّتَرْبُوا﴾ وهي قراءة نافع وحده من السبعة، وقرأ الباقر (لِّتَرْبُوا)

ينظر: السبعة (٥٠٧)، البحر (١٧٤/٧)، التيسير (١٧٥)، النشر (٣٤٤/٢).

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف)، و(يسر).

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ تفسير بعضهم: الفساد: الهلاك، يعني: من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم أهلكتهم الله في بر الأرض وبحرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من بعدهم أن يرجعوا عن شركهم إلى الإيمان ويتعظوا بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ أَيْبَسْ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتُكْشَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿فاقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدِّينِ الْقَاسِمِ﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرون: فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفره﴾ يُنَاب عليه النار ﴿ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون﴾ يعني: يُؤْطَوْنَ في الدنيا القرار في الآخرة ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي:

بفضله يدخلهم الجنة .

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليزيقكم من رحمته﴾
يعني: المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ يعني: السفن ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾
يعني: طلب التجارة في البحر .

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ
كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾
﴿ويجعله كسفًا﴾ أي: قطعًا ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾
من خلال السحاب .

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي:
يائسين عاجزين .

قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ (ل٢٦٥) هو كلام من كلام
العرب مشى مثل قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾^(١) .
قال محمد: تكرير (قُبِل) على جهة التوكيد^(٢) .

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ يعني: المطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد

(١) هود: ١٩، ويوسف: ٣٧، وفصلت: ٧ . ووردت في الأصل: ﴿وهم بآياتنا هم كافرون﴾ .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر من إعراب القرآن (٢/٥٩٤)، مجمع البيان (٤/٣٠٩)، البحر (٧/١٧٨) .

موتها﴾ يعني: النبات؛ أي: فالذي أنبت هذا النبات بذلك المطر قادرٌ على أن يبعث الخلق (يَوْمَ) ^(١) القيامة .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدْبِرِينَ ٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٥٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتَا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧﴾

﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿فَرَأَوْهُ﴾ يعني: الزرع ﴿مُصْفَرًّا لظلوا من بعده﴾ [لصاروا] ^(٢) من بعد ذلك المطر ﴿يكفرون﴾ .

﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ يعني: الكفار الذين يموتون على كفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ [يقول: إن الصم لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين] ^(٣) وهذا مثلُ الكفار أنهم إذا تولوا عن الهدى لم يسمعه سَمْعٌ قبول .

قال: ﴿وما أنت بهاد العُمِّي﴾ يعني: الكفار هم عُمِّي عن الهدى ﴿إن

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل .

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

﴿سمع﴾ إن: يقبل منك ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾.

قال محمد: (إن تسمع) أي: ما تُسمع^(١).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٢) يعني: نطفة الرجل ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ يعني: الشبية^(٣).

﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في الدنيا في قبورهم ﴿غير ساعة﴾ كذلك كانوا يؤفكون ﴿يُضْذَوْنَ﴾ في الدنيا عن الإيمان بالبعث ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ وهذا من مقادير الكلام^(٤). يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لبثتم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بُعثوا ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم﴾ في الدنيا ﴿لا تعلمون﴾ أن البعث حق ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ لا يُردون إلى الدنيا فيعتبون؛ أي: يؤمنون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥٩)

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: ليذكروا ﴿ولئن

(١) (إن) المخففة نافية بمعنى (ما). انظر في ذلك مغني اللبيب (٣٠/١).

(٢) بضم الصاد، قرأ عاصم وحزمة بفتح الصاد، واختلف عن حفص، وقرأ الباقون بالضم. النشر (٣٤٥/٢) واتحاف الفضلاء (٤٤٥).

(٣) أي: الشباب. لسان العرب (شباب).

(٤) أي: أن الكلام به تقديم وتأخير. ينظر الكلام عليه من الدر المصون (٣٨٣/٥).

جثهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴿ وكذلك يقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ يعني : الذين يلقون الله بشركهم ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ الذي وعدك أنه سينصرك على المشركين .

﴿ ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون ﴾ أي : لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من ترك دينك .



تفسير سورة لقمان وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ﴾ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُشْتَرِ لِهَوَى الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ فَنَسَخْنَاهُ بِعَذَابٍ آلِيمٍ ﴿٧﴾

قوله: ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه آيات الكتاب الحكيم المحكم؛ أخكِمت آياته بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ للمؤمنين.

قال محمد: من قرأ: ﴿ورحمة﴾^(١) بالنصب فعلى الحال^(٢).

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ تفسير السدي: يختار باطل الحديث على القرآن.

وقال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار؛ وكان رجلاً راويةً لأحاديث الجاهلية وأشعارهم ﴿ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ أتاه من

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأها بالرفع. ينظر: البحر (١٨٣/٧)، السبعة (٥١٢)، النشر (٣٤٦/٢)، التيسير (١٧٦).

(٢) البحر (١٨٣/٧)، إعراب القرآن (٥٩٩/٢)، البيان (٢٥٣/٢).

اللَّهُ بما هو عليه من الشرك ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ يتخذ آيات الله القرآن ﴿هُزْوَآءٍ﴾.

قال محمد: من قرأ: (وَيَتَّخِذُهَا) بالرفع ^(١) فعلى الابتداء ^(٢).

﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: جاحدا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: قد سمعها بأذنيه، ولم يقبلها قلبه وقامت عليه بها الحجة. ﴿كَأَن فِي أذْنِهِ وَقْرًا﴾ صمما .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْنُئِ النَّعِيمَ ﴿٨﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تَبِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرَوَيْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن: خلق السموات ترونها بغير عمد، وتفسير ابن عباس: لها عمد ولكن لا ترونها ^(٣) ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ يعني: الجبال أثبت بها الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لئلا تحرك بكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ خلق ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾.

﴿فأروني ماذا خلق﴾ يقوله للمشركين (ل٢٦٦) ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلالٍ مبين﴾ بين .
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم. وقرأ حمزة والكسائي بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٢)، البحر (١٨٤/٧)، النشر (٣٤٦/٢)، التيسير (١٧٦).

(٢) ينظر البحر (١٨٤/٧).

(٣) ينظر: البحر (١٨٦/٧)، مجمع البيان (٣١٤/٤ - ٣١٥)، البيان (٢٥٤/٢).

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٦﴾ وَلَئِذَا قَالَ لِقَوْمٍ لِّإِبْنِهِ، وَهُوَ يَعْظُمُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَشْرَكَ
 لَظَلَمَ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ
 أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٨﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
 فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي
 صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال مجاهد: يعني: الفقه والعقل، والإصابة
 في القول في غير نبوة ﴿أن اشكر لله﴾ النعمة.

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ وهو المؤمن ﴿ومن كفر﴾ يعني: كفرها
 ﴿فإن الله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمده ﴿إن الشرك
 لظلم عظيم﴾ يعني: يظلم به المشرك نفسه وينقصها.
 ﴿حملته أمه وهنا على وهن﴾ أي: ضعفاً على ضعف.

قال محمد: المعنى: لزمها لحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة.
 ﴿وإن جاهداك﴾ يعني: أراداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي
 أنك لا تعلم أن لي شريكاً؛ يعني: المؤمن ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
 معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي﴾ طريق من أقبل إلي بقلبه مخلصاً ﴿يا بني﴾ رجع
 إلى كلام لقمان ﴿إنها إن تك مثقال حبة﴾ أي: وزن حبة ﴿من خردل﴾.

قال محمد: من قرأ (مثقال) بالرفع ^(١) مع تأنيث (تك) فلأن مثقال حبة من

(١) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥١٣) البحر (٧/١٨٧)، النشر (٢/٤٢٣)، التيسير (٥٥١).

خردل راجع إلى معنى خردلة؛ فهو بمنزلة: إن تك حبةً من خردل فتكن في صخرة^(١).

قال يحيى: بلغنا أنها الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قراز الأرض^(٢).

﴿أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ أي: احذر؛ فإنه سيحصى عليك عملك ويعلمه؛ كما علم هذه الحبة من الخردل ﴿إن الله لطيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خير﴾ بمكانها.

﴿يَبْقَى أَفْرِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٧ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ ٨ ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمُخِمِرِ﴾ ٩ ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ والعزم أن يصبر ﴿ولا تصاعر^(٣) خدك للناس﴾ لا تعرض بوجهك عنهم استكباراً.

قال محمد: ومن قرأ (تُصَعِّرُ)^(٤) فعلى وجه المبالغة، وأصل الكلمة من قولهم: أصاب البعير صَعْرًا؛ إذ أصابه داءٌ فلوى منه عنقه^(٥).

(١) ينظر: البحر (١٨٧/٧)، إعراب القرآن (٦٠٢/٢)، البيان (٥٥٢/٢).

(٢) هذا من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٣) هذه قراءة نافع، وأبي عمرو، والكسائي، وحمزة. ينظر البحر (١٨٨/٧)، السبعة (٥١٣)، النشر (٣٤٦/٢).

(٤) وهذه قراءة باقي السبعة.

(٥) الصَّعْرُ: داء في العنق لا يُسْتَطَاع معه الالتفات. المعجم الوسيط (صعر).

قال المثلث^(١):

وكنا إذا الجبار صغر خذه أقمنا له من رأسه فتقوماً^(٢)
قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي: تعظماً ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: متكبر فخور، يعني: يُزهِى بما أُعطي، ولا يشكر الله ﴿واقصد في مشيك﴾ كقوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ يعني: أقبِح ﴿لصوت الحمير﴾.

قال محمد: معنى (اغضض): انقُض^(٣)؛ المعنى: عَرَفَهُ قَبِحَ رَفَعَ الصَّوْتِ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَالْمَلَا حَا^(٤) بَقَبَحَ أَصْوَاتِ الْحَمِيرِ؛ لأنها عالية.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا بَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۚ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۚ﴾

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ يعني: شمسها وقمرها ونجومها، وما ينزل منها من ماء ﴿وما في الأرض﴾ من شجرها وجبالها

(١) هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد، توفي حوالي (٥٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١١٩/٢).

(٢) البيت من بحر الطويل، ويروى: أقمنا له من مِثْلِهِ فتقوما. ينظر: البحر (١٨٢/٧)، مجاز القرآن (١٢٧/٢) منسوباً لعمر بن حُثَيْل التغلبي، وفي لسان العرب (صعر) منسوباً إلى المثلث، وهو كذلك في ديوانه: (٢٤).

(٣) لسان العرب (غضض).

(٤) المنازعة والمخاصمة. لسان العرب (لحى).

وأنهارها وبحارها وبهائمها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أي: في باطن أمركم وظاهره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ أتاه من الله ﴿وَلَا كِتَابٍ مِّنْهُ﴾ يبين بما هو عليه من الشرك.

﴿بَلْ تَتَّبِعْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ يعنون: عبادة الأوثان ﴿أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؛ أي: قد فعلوا .

﴿وَمَن يَسْلَمْ وَجْهَهُ﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ لا إله إلا الله ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يعني: مصيرها في الآخرة .

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُم مِّن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْئِينَ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴿نَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا؛ يعني: إلى موتهم .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مبعوثون ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يقول: لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام يكتب بها علمه، والبحر يمدّه من بعده سبعة

أبحر؛ يُسْتَمَدُّ منه للأقلام لانكسرت الأقلام ونَفِدَ البحر ولمات الكتاب، وما نفدت كلمات الله يعني بما خلق.

قال محمد: من قرأ: ﴿والبحر﴾ بالرفع فهو على الابتداء^(١).

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ قال المشركون: يا محمد، خلقنا الله (٢٦٧) أطوارًا: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم أنشأنا خلقًا آخر كما تزعم، وتزعم أننا نبعث في ساعة واحدة؟! فأنزل الله جوابًا لقولهم: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يقول له كن فيكون.

قال محمد: من قرأ (فيكون) بالرفع فعلى معنى: فهو يكون^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَلْبَلًا فِي أَلْبَلٍ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي أَلَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِنَّا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِتَهُمْ مُّفْتَصِدًا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

(١) وقراءة الرفع هي قراءة السبعة إلا أبا عمرو؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٣)، البحر (١٩١/٧)، النشر (٣٤٧/٢).

وينظر في توجيه الرفع نحوًا من إعراب القرآن (٦٠٦/٢)، البحر (١٩٠/٧ - ١٩١)، البيان (٢٥٦/٢).

(٢) هكذا في الأصل ورواه وهو يشعر أن قوله ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ جزء من إحدى آيات سورة لقمان، وليس كذلك؛ ولا أدري ما سبب هذا الإحجام وسبب التعليق على قراءاته!

﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ هو أَخَذَ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ليريكُم من آياته﴾ يعني: جري السفن.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وهو المؤمن ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَازِلَةٌ﴾ كالظلل .

﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ هذا المؤمن، وأما الكافر فعاد في كفره ﴿وَمَا يَجْعَدُ بَأْيَاتِنَا إِلَّا كُلَّ خِتَارٍ﴾ أي: غَدَارٌ ﴿كَفُورٍ﴾ يقول: أخلص له في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدر.

﴿يَكَائِبُهُ النَّاسُ أَتَقُوتُهُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٢) **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (٣٤)

﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يفديه من عذاب الله .
﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ يعني: البعث والحساب، والجنة والنار. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان، وتقرأ: (الْغُرُورُ)^(١) برفع الغين؛ يعني: غرور الدنيا، وهو أباطيلها .

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علمُ مجيئها ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ من ذكر أو أنثى وكيف صوره ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿خَبِيرٌ﴾ بأعمالهم.

(١) وهي قراءة سماك بن حرب، وأبي حيو، وابن السميع. ينظر البحر (٧/١٩٤)، جامع القرطبي (١٤/٨١)، المحتسب (٢/١٧٢).

تفسير الم السجدة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ إِسْتَنْدِرْ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

قوله: ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: لا شك فيه أنه من رب العالمين.

قال محمد: ﴿تنزيل﴾ رفع على خبر الابتداء على إضمار: الذي تلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء ﴿لا ريب فيه﴾ (١).

﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني: المشركين يقولون: إن محمدًا افترى القرآن، أي: قد قالوه وهو على الاستفهام ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: قريشًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا ﴿في ستة أيام﴾ اليوم منها ألف سنة.

﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه إذ أراد عذابكم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لكم عنده؛ حتى لا يعذبكم.

(١) ينظر: الدر المصون (٣٩٣/٥).

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يصعد؛ يعني: جبريل إلى السماء ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ من أيام الدنيا.

قال يحيى: بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم وفي أقل من يوم، وربما سئل النبي ﷺ عن الأمر يحضره، فينزل في أسرع من الطرف.

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْصَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتُوفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ وهذا تبع للكلام الأول ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ يعني: نفسه و﴿الغيب﴾: السر و﴿الشهادة﴾: العلانية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني: آدم ﴿ثم جعل نسله﴾ نسل آدم بعد ﴿من سلالَةٍ من ماء مهين﴾ ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿ثم سواه﴾ يعني: سوى خلقه كيف شاء ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أي: أقلكم من يشكر ﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض﴾ أي: إذا كنا رُفَاتًا وترابًا ﴿أنا لفي خلق جديد﴾ وهذا استفهام على إنكار؛ أي: أنا لا نبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ جعلت الأرض لملك الموت مثل الطنس يقبض أرواحهم، كما يلتقط

الطير الحب.

قال يحيى: وبلغني أنه يقبض روح كل شيء في البر والبحر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٧) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ خزايا نادمين ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحا إنا موقنون﴾ بالذي أتى به محمد أنه حق.

﴿ولكن حق القول مني﴾ أي: سبق ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: المشركين من الفريقين ﴿فذوقوا﴾ يعني: عذاب جهنم ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ (٢٦٨) يعني: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ أي: تركناكم في العذاب.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٠) ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢١) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٢) ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ تفسير الحسن قال: يعني: قيام الليل ﴿يدعون ربهم خوفا﴾ من عذابه ﴿وطمعا﴾ في رحمته؛ يعني: الجنة.

قال محمد: معنى ﴿تتجافى﴾: تفارق^(١).

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ على قَدْرِ أعمالهم .

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ١٨ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٩ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢٠

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ يعني: مشركاً ﴿لا يستون﴾ .
﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها﴾ يقول: إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلهيبها؛ حتى إذا كانوا في أعلاها رجوا أن يخرجوا منها فضربوا بمقامع من حديد؛ فهُوُوا إلى أسفلها .

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٢١ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُزِّعَ عَنْهَا إِذَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَلَبُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِآمِرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٣ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٢٤

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ الأقرب؛ يعني: بالسيف يوم بدر؛ في تفسير الحسن ﴿دون العذاب الأكبر﴾ عذاب النار ﴿لعلهم﴾ لعل من يبقى

منهم ﴿يرجعون﴾ من الشرك إلى الإيمان .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن﴾ يا محمد ﴿في مرية من لقائه﴾ تفسير الكلبي: فلقية النبي في السماء السادسة ليلة أسري به ﴿وجعلناه هدى﴾ يعني: موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ .

﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ يعني: أنبياء ﴿يهدون﴾ أي: يدعون ﴿بأمرنا﴾ .

﴿إن ربك هو يفصل بينهم . . .﴾ الآية، يفصل بين المؤمنين والمشركين ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الإيمان والكفر؛ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أو لم يهْدِ لهم﴾ يعني: بين لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ يعني: ما قص مما أهلك به الأمم السالفة؛ حين كذبوا رسلهم ﴿يمشون في مساجدهم﴾ أي: يعمرون؛ منها ما يرى، ومنها ما لا يرى؛ كقوله: ﴿منها قائم﴾ تراه ﴿وحصيد﴾^(١) لا تراه ﴿أفلا يسمعون﴾ يعني: المشركين ﴿إلى الأرض الجرز﴾ يعني: اليابسة؛ أي: فالذي أخيا هذه الأرض بعد موتها قادر على أن يحييهم بعد موتهم .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ يعني: القضاء بعذابهم؛ قالوا ذلك استهزاءً وتكذيباً بأنه لا يكون ﴿قل يوم الفتح﴾ القضاء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ ليس أحدٌ من المشركين يرى العذاب إلا آمناً؛ فلا يقبل منهم .
 ﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ بهم العذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم^(١).



(١) قيل: نسختها آية السيف، وقيل: هي غير منسوخة؛ إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٤)، نواسخ القرآن (٤٨٨)، تفسير القرطبي (١٤/١٢).

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
 ① وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ③ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ
 اللَّاتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
 يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ
 تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلَاخُوْنَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ
 وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ① اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في الشرك بالله
 ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: وَلَا تُطِعِ الْمُنَافِقِينَ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾
 تفسير الكلبي: أن رجلاً من قريش يقال له: جميل كان حافظاً لما
 سمع، فقالت قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد؛ إن له لقلبين!
 فأكذبهم الله في ذلك.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ يعني: إذا قال

(١) قرأ نافع «النبي» بالهمز . النشر (٣٤٧/٢) و إتحاف الفضلاء (٤٥١).

الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، لم تكن مثل أمه في التحريم أبداً، ولكن عليه كفارة الظهار ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعزّ أهله؛ وكان زيد بن حارثة منهم كان رسول الله ﷺ تبنّاه يومئذٍ على ما كان يُصنع في الجاهلية، وكان مولى لرسول الله؛ فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يلحقوهم بأبائهم؛ فقال: ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني: ادعاءهم هؤلاء، وقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي.

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ يقول: قولوا: [ولينا فلان]^(١)، وأخونا فلان. ﴿وليس عليكم جناح﴾ إنتم ﴿فيما أخطأتم به﴾ (ل ٢٦٩) إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى [الذي]^(١) تبنّاه ناسياً؛ فليس عليه في ذلك إنتم ﴿ولكن ما تعدمت قلوبكم﴾ أن تدعوهم إلى غير آبائهم.

﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أُولَٰئِكَ يَنْتَهِبُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْكَ أُولَٰئِكَ يَكُونُ مَعْرُوفًا ۖ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ تفسير مجاهد: يعني: هو أبوهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: هن في التحريم مثل أمهاتهم.

يحيى: عن سفيان الثوري، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن

(١) مطموس في الأصل، ومثبت من «ر».

عائشة «أن امرأة قالت لها: يا أمه. فقالت: لست لك بأُم! إنما أنا أم رجالكم»^(١).

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ تفسير قتادة: كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾^(٢) فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً، ثم نسخ ذلك في هذه السورة فصارت الموارث بالملل.

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم﴾ يعني: من أهل الشرك «معروفاً» يعني: بالمعروف: الوصيَّة، ثم رجع إلى قوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فقال: «كان ذلك في الكتاب مسطوراً» أي: مكتوباً: لا يرث كافرٌ مسلماً، وقد قال النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر»^(٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ وَأَوْفَىٰ بِمَا وَعَدَ وَيَسَىٰ أَتَىٰ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٦٧/٨) عن الفضل بن ذكين عن سفيان الثوري به. ورواه ابن سعد أيضاً (١٧٨/٨ ، ٢٠٠) عن الواقدي عن الثوري به، وزاد: قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «أنا أم الرجال منكم والنساء». ورواه ابن سعد (٦٤/٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٠/٧) من طريق أبي عوانة عن فراس به.

ورواه الدارقطني في المؤلف والمختلف (٩٣٦/٢) من طريق خرقاء عن عائشة رضي الله عنها. (٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) رواه البخاري (٥١/١٢) رقم ٦٧٦٤ ومسلم (٨٨/٣) رقم ١٦١٤ عن أسامة بن زيد.

﴿وإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني: في ظهر آدم ﴿وَمِنْكُمْ﴾ ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴿تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ﴾.

كان قتادة إذا تلا هذه الآية: ﴿وإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال: قال رسول الله: «كنت أول النبيين في الخَلْقِ، وآخرهم في البعث»^(١). قوله: ﴿لَيْسَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني: النبيين ﴿عَنْ صَدَقِهِمْ﴾ أي: عن تبليغ الرسالة إلى قومهم من الله .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/١٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا . ورواه الطبري أيضًا (٢١/١٢٥ - ١٢٦) من طريق أبي هلال عن قتادة مرسلًا . ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق شيخان عن قتادة مرسلًا .

وقد وصله عن قتادة سعيد بن بشير وخليد بن دعلج . فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٤٦٩) - وابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩، ٤/٤١٦ - ٤١٧) وتمام الرازي في الفوائد (٢/١٥ رقم ١٠٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٤٢ رقم ٣) وابن شاهين في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٨٥) - والبخاري في تفسيره (٦/٣٢١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق خليد بن دعلج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال ابن عدي: وهذا يرويه عن قتادة سعيد بن بشير وخليد بن دعلج . وقال ابن كثير في تفسيره: سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلًا، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا، والله أعلم .

وقال ابن كثير - في البداية والنهاية - عن المرسل: وهذا أثبت وأصح، والله أعلم، وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملا الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح؛ لأن علم الله - تعالى - بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملا الأعلى، والله أعلم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ قال مجاهد: وهي الصَّبا، كانت تكبهم على وجوههم وتنزع الفساطيط (١) حتى أظعنتهم ﴿وجنوداً لم تروها﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ تفسير الحسن: جاءوا من وجهين: من أسفل المدينة، ومن أعلاها ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ من شدة الخوف ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ يعني: المنافقين ظنوا أن محمداً سيقتل وأنهم سيهلكون. قال الله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اخْتَبِرُوا ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: حُرِّكُوا (٢) بالخوف، وأصابتهم الشدة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وهم المنافقون، المرضى في تفسير قتادة: النفاق ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فيم يزعم أنه رسوله ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: وعدنا الله النصر فلا تُرَانَا تُنْصَرُ وَتُرَانَا نَقْتُلُ وَنُهْزَمُ، ولم يكن فيما وعدهم الله ألا يقتل منهم أحد، وألا يهزموا في بعض الأحيان، وإنما وعدهم النصر في العاقبة.

(١) واحدها: فسطاط، وهو البيت يُتخذ من الشَّعْرِ. لسان العرب (فسط).

(٢) في «ر»: خرجوا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ رَبِّ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُّوا، فقال بعضهم لبعض: لا والله ما لكم مقام مع هؤلاء؟ فارجعوا إلى قومكم - يعنون: المشركين - فاستأمنوهم.

﴿إِنْ بَيْوتنا عورة﴾ أي: خالية نخاف عليها السَّرَقُ^(١). قال الله: ﴿وما هي بعورة﴾ إن الله يحفظها ﴿إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يعني: الشرك ﴿لَآتَوْنَهَا﴾ لجاءوها وتقرأ: (لَآتَوْنَهَا) بالمد^(٢)، المعنى: لأعطوها .

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأذيان﴾ أي: ينهزمون ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ يعني: يسألهم عن العهد الذي لم يفوا به .

(١) السَّرَقُ والسَّرْقَةُ بمعنى: لسان العرب (سرق).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير ﴿لَآتَوْنَهَا﴾ بغير مد، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون بالمد.

النشر (٣٤٨/٢) إتحاف الفضلاء (٤٥٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: «بايعنا رسول الله على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٣٥٥) ومسلم (٣/١٤٨٣) رقم ٦٧/١٨٥٦ والنسائي في الكبرى (٦/٤٦٤) رقم ١١٥٠٩ والدارمي (٢/٢٩٠) رقم ٢٤٥٤ وأبو عوانة في صحيحه (٤/٤٢٧) رقم ٧١٩١ والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) وابن حبان (١١/٢٣١) رقم ٤٨٧٥ وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير به.

ورواه الإمام أحمد (٣/٣٨١) والحميدي (٢/٥٣٦) رقم ١٢٧٥ ومسلم (٣/١٤٨٣) رقم ١٨٥٦ / ٦٨ والترمذي (٤/١٢٨) رقم ١٥٩٤ والنسائي (٧/١٤٠ - ١٤١ - رقم ٤١٦٩) وأبو يعلى (٣/٣٦٩) رقم ١٨٣٨ وأبو عوانة (٤/٤٢٧) رقم ٧١٨٩، (٧١٩٠) والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزبير سمع جابرًا رضي الله عنه به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد (٣/٣٩٦) من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزبير به. ورواه أبو يعلى (٣/٤٢٠) رقم ١٩٠٨، (٤/١٩٧ - ١٩٨) رقم ٢٣٠١ والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) من طريق أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه. ورواه ابن سعد في الطبقات (٢/١٠٠) من طريق وهب بن منبه عن جابر رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٤/١٢٧) رقم ١٥٩١ والطبراني في الأوسط (٢/٢١٠) رقم ١٧٥٧، (٦/٣٠٦) رقم ٦٤٨٢ عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه.

وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال جابر بن عبد الله . ولم يُذكر فيه أبو سلمة.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا عيسى، تفرد به سعيد.

وله شاهد عن معقل بن يسار، رواه مسلم (٣/١٤٨٥) رقم ١٨٥٨.

وروى البخاري (٦/١٣٦ - ١٣٧) رقم ٢٩٦٠ ومسلم (٣/١٤٨٦) رقم ١٨٦٠ عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة - يعني: ابن الأكوع - : «على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت».

وروى البخاري (٦/١٣٦) رقم ٢٩٥٩ ومسلم (٣/١٤٨٦) رقم ١٨٦١ عن عبد الله بن زيد نحوه.

والمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد. انظر فتح الباري (٦/١٣٧) وغيره، والله أعلم.

﴿وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: إلى آجالكم ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ (٢٧٠) أي: يمنعكم ﴿مَنْ اللَّهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ يعني: القتل والهزيمة؛ في تفسير السُّدي ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ قال السُّدي: يعني: النصر والفتح .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
 ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ نَظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْضُرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يُذْهِبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَخْلِفُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا﴾ يأمر بعضهم بعضًا بالفرار؛ وهو التعويق ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ يعني: القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بغير حُسْبَةٍ، وإنما قل؛ لأنه كان لغير الله .

قال محمد: المعنى: إلا إتيانا قليلاً^(١)؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ يقول: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئاً ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ يعني: القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ نَظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً من القتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ أي: صاحوا عليكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ قال محمد: قيل: المعنى خاطبوكم أشدَّ مخاطبة

(١) وقيل: إلا زماناً قليلاً. ينظر: التبيان (١٠٥٣)، مجمع البيان (٤/٣٤٧).

وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مسلّاق وسلّاق إذا كان بليغاً^(١).

﴿أشحّة على الخير﴾ الغنيمة ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي: لم تؤمن قلوبهم ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يود﴾ المنافقون ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: في البادية مع الأعراب ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وهو كلام موصول.

قال محمد: قوله: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قيل: المعنى: يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا؛ لجبنهم وخوفهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢)

﴿وذكر الله كثيراً﴾ وهذا ذكر التطوع ليس فيه وقت.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه تحاربوا على الله ورسوله ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ كان أنزل الله في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ...﴾ (٢) إلى قوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بغد؛ فلما كان يوم الأحزاب أنزل الله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب...﴾ إلى قوله: ﴿إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ يعني: تصديقًا وتسليمًا لأمر الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) ومسلّق أيضًا. لسان العرب (سلق).

(٢) البقرة: ٢١٤.

يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ حين بايعوه على ألا يفروا وصدقوا في لقائهم العدو؛ وذلك يوم أحد.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني: أجله؛ في تفسير بعضهم ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أجله ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ كما بدل المنافقون .

قال محمد: أصل النخب: الثَّخْبُ^(١)؛ كأن قومًا نذورا إن لقوا العدو أن يقاتلوا؛ حتى يُقْتَلُوا أو يفتح الله، فقتلوا فقليل: فلأن قضى نحبه؛ إذا قُتِلَ.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء﴾ أي: يموتوا على نفاقهم فيعذبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيرجعوا من نفاقهم .

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ

قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَحْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ يعني: لم يصيبوا ظفراً ولا غنيمة من المسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً لو نالوه ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والجنود التي أرسل عليهم ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يعني: عاونوهم ﴿من أهل الكتاب﴾ يعني: قريظة والنضير ﴿من صياصبيهم﴾ يعني: حصونهم.

(١) لسان العرب (نخب).

قال محمد: أصل الكلمة: قرون البقر؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها، فليل للحصون: صياصي؛ لأنها تمنع وصيصية الديك شوكته؛ لأنه يتحصن بها^(١).

﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا﴾ وهي خبير؛ فتحت عَنَوَةً.

﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعْمَ الْبُكَ أُمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَحْتَكُمْ مَرَلًا جَمِيلًا ۝٧٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٧٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُمْ يَفْجَحْشَوْا مُبِينًا يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٨٠﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك...﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال قتادة: إنما خيهرن بين الدنيا والآخرة، ولم يخيهرن الطلاق ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني: الزنا؛ في تفسير السدي ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة.

قال محمد: معنى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي: يُجْعَلُ مِثْلَيْنِ؛ الضعف في اللغة: المثل، يقال: هذا ضِعْفُ هذا؛ أي: مثله^(٢).

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلْيَحْذَرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَعْمَلْ مِثْلَ مَا تُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرْتَبًا وَعَتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٨١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ نِسَاءً كَاحِلَةً مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ يُعْطَمَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٨٢﴾

(١) والجمع أيضًا: صَيَاصٍ. لسان العرب (صيص).

(٢) لسان العرب (ضعف).

﴿ومن يقنت منكم لله ورسوله﴾ أي: تطع الله ورسوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا ﴿لها رزقاً كريماً﴾ يعني: الجنة.

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول﴾ قال الكلبي: (ل ٢٧١) هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب.

قال محمد: قال: ﴿كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ ولم يقل: كواحدة لأن أحدًا معنى عام من المذكر والمؤنث والواحد والجماعة^(١).

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: فجور؛ في تفسير بعضهم.

قال الحسن: وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَخَرُجَنَّ تَرَجَّ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤)

﴿وقرن في بيوتكن﴾ من قرأها بالفتح^(٢)؛ فهو من القرار^(٣).

قال محمد: والأصل فيه: (أقرزن) فحذف الراء الأولى لثقل التضعيف،

(١) أي: يستوي فيه المفرد والمفردة وفروعهما. وأصله (وحد). ينظر لسان العرب (وحد).

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بكسر القاف. ينظر: السبعة (٥٢٢)، البحر (٧/ ٢٣٠)، التيسير (١٧٩)، النشر (٣٤٨/٢).

(٣) يقال: قرَّ بالمكان قرًّا وقرارًا وقرورًا؛ أي: أقام وسكن. لسان العرب (قرر).

وألقى حركتها على القاف؛ فصارت: (وقرن)^(١).

قال يحيى: وتقرأ: (وقِزن) بكسر القاف، وهو من الوقار.

قال محمد: وقر في منزله يَقْرُ وُقُورًا^(٢).

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: قبلكم؛ في تفسير الحسن، وليس يعني: أنها كانت جاهلية قبلها؛ كقوله: ﴿عَادًا الْأُولَى﴾^(٣).

وبعضهم يقول: يعني الجاهلية التي وُلِدَ فيها إبراهيم قبل الجاهلية التي وُلِدَ فيها محمد ﴿وأقمن الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وآتين الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿وأطغن الله ورسوله﴾ فيما أمركن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ يعني: الشيطان.

وقال بعضهم: الرجس: الإثم.

وقال محمد: الرجس في اللغة: كل مستكر مُسْتَقْذِر من مأكول أو عمل أو فاحشة^(٤)، و(أهل البيت) منصوب على وجهين: على معنى: أعنى أهل البيت، وعلى النداء^(٥).

﴿ويطهركم تطهيرًا﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي داود، عن أبي الحمراء، قال:

(١) وقيل: حذفت الراء الثانية، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها فصارت (قرن) ينظر الدر المصون (٤١٥/٥).

(٢) يقال: وقر فلان وقارًا وقرة: رزن. ويقال: وقر في بيته وقْرًا وقورة: أقام. لسان العرب (وقر).

(٣) النجم: ٥٠.

(٤) والجمع: أرْجَاس. لسان العرب (رجس).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٦٣٦/٢)، البحر (٢٣١/٧)، البيان (٢٦٩/٢).

«رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي ﷺ، وسمعت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة - ثلاثاً - «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(١).

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ﴾

(١) رواه ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٤٤ رقم ٣٦٩٩/٢) - والطبري في تفسيره (٦/٢٢) وابن عدي في الكامل (٨/٣٢٩) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٨٧٠) رقم ٦٧٥٢ من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

ورواه ابن أبي شيبة - كما في المطالب (٤/١٤٤ رقم ٣٦٩٩/١) - وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٩ - ٢٠٠) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن نافع - وهو أبو داود - به.

ورواه عبد بن حميد (١٧٣ رقم ٤٧٥) عن الضحاك بن مخلد عن أبي داود به. ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/٢٤٨ رقم ٧٧٥) من طريق أبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد - عن عبادة بن مسلم عن أبي داود به. وعلقه البخاري في الكنى (٢٥ - ٢٦) عن الضحاك به.

ورواه الطبراني في الكبير (٣/٥٦ رقم ٢٦٧٢، ٢٢/٢٠٠ رقم ٥٢٥) من طريق منصور بن أبي الأسود عن أبي داود به. وقال أبو أحمد في الكنى (٤/٢٠٠) قال محمد بن إسماعيل الجعفي: أبو الحمراء يقال له صحبة، ولا يصح حديثه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٠٠): أبو داود الأعمى هو نفع بن الحارث، كذاب. وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٢١): رواه الطبراني، وفيه أبو داود الأعمى، وهو كذاب. وقال ابن حجر في المطالب (٤/١٤٥): أبو داود هو نافع - وقيل: نفع الأعمى - كذبه قتادة، وهو ضعيف جداً.

وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي (٥/٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) - وقال: حسن غريب - وأحمد (٣/٢٥٩، ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨ رقم ١٢٢٣)، والطبري في تفسيره (٦/٢٢) والطبراني (٣/٥٦ رقم ٢٦٧١) والحاكم (٣/١٥٨) وصححه على شرط مسلم.

وَالصَّبَإِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ هو كلام واحد؛ كقوله: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^(١) والإسلام هو اسم الدين، قال: ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾^(٢) وهو الإيمان بالله ﴿والقانتين والقانتات﴾ القنوت: الطاعة ﴿والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات﴾ على ما أمرهم الله به ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ وهو الخوف الثابت في القلب ﴿والمصدقين والمصدقات﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿والصائمين والصائمات﴾.

قال يحيى: بلغني أنه من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ مما لا يحل لهن. ﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ يعني: باللسان؛ وليس في هذا الذكر وقت.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ

(١) الذاريات: ٣٦ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢٩﴾ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ يعني: إذا فرض الله ورسوله شيئاً ﴿أن تكون لهم الخيرة﴾ يعني: التخير ﴿من أمرهم﴾ ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴿أراد رسول الله ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش زيد بن حارثة؛ فأبت وقالت: أزوج نفسي رجلاً كان عبدك بالأنس. وكانت ذات شرف، فلما أنزلت هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول الله فزوجها إياه، ثم صارت سنة بعد في جميع الدين، ليس لأحد خيار على قضاء رسول الله وحكمه.

قال محمد: كانت زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله ﷺ.

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ [قوله: ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني: زيداً] ^(١).

قال الله للنبي: ﴿وتخفى في نفسك ما الله مبديه﴾ أي: مظهره ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي: تخشى عيبة ^(٢) الناس ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ الوطر: الحاجة ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ قال المشركون للنبي: يا محمد، زعمت أن حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد! فقال الله: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج...﴾ الآية (٢٧٢) قال الكلبي: إن رسول الله أتى زيداً زائراً فأبصرها قائمة فاعجبته، فقال رسول الله: سبحان الله مقلب القلوب.

(١) من «ر».

(٢) الغيبة والغيب بمعنى. لسان العرب (عيب).

فراى زيد أن رسول الله هَوِيَهَا^(١). فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها؛ فإن فيها كِبْرًا، وإنها لتؤذيني بلسانها! فقال له رسول الله: اتق الله وأمسك

(١) هذا القول لا يصح - والله أعلم - رواية ولا دراية، وهو في غاية النكارة: فأما رواية فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٩١/٣): ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها؛ فلا نوردها. اهـ. وقال ابن حجر في الفتح (٣٨٤/٨): وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. اهـ. وأما دراية فقال القرطبي في تفسيره (١٩١/١٤): فأما ما رُوي أن النبي ﷺ هَوِيَ زَيْنب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المُجَان لفظ: عَشِقَ - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. اهـ.

وقال البغوي في تفسيره (٣٥٥/٦): وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين: ما يقول الحسن في قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قلت: يقول: لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، إني أريد أن أطلق زَيْنَب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان الله تعالى - قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدًا سيطلقها، فلما جاء زيد. وقال: إني أريد أن أطلقها. قال: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله، وقال: لِمَ قُلْتَ: أمسك عليك زوجك؟! وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة؛ لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال: ﴿زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها؛ لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره؛ فدل على أنه إنما عُوِّتَب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: التي تحنك وفي نكاحك ستكون امرأتي، وهذا قول حسن مرض، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها، لا يقدح في حال الأنبياء؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المائم؛ لأن الود وميل النفس من طبع البشر، وقوله: «أمسك عليك زوجك واتق الله» أمر بالمعروف، وهو خشية لا إثم فيه. اهـ.

وهذا القول الذي حسنه البغوي وارتضاه - وهو حقيق أن يُحسَّن ويرتضى - قال عنه القرطبي في تفسيره (١٩٠/١٤ - ١٩١): وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. اهـ.

عليك زوجك. فأمسكها زيد ما شاء الله ثم طلقها، فلما قضت عدتها أنزل الله نكاحها رسول الله من السماء، فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...﴾ إلى قوله: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ فدعا رسول الله عند ذلك زيداً؛ فقال: انت زينب، فأخبرها أن الله قد زوّجنيها. فانطلق زيد، فاستفتح الباب؛ فقبل: من هذا؟ قال: زيد. قالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلقني؟! فقال: إن رسول الله أرسلني إليك؛ فقالت: مرحباً برسول رسول الله، ففتح له؛ فدخل عليها وهي تبكي، فقال زيد: لا يبكي الله عينك، قد كنتِ نعمت المرأة - أو قال: الزوجة - إن كنت لتبرين قسمي، وتطيعين أمري، فقد أبدلك الله خيراً مني. قالت: من؟ لا أبأ لك؟ فقال: رسول الله. فخرّت ساجدة.

قوله: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ فيما فرض الله له يعني: أحلّ ﴿سُنَّةَ﴾ الله في الذين خلّوا من قبل ﴿أَي:﴾ أنّه ليس على الأنبياء حرج فيما أحلّ الله لهم، وقد أحلّ لداود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرّية. قال محمد: نصب (سُنَّة) على المصدر؛ المعنى: سنّ الله سُنَّةً^(١).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: أن محمدًا لم يكن أباً لزيد، وإنما كان زيد دعيّاً له ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

(١) ينظر. إعراب القرآن (٢/٦٣٨)، البيان (٢/٢٧٠)، البحر (٧/٢٣٦).

قال محمد: من قرأ (رسولَ الله) بالنصب^(١) فعلى معنى: ولكن كان رسول الله^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ يعني: باللسان، وهذا ذكرٌ ليس فيه وقتٌ.

يحيى: عن جِداش، عن ميمون بن عجلان، عن ميمون بن سيّاه، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم منادٌ من السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات»^(٣). من حديث يحيى بن محمد.

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبيدة برفع (رسول). ينظر: البحر (٧/٢٣٦)، الإعراب للنحاس (٦٣٩/٢) جامع القرطبي (١٩٦/١٤).

(٢) ينظر: البحر (٧/٢٣٦)، التبيان (١٠٥٨)، إعراب القرآن (٦٣٩/٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٤٢/٣) وأبو يعلى (١٦٧/٧) رقم (٤١٤١) والبخاري - كشف الاستار (٤/٤) رقم (٣٠٦١) - والطبراني في المعجم الأوسط (١٥٤/٢) رقم (١٥٥٦) وابن عدي في الكامل (٨/١٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/١٠٧ - ١٠٨) والضياء في المختارة (٧/٢٣٤ - ٢٣٦) رقم (٢٦٧٥ - ٢٦٧٨) من طريق ميمون بن عجلان به.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٤٠٣ - ٤٠٤): رواه أحمد، ورواه محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، وأبو يعلى والبخاري والطبراني.

وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/٣٥٢): أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني، بسند ضعيف.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦). رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري في الأوسط، وفيه ميمون المرثي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقي رجال أحمد رجال الصحيح.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/٣٧٧) رقم (٦٠٥١): هذا إسناد رجاله ثقات.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢١٢) رقم (٦٠٣٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/١٣١١) رقم (٣٢٩٠) عن سهل - وقيل: سهيل - بن الحنظلية العبسمي رضى الله عنه.

ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/٣٠٨) رقم (٩٥٢٩) عنه موقوفاً.

ورواه البيهقي في الشعب (٢/٤٣٠ - ٤٣١) رقم (٥٣٠) عن أبي الوازع جابر بن عمرو عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ تفسير ابن عباس: هذا في الصلاة المكتوبة ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ تفسير ابن عباس قال: صلاة الله: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى .

﴿فَيَجْعَلُ لَكُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا ۖ وَآعَدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾ بَيَّأُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ إِلَى اللَّهِ يُلَازِنُهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾

﴿تحتيهم يوم يلقونه سلام﴾ يقول: تحييم الملائكة عن الله بالسلام
﴿وآعد لهم أجرا كريما﴾ يعني: الجنة.

﴿إنا أرسلناك شاهدا﴾ على أمتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلغتهم
﴿ومبشرا﴾ في الدنيا بالجنة ﴿ونذيرا﴾ من النار ﴿وداعيا إلى الله بإذنه﴾ يعني:
بالوحي ﴿وسراجا منيرا﴾ مضيئا ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا
كبيرا﴾ يعني: الجنة ﴿ودع أذانهم﴾ قال مجاهد: يقول: اصبر عليه .

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعَدُّوْنَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ...﴾ إلى قوله: ﴿فمتعهن﴾
المتاع منسوخ إذا كان قد سمي لها صداقا إلا أن يكون لم يؤسم لها، فيكون
لها المتعة ولا صداق لها إذا طلقها قبل أن يدخل بها نسختها الآية التي في

البقرة ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن...﴾ إلى قوله: ﴿فنصف ما فرضتم﴾^(١) هذا قول العامة أنها منسوخة.

وكان الحسن يقول: لها المتاع؛ وليست بمنسوخة وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامراته توارثا ولها الصداق كاملاً، وإنما يكون لها النصف إذا طلقها ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ إلى أهلهن لا تكون المرأة والرجل في بيت واحد وليس بينهما حرمة.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥٠)

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ يعني: صدقاتهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي خالصة لك﴾ (ل ٢٧٣) يقوله للنبي ﷺ ﴿من دون المؤمنين﴾ لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي في تفسير الحسن؛ إن النبي ﷺ قد تطوع لتلك المرأة التي وهبت نفسها، فأعطاهها الصداق.

ومقرأ العامة: (أن وهبت) بفتح (أن) وتفسيرها على هذا المقرأ: كانت امرأة واحدة، ومن قرأ بكسر الألف فعلى المستقبل^(٢).

(١) البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) إنما قراءة العامة: ﴿إن وهبت﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الحسن والشعبي وعيسى بفتح الهمزة. =

قال محمد: ومن قرأ ﴿أَنْ﴾ بالفتح فالمعنى: لأن، و﴿خالصة﴾ منصوب على الحال.

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: أوحينا ﴿في أزواجهم﴾ [ألا تنكح إلا بولي وشهداء وصادق، ولا ينكح الرجل أكثر من أربع]^(١) ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يقول: يتزوج أربعاً إن شاء، ويطأ بملك يمينه ما شاء ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أي: إنم .

﴿ترجي من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنك ويَرْضَيْنَ مِمَّا ءَايَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴿ترجي من تشاء منهم﴾ رجع إلى قصة النبي .

تفسير الحسن: يذكر النبي ﷺ المرأة للتزويج ثم يُزجها؛ أي: يتركها، فلا يتزوجها، وكان إذا ذكر امرأة ليتزوجها لم يكن لأحد أن يعرض لذكرها؛ حتى يتزوجها أو يتركها .

﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي: تتزوج من تشاء ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ يقول: ليست [عليك]^(٢) لهن قسمة ﴿ذلك أدنى أن تقر

= ينظر: البحر (٢٤٢/٧)، إتحاف الفضلاء (٣٥٦)، المحتسب (١٨٢/٢)، جامع القرطبي

(٢٠٩/١٤) الإملاء (١٠٤/٢) وينظر التوجيه النحوي من إعراب القرآن (٦٤٢/٢)، مجمع

البيان (٣٦٤/٤)، البيان (٢٧١/٢)، البحر (٢٤٢/٧).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) من «ر».

أعينهن ﴿إذا علمن أنه من قبل الله﴾ ولا يحزن ﴿على أن تُخصَّ واحدة منهن دون الأخرى﴾ ويرضين بما آتتهن ﴿من الخاصة التي تخص منهن لحاجتك .
 ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ يعني : أزواجه التسع ، قال الحسن : لما خير رسول الله نساءه ، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن ﴿ولو أعجبك حُسنهن﴾ يعني : حسن غير ما أحل الله له من النساء ؛ على ما مضى من تفسير الحسن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يطأ بملك يمينه ما شاء ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ يعني : حفيظاً .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِنْ دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْغَيِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ تُبَدُّوا سُوءًا أَوْ تُخَفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْتُمْ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَيْتَامِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ قال مجاهد : يعني : متحيين حينه ^(١) .

قال محمد : المعنى : غير منتظرين وقت إذراكه ؛ وهو معنى قول مجاهد

(١) الإثني في اللغة : الحين . لسان العرب (أنى) .

﴿وغير﴾ منصوبة على الحال^(١).

﴿ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أي: تفرقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ يعني: بعد أن تأكلوا ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق﴾ يُخبرهم أن هذا يؤذي النبي.

﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يعني: من الريبة والدنس؛ في تفسير السُّدي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ قال ناسٌ من المنافقين: لو قد مات محمدٌ تزوّجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية، وقال: ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات تزوّجنا نساءه.

﴿فإن الله كان بكل شيءٍ عليماً﴾ ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال:

﴿لا جناح عليهن في آبائهن...﴾ إلى قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ يعني: المسلمات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممّن يدخل على أزواج النبي في الحجاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ يعني: إن الله يغفر للنبي، وتستغفر له الملائكة ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ يعني: استغفروا له ﴿وسلموا تسليماً﴾.

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٦٤٥)، البحر (٧/٢٤٦)، البيان (٢/٢٧٢).

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن أبي هاشم - صاحب الرمان - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «جاءني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية، بينما نحن عند رسول الله إذ قال رجل: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا عليّ (ل ٢٧٤) الصلاة يوم الجمعة»^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا

(١) رواه الإمام أحمد (٢٤١/٤، ٢٤٣، ٣٤٤) والبخاري (٤٦٩/٦ - ٤٧٠ - رقم ٣٣٧٠) ومسلم (٣١٦/١ - ٣١٧ رقم ٤٠٦) والحميدي (٣١٠/٢ - ٣١١ رقم ٧١١، ٧١٢) وعبد الرزاق (٢١٢/٣ رقم ٣١٠٥) وعبد بن حميد (١٤٤ رقم ٣٦٨) والطيالسي (١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٠٦١) والدارمي (٣٥٦/١ رقم ١٣٤٢) وأبو داود (٥٤/٢ - ٥٥ رقم ٩٦٨ - ٩٧٠) والترمذي (٣٥٢/٢ - ٣٥٣ رقم ٤٨٣) والنسائي (٤٧/٣ - ٤٨ رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨)، وابن ماجه (٢٩٣/١ رقم ٩٠٤) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به. ولم أجد الحديث من طريق أبي هاشم صاحب الرمان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والله أعلم.

وللحديث طرق عن كعب بن عجرة، وعن عدة من الصحابة أيضًا، انظر: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص ٥٢ - ٥٩).

(٢) رواه مسند في مسنده - كما في المطالب العالية (٨/٣ رقم ٣٣٤٧) - وابن أبي شيبة في مصنفه (٥١٧/٢) من طريق أبي حرة عن الحسن به.

وعزه السخاوي في القول البديع (ص ٢٣٤) لسعيد بن منصور في سنته.

وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلاً، انظر القول البديع (ص ٢٣٠ - ٢٣٥).

﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا

مُتَّبِعًا ﴿٥٨﴾

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله، ويستخفون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده ويكذبون عليه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يعني: جَنَؤا؛ وهم المنافقون ﴿فقد احتملوا بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وَإِثْمًا مُتَّبِعًا﴾ يَتَّبِعًا.

يحيى: عن النَّضْر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فنادى بصوتٍ أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُسلم بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تغتابوهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبّع عورة أخيه المسلم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته فضحه في بيته»^(١).

(١) أبان بن أبي عياش وإو، ولم أجد الحديث من هذا الطريق. وقد اختلف على أبان فيه أيضًا. فرواه معمر عن أبان وغيره مرسلًا. خرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/١٧٦) رقم (٢٠٢٥١).

ورواه فضيل بن عياض وحماد بن زيد عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن عبد الله عن أبي برزة. قاله الدارقطني في العلل (٦/٣١٠). وتابع الأعمش أبانًا على هذا الوجه.

خرجه الإمام أحمد (٤/٤٢٠ - ٤٢١) وأبو داود (٥/٣٠٥) رقم (٤٨٤٦) وأبو يعلى (١٣/٤١٩ - ٤٢٠) رقم (٧٤٢٣، ٧٤٢٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨) والرويانى في مسنده (٢/٣٣٦ - ٣٣٧) رقم (١٣١٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/٨١٤) رقم (١٤٩٧)، والبيهقي في الشعب (٥/٢٩٦) رقم (٦٧٠٤) وفي السنن (١٠/٢٤٧) وغيرهم من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش به.

قال البخاري في التاريخ (٣/٤٨٧): سعيد بن عبد الله بن جريح عن أبي برزة عن النبي ﷺ «لا تغتابوا المسلمين» قاله أبو بكر بن عياش عن الأعمش. وقال يوسف بن راشد: حدثنا ابن

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازَوِيكِ وَبَنَاتِكَ وَمِثْلَهُنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْرِيْنَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَذَقَ أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يدرين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب الرداء؛ يعني: يتقنعن به ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أي: يعرف أنهن حرائر مسلمات عفائف فلا يؤذين؛ أي: فلا يعرض لهن بالأذى، وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون للنساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم يكن تُعرف الحرة من الأمة بالليل؛ فلقي نساء المؤمنين منهم أذى شديداً؛ فذكرن ذلك لأزواجهن، فرفع ذلك إلى النبي؛ فنزلت هذه الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع، فعلاها بالذرة، وقال: اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر!»^(١).

مغراء، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني رجل من البصرة عن أبي برزة عن النبي ﷺ وقال ابن فضيل عن الأعمش عن عبد الرحمن بن جريج عن أبيه عن النبي ﷺ ولا يصح. اهـ. وقال الدارقطني في العلل (٣٠٩/٦ - ٣١٠): حدث به كذلك أبو بكر بن عياش وعبد الله ابن عبد القدوس وفضيل بن عياض. وقال ثابت بن محمد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة.

وخالفهم عبد الرحمن بن مغراء؛ فرواه عن الأعمش عن رجل لم يسمه عن أبي برزة. والقول قول أبي بكر بن عياش وفضيل ومن تابعهما. اهـ. قلت: تابع عبد الرحمن بن مغراء قطباً عند الإمام أحمد (٤٢٤/٤) وحفص بن غياث عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٩).

وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تخرج أحاديث الكشاف (٣/٣٤٤ - ٣٤٦).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور.

﴿لَنْ يَنْفَعَكَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٩) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْسِيلًا﴾ (٧٠) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بُدِيلًا﴾ (٧١) ﴿لَنْ يَنْفَعَكَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (٧٢) ﴿وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ يَرْجِفُونَ بِالنَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ يَقُولُونَ: يَهْلِكُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ! لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (٧٣) ﴿أَي: لَنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٤) ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ﴾ (٧٥).

قال محمد: ﴿مَلْعُونِينَ﴾ منصوبٌ على الحال^(١)؛ المعنى: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ (٧١) أي: من أظهر الشرك قبل، وهذا إذا أمر النبيون بالجهاد.

قال محمد: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر؛ المعنى: (سن)^(٢) الله سنة.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٧٠) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلَايَةً وَلَا نَصِيرًا﴾ (٧١) ﴿يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٧٢) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ (٧٣) ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ مِثْلَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٧٤).

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٥٠)، البحر (٧/ ٢٥١)، البيان (٢/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل (سن)، وهو خطأ؛ لأن مصدره (تسين). والمثبت من «ر» وهو الصواب.

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾ أي: لا يعلم متى مجيئها إلا الله ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ أي: أنها قريبٌ ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ وإنما صارت ﴿الرسولا﴾ و ﴿السيلا﴾؛ لأنها مخاطبة وهذا جائزٌ في كلام العرب، إذا كانت مخاطبة.

قال محمّد: الاختيار عند أهل العربية: (السيلا) بالألف وأن يوقف عليها؛ لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر أبيات الشعر ومصارعها^(١)؛ لأنه إنما خوطب العرب بما يعقلونه في الكلام المؤلف، فيدل بالوقف على هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو ﴿الظنوناً﴾ و ﴿السيلا﴾ و ﴿الرسولا﴾ أن ذلك الكلام قد تم وانقطع وأن ما بعده مستأنف.

﴿ربنا إنا أطعنا ساداتنا﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿ساداتنا﴾^(٢) والساداة جماعة واحدة، والسادات جماعة الجماعة^(٣) ﴿وكبراءنا﴾ أي: في الضلالة ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي: مثليين. ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ وتقرأ (كثيراً)^(٤).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

(١) في «ر»: مصارفها.

(٢) وهي قراءة ابن عامر، وقرأ باقي السبعة (سادتنا). ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٧/٣٥٢)، النشر (٢/٣٤٩).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/٤٢٦)، لسان العرب (سود).

(٤) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ عاصم وحده (كثيراً).

ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٧/٢٥٢)، التيسير (١٧٩)، النشر (٢/٣٤٩).

وَيَقَرِّ لَكُمْ دُؤُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى...﴾ الآية.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك «أن اليهود كانوا يقولون: إن موسى أذر^(١)، وكان إذا دخل الماء ليغتسل وضع ثوبه على صخرة. قال: فدخل الماء يوماً ووضع ثوبه على صخرة فتدهش^(٢)، فخرج يتبعها فرأوه، فبرأه الله مما قالوا^(٣)».

﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ أي: عدلاً؛ وهو: لا إله إلا الله ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه.

﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ الآية، تفسير الكلبي عرض العباداة على السموات والأرض والجبال أن يأخذوها بما فيها، قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنن جوزيتن (ل ٢٧٥) وإن أسأتن عوقبتن ﴿فأبين أن يحملنها﴾ وعرضها على الإنسان - والإنسان: آدم - فقبلها.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أنه قرأ هذه الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ إلى قوله: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

(١) من الأذرة؛ وهي انتفاخ الخصيتين لتسريب سائل في غلافهما أو كبر الضغن من تجمع سائل بداخله. والجمع: أذر. المعجم الوسيط (أذر).

(٢) أي: تدهرجت. لسان العرب (دهده).

(٣) روى البخاري (٥٠٢/٦ رقم ٣٤٠٤) ومسلم (٢٦٧/١ رقم ٣٣٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

والمشركات ﴿ فقال: هما اللذان ظلماهما، هما اللذان خاناهما: المنافق والمشرک ﴾^(١).

﴿وكان الله غفوراً﴾ لمن تاب من شركه ﴿رحيماً﴾ للمؤمنين.



(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٨/٢٢) من طريق أبي الأشهب به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٥) لعبد بن حميد في تفسيره.

فهرس الموضوعات

٥	تفسير سورة الإسراء
٤٧	تفسير سورة الكهف
٨٧	تفسير سورة مريم
١١٠	تفسير سورة طه
١٣٩	تفسير سورة الأنبياء
١٦٦	تفسير سورة الحج
١٩٣	تفسير سورة المؤمنون
٢١٧	تفسير سورة التور
٢٥٢	تفسير سورة الفرقان
٢٧٠	تفسير سورة الشعراء
٢٩٣	تفسير سورة التمل
٣١٦	تفسير سورة القصص
٣٣٩	تفسير سورة العنكبوت
٣٥٤	تفسير سورة الروم
٣٧٢	تفسير سورة لقمان
٣٨٠	تفسير سورة السجدة
٣٨٦	تفسير سورة الأحزاب
٤١٧	فهرس الموضوعات